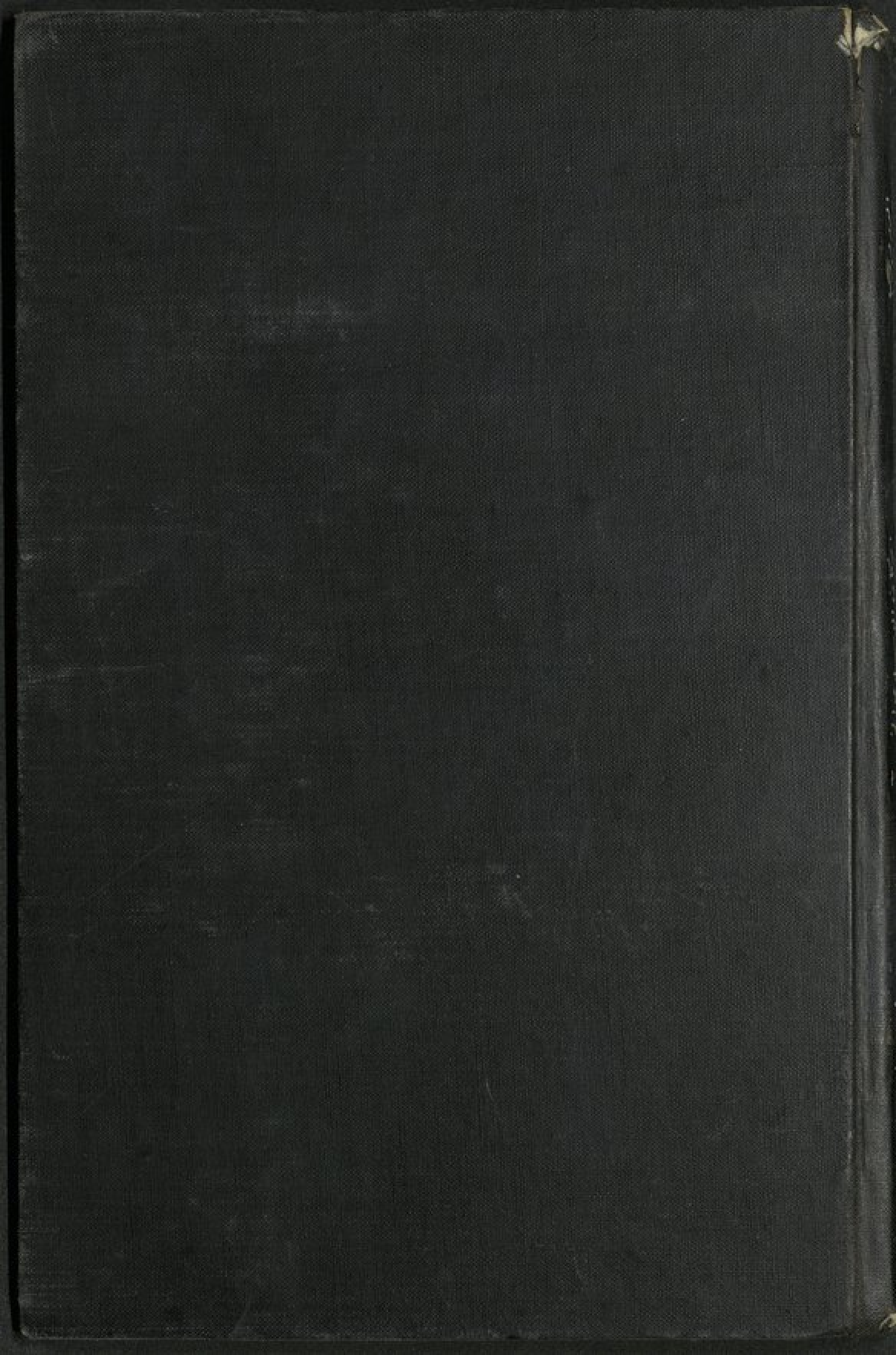
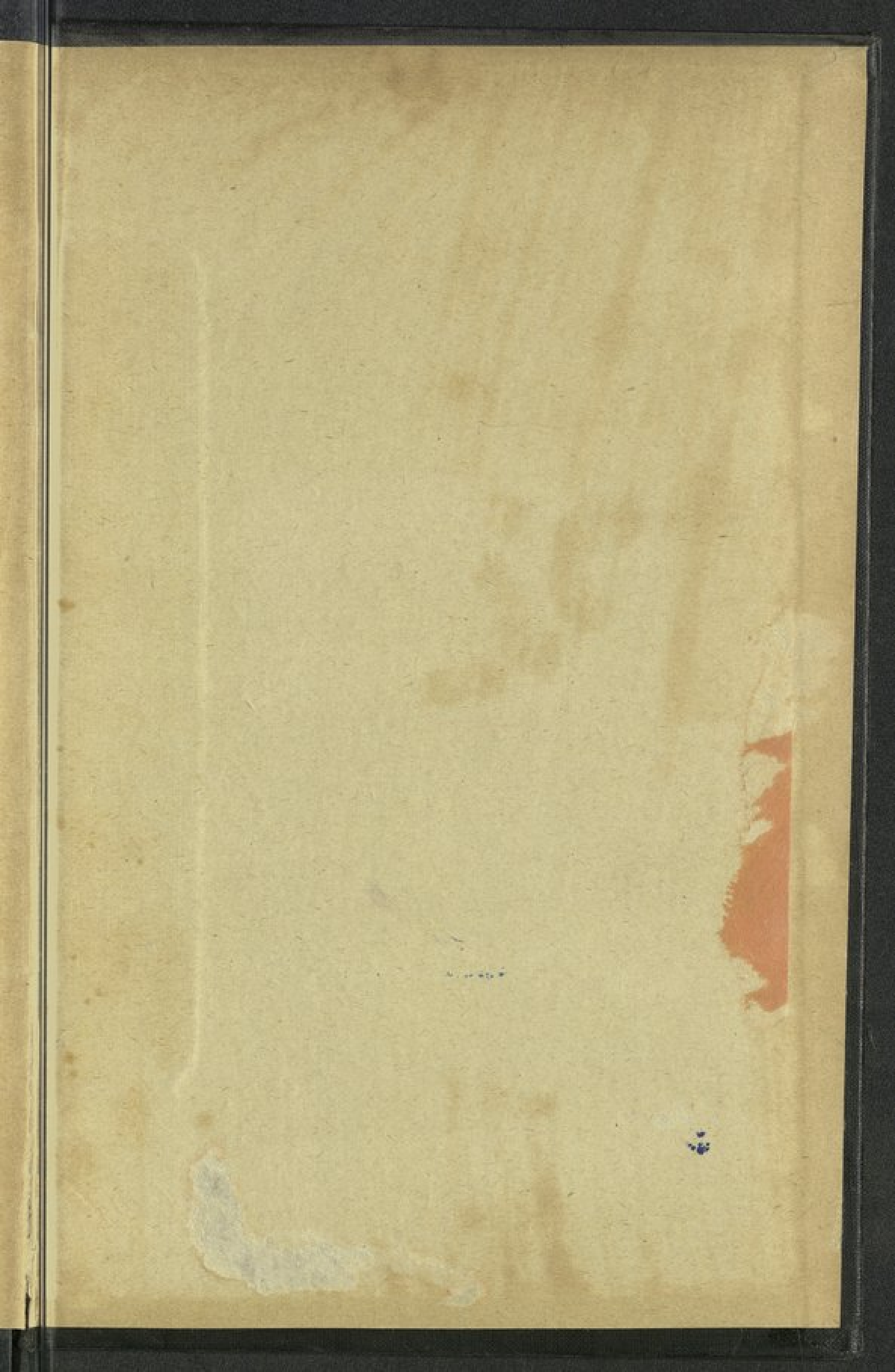










أركان الإسلام الخمسة

وأثرها في حياة الأفراد والجماعات

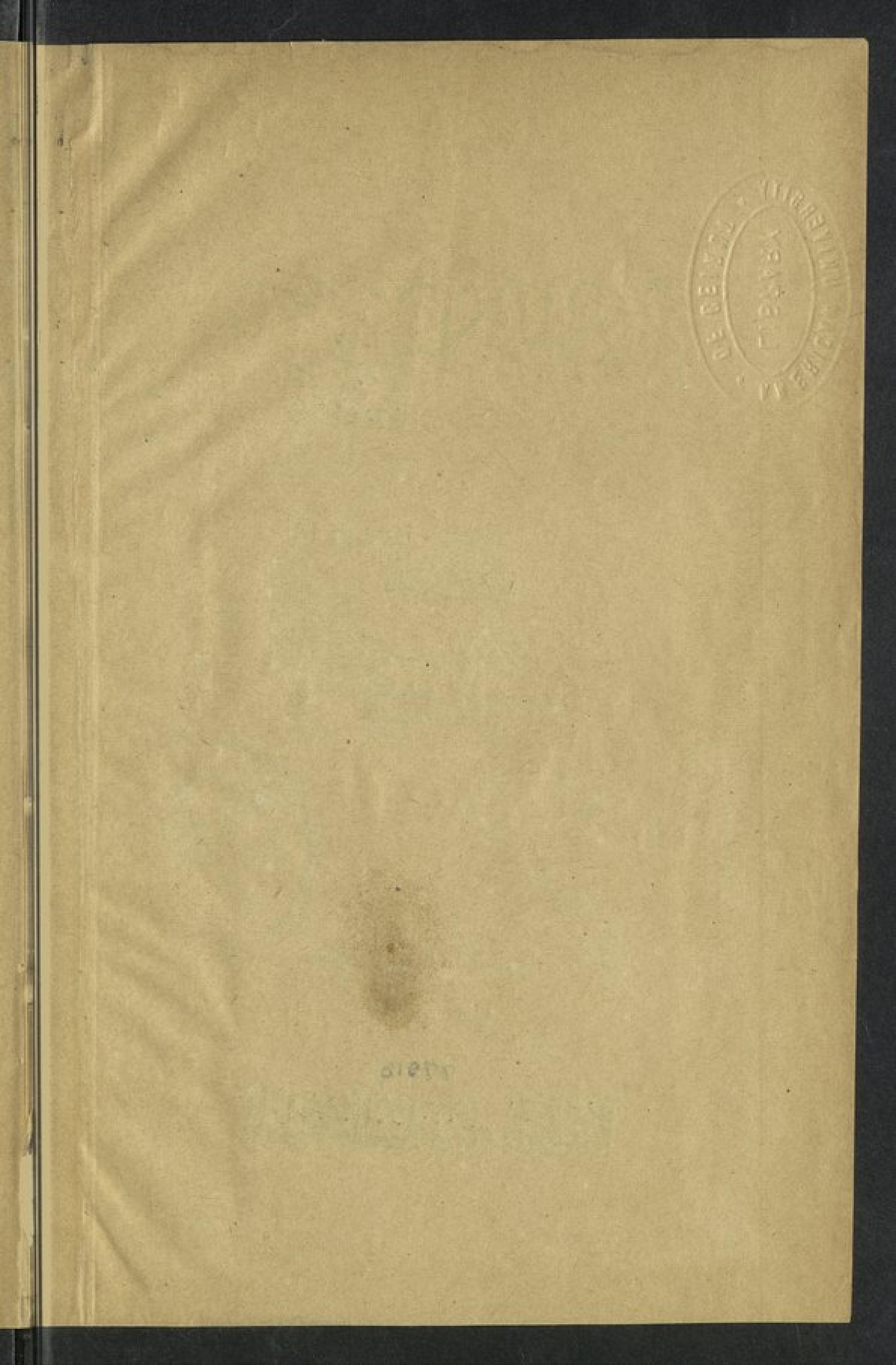
تأليف

يحيى أحمد الدرديري

دكتور في الحقوق وليسانسيه في العلوم السياسية
والمراقب العام لجمعيات الشبان المسلمين

١٣٦٩ - ١٩٥٠

المطبعة السلفية - ومكتبتها



مقدمة الكتاب

رسالة الشبان المسلمين

بقلم

حضرة صاحب السعادة المجاهد الكبير اللواء محمد صالح حرب باشا
الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين

جاء الاسلام بكلمة لا إله الا الله ، فكان بشيرا بتحرير الإنسانية من ربقة عبودية الأوثان ، وحداً فاصلا للجور والطغيان ، وأن لا سلطان لإنسان على انسان ، وأن الكل متساوون أمام شريعة الواحد الديان : لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى ، الكل متساوون فى الحقوق والواجبات ، متفاوتون فى الاعمال والدرجات . وقد فرض على المؤمنين من عباده صلوات خمساً ليعلمهم الطاعة والنظام ، ويصلهم برحمته الشاملة لجميع الأنام ، ويذكرهم أن العبد يجب أن يكون على أخلاق سيده ، بارا باخوانه ، رحيما بجميع خلقه كما جاء فى الأثر « خير الناس أنفعهم للناس » . كما فرض عليهم الزكاة تطهيرا لأنفسهم من الشحّ والبخل ، وتدعيما لأواصر المحبة بين الغنيّ والفقير ، حتى تكون الجماعة سليمة الأركان ، قوية البنيان . كما أمرهم بالصوم أياما معدودات

فى كل عام ، ليخرجهم من عبودية العادة ، الى حرية الارادة ، التى يجب أن تسمو على الشهوات ، وتتحكم فى النزوات . كما دعاهم الى الحج من استطاع اليه سبيلا ، وهو نوع من الجهاد يخرج فيه الإنسان من ماله وأهله ووطنه فى سبيل طاعة ربه ، ليتعارف ويتشاور مع اخوانه من جميع الاقطار . ويسير ركب الإنسانية متجانس الأهداف الى الغاية العليا وهى « سعادة البشر »

جعل الاسلام الايمان بما جاء به مقرونا بالعمل الصالح . وصالح العمل يتناول الفرد والجماعة ، فيجب على كل مسلم أن يعمل على اصلاح نفسه وولده وأهله ووطنه والانسانية بوسع جهده . والحياة جهاد ، ولا مفرّ من العمل ، ومن لا يعمل لسعادته سخر لشقاته ، ومن لم يملك هواه ، ملكه فأرداه . والأرض لا يرثها الا الصالحون لعمارتها ، وقيام العدل فيها ، والرحمة بأهلها . وفى الأثر : « الأعمال محصاة ، لن يهمل منها صغيرة ولا كبيرة ، فأكثروا من صالح العمل » . . . ان فى القنوع لسعة ، وان فى الاقتصاد لبلغة ، وان فى الزهد لراحة ، ولكل عمل جزاء ، وكل آت قريب .

ورسالة الشبان المسلمين يجب أن تكون فى سلوك بنيها دليلها وهاديها . ويجب أن تستقر فى الألباب ، قبل أن تدون فى الكتاب . وأن تسكن الضمائر ، قبل أن تغزو الدفاتر . وأن تجرى من النفوس مجرى الدم ، ومن العقول فى خلايا الفهم ، فتستحيل الى ايمان بالله وغرام بالوطن . شعارها : فى سبيل الله نحيا ونموت ، وفى سبيل الوطن نسعى لنسود . وهذه الرسالة مردُّها الى القرآن الكريم الذى هو عَقْد بين الله وعباده المؤمنين . وهو أوضح دليل الى خير سبيل . من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، وهو شافع مشفع . وشاهد صدق ، من اهتدى بهديه سعد فى الدارين ، ومن جعله وراء ظهره شقى فى الحياتين

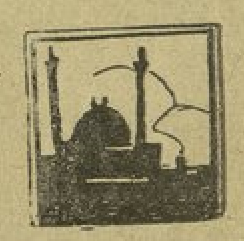
وها هو أخى الدكتور يحى أحمد الدرديرى وقد عاصر جمعية الشبان منذ

نشأتها حتى بلغت أشدّها قد أخرج كتابه (أركان الاسلام الخمسة ، وأثرها فى حياة الافراد والجماعات) من نواحى متعددة : التعبدية ، والروحية ، والاخلاقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والرياضية ، حتى يتبين للشبان وغيرهم أن دين الاسلام فى أصوله وفروعه ما جاء الا لسعادة الأفراد والجماعات . أساسه الطاعة والنظام والمحبة ، وغايته رقى الانسانية . يدعو الى ذلك فى هوادة ورفق ، وفى عزة المؤمنين ، وايمان الموقنين ، وجهاد الصابرين ، لنشر لواء العدل والسلام بين الناس أجمعين . والله نسأل أن يهدينا الى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين ؟

اللواء

محمد صالح حرب

الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين



مقدمة

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والسلام على رسل الله أجمعين

أصول التشريع الإسلامي

١ ــ القرآن الكريم
٢ ــ سنة رسول الله صلوات الله عليه
٣ ــ الإجماع
٤ ــ الاستنباط ، أى القياس على هذه الأصول

(١) كتاب الله عز وجل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد ، وهو يسمى (القرآن) ، قال تعالى : ﴿ إنَّ هذا القرآنَ يهدى للتى هى أقوم ويبشّرُ المؤمنينَ الذين يعملون الصالحاتِ أنَّ لهم أجراً كبيراً ﴾ .
سورة الإسراء

﴿ وقرآناً فرَقناه لتقرَأه على الناسِ على مُكثٍ ونزَّلناه تنزيلا ﴾ .
سورة الإسراء

﴿ قلْ أىُّ شىءٍ أكبرُ شهادةً ، قُلِ اللهُ شهيدٌ بينى وبينكم ، وأُوحىَ إلىَّ هذا القرآنُ لِأنذرَكم به ومَن بلَغ ﴾ . سورة الأنعام

﴿ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كلِّ مثَل ﴾ . سورة الروم

والقرآن يُسمى (الكتاب) أيضاً فهو كتاب الله لعباده ليهديهم طريقه المستقيم ، ويبين لهم ما يلزم لمعاشهم ومعادهم

قال تعالى :

﴿ تلك آياتُ الكتابِ الحكيمِ ، هدًى ورحمةً للمحسنينَ ﴾ . سورة لقمان

﴿ ذلك الكتابُ ، لا ريبَ فيه ، هدى للمتقين ﴾ . سورة البقرة

﴿ ولمّا جاءهم رسولٌ من عندِ اللهِ مصدِّقٌ لِما معهم نبذَ فريقٌ من الذين أوتوا الكتابَ كتابَ اللهِ وراءَ ظهورِهم كأنهم لا يعلمون ﴾ . البقرة

﴿ إنَّ الذين يكتمونَ ما أنزلنا من البيِّناتِ والهدى من بعدِ ما بيَّنَّاهُ للناسِ في الكتابِ أولئكَ يلعنُهُم اللهُ ويلعنُهم اللاعنُون ﴾ . البقرة

﴿ اتْلُ ما أوحيَ إليك من الكتابِ وأقِمِ الصلاة ، إنَّ الصلاةَ تنهى عن الفحشاءِ والمنكرِ ﴾ . سورة العنكبوت

ويسمى القرآن (بالذكر) لأنه يذكر الإنسان بأوامر ربه ، وبما يجب أن يفعله أو يتركه لصلاح حاله وحال من معه ، ليسعد فى دنياه وآخرته .

قال تعالى : ﴿ والقرآنِ ذِي الذكرِ ... ﴾ ، ﴿ أَءُنزِلَ عليه الذكرُ من بيننا ، بلْ هُمْ فى شكٍ من ذكرى ﴾ . سورة ص

﴿ إنا نحن نزلنا الذكرَ وإنا لهُ لحافظون ﴾ . سورة الحجر

وللقرآن أسماء كثيرة أخرى تعرف من سياق التنزيل ، كالهدى — والفرقان — والنور — الخ .

(٢) سنة نبيه ﷺ الذى قرن الله تعالى طاعته بطاعته ، وأمرنا باتباع سنته .
فقال عز وجل : ﴿ أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسول ﴾ . سورة النساء والنور والصف

وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسولَ فقد أطاعَ اللهَ ﴾ وقال : ﴿ ما آتاكم الرسولُ فخذوهُ وما نهاكم عنه فانتهُوا ﴾ . سورة الحشر

وقال : ﴿ واذكُرْنَ ما يُتلى فى بيوتِكُنْ من آياتِ اللهِ والحكمة ﴾ . سورة الأحزاب . والحكمة السنة

وقال ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوةٌ حسنة ﴾ . سورة الأحزاب

﴿ وأنزلنا إليكَ الذِّكرَ لِتُبيِّنَ للناسِ ما نُزِّلَ إليهم ﴾ . سورة النحل

(٣) الاجماع الذى هو عبارة عن اجتماع علماء الأمة المجتهدين على حكم من الأحكام مستندين إلى نص من كتاب الله أو سنة رسوله ، وقد أشار القرآن إلى احترامه وصحته بقول الله تعالى : ﴿ ومَنْ يُشاقِقِ الرَّسولَ من بعدِ ما تبيَّنَ له الهُدى ويتَّبعْ غيرَ سبيلِ المؤمنينَ نُولِّهِ ما تولَّى ونُصلِهِ جهنَّمَ وساءتْ مصيراً ﴾ . سورة النساء

لأنه عز وجل توعد على اتباع غير سبيل المؤمنين ، فكان ذلك أمراً واجباً باتباع سبيلهم . وقال رسول الله ﷺ « لا تجتمع أمتى على ضلالة » .

(٤) الاستنباط ، وهو القياس على ما جاء فى هـذه الأصول الثلاثة التى هى الكتاب والسنة والاجماع ، لأن الله تعالى جعل المستنبط من ذلك علماً ، وأوجب الحكم به فرضاً فقال تعـالى ﴿ ولوْ ردُّوهُ إلى الرَّسولِ وإلى أولى الأمْرِ منهم لعلِمَهُ الذين يستنبِطُونهُ منهم ﴾ . سورة النساء

وقال عز وجل : ﴿ إنَّا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ لِتحكمَ بين الناس بما أراكَ الله ﴾ أى بما أراك فيـه من الاستنباط والقياس ، لأن الذى أراه فيه من الاستنباط والقياس هو مما أنزل الله عليه وأمره بالحكم به حيث يقول ﴿ وأنِ احكم بينهم بما أنزل اللهُ ﴾ . سورة المائدة (١)

وبما أننا سنتكلم فى هذا الجزء على العبادات ، فنترك الكلام على تفاصيل ما تقدم إلى موضع آخر .

الاخلاص فى العبودية لله وحده

لو أن كل مسلم تدبر آيات الكتاب العزيز واستمسك بهدايتها لما أصاب المسلمين تلك الكوارث المفجعة ، والمصائب المدلهمة

لو أن المسلمين اعتصموا بآية من القرآن تتلى فى كل صلاة وهى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وبالاخلاص لله فى العبادة دون الاشراك به والاعتماد على غيره ، والاستعانة

---

(١) راجع كتاب (المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات) للعلامة ابن رشد ، الجزء الأول .

به دون سواه والسير على حسب سننه وقوانينه العادلة لما أصابهم الذل والهوان فى مشارق الأرض ومغاربها

ذكر الأستاذ العلامة ابن القيم أن سر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وعليهما مدار العبودية والتوحيد حتى قيل إن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها فى التوراة والانجيل والقرآن . وجمع معانى هذه الكتب الثلاثة فى القرآن . وجمع معانى القرآن فى الفاتحة . ومعانى الفاتحة فى إياك نعبد وإياك نستعين ، وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده ، فنصفها له تعالى وهو « إياك نعبد » ، ونصفها لعبده وهو « إياك نستعين »

فسر الأستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده « أن للعبادة صوراً كثيرة فى كل دين من الأديان شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور بالسلطان الإلهى الأعلى الذى هو روح العبادة وسرها . ولكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر فى تقويم أخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه . والأثر إنما يكون عن ذلك الروح والشعور الذى هو منشأ التعظيم والخضوع . فاذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة . كما أن صورة الإنسان وتمثاله ليس إنساناً » .

قال الأستاذ الإمام فى معنى ﴿ إياك نستعين ﴾ أرشدتنا هذه الكلمة الوجيزة إلى أمرين عظيمين هما معراج السعادة فى الدنيا والآخرة : (أحدهما) أن نعمل الأعمال النافعة ، ونجتهد فى إتقانها ما استطعنا . لأن طلب المعونة لا يكون إلا على عمل بذل فيه المرء ما فى طاقته ولم يوفه حقه . أو يخشى أن لا ينجح فيه . فيطلب المعونة على إتمامه وكماله . فمن وقع من يده القلم على المكتب لا يطلب المعونة من أحد على إمساكه . ومن وقع تحت عبء ثقيل يعجز عن النهوض به وحده يطلب المعونة من غيره على رفعه ، ولكن بعد استفراغ القوة فى الاستقلال به . وهذا الأمر هو مرقاة السعادة الدنيوية ، وركن من أركان السعادة الأخروية . (وثانيهما) ما أفاد الحصر من وجوب تخصيص الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك ، وهو روح الدين ، وكمال التوحيد الخالص الذى يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الأغيار ، ويفك إرادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين ، والشيوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم من قيد المهيمنين

الكاذبين من الأحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً ، وسيداً كريماً ، ومع الله عبداً خاضعاً ﴿ ومن يطع اللهَ ورسولهُ فقد فازَ فوزاً عظيما ﴾ . سورة الأحزاب

والاستعانة بهذا المعنى ترادف التوكل على الله وتحل محله . وهو كمال التوحيد والعبادة الخالصة ، ولذلك جمع القرآن بينهما فى مثل قوله تعالى : ﴿ ولله غيبُ السموات والأرض ، وإليهِ يُرجَعُ الأمرُ كلُّه فاعبُدْهُ وتوكّلْ عليه ﴾ . سورة هود

إن لفظ الاستعانة يشعر بأن يطلب العبد من الرب تعالى العون على شىء له فيه كسب ليعينه على القيام به . وفى هذا تكريم للإنسان بجعل عمله أصلا فى كل ما يحتاج إليه لإتمام تربية نفسه وتزكيتها . وإرشاد له بأن ترك العمل والكسب ليس من سنة الفطرة ، ولا من هدى الشريعة ، فمن تركه كان كسولا ، مذموماً ، لا متوكلا محموداً ، وبتذكيره من جهة أخرى بضعفه لكيلا يغتر فيتوهم أنه مستغن بكسبه عن عناية ربه ، فيكون من الهالكين فى عاقبة أمره [١]

والله تعالى جعل العبودية وصف المقربين إليه من خلقه فقال تعالى : ﴿ لنْ يستنكفَ المسيحُ أن يكون عبداً لله ولا الملائكةُ المقربونَ . ومن يستنكف عن عبادتهِ ويستكبرْ فسيحشرهم إليه جميعا ﴾ . سورة النساء

وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » . وفى حديث آخر « إنما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » .

والعبودية من لوازم المؤمن لا تنفك عنه حتى الموت ، قال الله تعالى لرسوله صلوات الله عليه ﴿ واعبد ربّكَ حتى يأتيَكَ اليقين [٢] ﴾ . وقال أهل النار : ﴿ وكنا نكذّبُ بيومِ الدّينِ حتى أتانا اليقينُ [٣] ﴾ . واليقين هنا الموت بإجماع

---

(١) تفسير القرآن الحكيم الجزء الأول ص ٥٦ – ٦١ من تفسير المنار للعلامة السيد محمد رشيد رضا . وراجع ما كتبناه عن تفسير المنار فى الجزء العاشر من السنة الثانية من مجلة الشبان المسلمين .

(٢) الحجر . (٣) المدثر .

أهل التفسير فلا تنقطع العبودية عن العبد ما دام فى هذه الحياة الدنيا ولا بعد الموت. ومن ظن أنه يصل إلى مقام يسقط عنه التعبد فهو زنديق كافر بالله ورسوله، وإنما وصل إلى مقام الكفر بالله والانسلاخ من دينه، وكلما تمكن العبد فى منازل العبودية كانت عبادته أعظم والواجب عليه منها أكثر من الواجب على من دونه. ولهذا كان الواجب على الرسول ﷺ بل على الرسل أعظم من الواجب على أممهم، والواجب على أولى العزم أعظم من الواجب على من دونهم، والواجب على أولى العلم أعظم منه على من دونهم، وكل أحد حسب مرتبته، وإن كانت الشريعة المطهرة تساوى بين جميع المسلمين فى المطالبة بالعمل بأركان الاسلام وأوامره.

وشرط العبودية الطاعة والانقياد لما أمر الله ورسوله فيما بينه القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله علماً عليها وشاهداً لمن ادعاها فقال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تُحبونَ اللهَ فاتبعونى يُحبِبْكمُ الله (١) ﴾ فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله وشرطاً لمحبة الله لهم. ولا يكفى ذلك فى العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، فلا يكون عنده شىء أحب إليه من الله ورسوله، ومتى كان عنده شىء أحب إليه منهما كان نقصاً كبيراً فى إيمانه، قال تعالى: ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها، وتجارة تخشونَ كسادَها، ومساكنُ ترضَونها أحبَّ إليكم منَ اللهِ ورسولهِ، وجهاد فى سبيلهِ فتربَّصوا حتى يأتىَ اللهُ بأمرهِ واللهُ لا يهدى القومَ الفاسقين (٢) ﴾ فكل من قدم طاعة أو محبة شىء من هؤلاء المذكورين فى الآية على طاعة الله ورسوله، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة الله تعالى فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وإن قال ذلك بلسانه فهو مغالطة منه وإخبار بخلاف ما هو عليه.

يجب أن تكون عبودية الله تعالى حسب ما أمر فى كتابه العزيز وبينه رسوله المعصوم. وليس للانسان أن يبتدع فيها. فيتعبد مثلا بترك النكاح. أو ترك أكل

---

(١) سورة آل عمران. (٢) التوبة.

اللحم أو الفاكهة أو الطيبات من المطاعم والملابس . ويرى لجهله أن ذلك مما عليه فيوجب على نفسه تركه . أو يرى تركه أفضل القرب وأجل الطاعات . وقد أنكر النبي ﷺ على من زعم ذلك . ففى الصحيح أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوه عن عبادته فى السر . فكأنهم تقالّوها . فقال أحدهم أما أنا فلا آكل اللحم . وقال الآخر أما أنا فلا أتزوج النساء ، وقال الآخر أما أنا فلا أنام على فراش . فبلغ النبي ﷺ مقالتهم فخطب وقال : « ما بال أقوام يقول أحدهم أما أنا فلا آكل اللحم . ويقول الآخر أما أنا فلا أتزوج النساء . ويقول الآخر أما أنا فلا أنام على فراش ؟ لكنى أتزوج النساء . وآكل اللحم . وأنام وأقوم . وأصوم وأفطر . فمن رغب عن سنتى فليس منى » فتبرأ ممن رغب عن سنته وتعبد لله بترك ما أباحه الله لعباده من الطيبات رغبة عنه واعتقاداً أن الرغبة عنه وهجره عبادة .

إن العبد كلما كان إلى الله أقرب كان جهاده فى الله أعظم . قال الله تعالى : ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾ . سورة الحج

ومن تأمل أحوال رسول الله ﷺ وأصحابه يجدهم كانوا كلما ترقوا من القرب فى مقام عظم جهادهم واجتهادهم . لا كما ظنه بعض الملاحدة المنتسبين إلى طريق الصوفية حيث قال القرب الحقيقى تنقل العبد من الأحوال الظاهرة إلى الأعمال الباطنة ويريح الجسد والجوارح من كد العمل ، فإن قصد قائل ذلك تعطيل العبادة وزعم سقوطها عن بعض الناس بأى سبب كان ، فأمثال هذا أعظم كفراً وإلحاداً من المتظاهرين بالكفر حيث عطلوا العبودية وظن هو وأمثاله أنهم بلغوا درجة سقطت عنهم فيها التكاليف الشرعية ، بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التى هى من أمانى النفس وخدع الشيطان ، وقد كان رسول الله ﷺ يقوم الليل حتى تورمت قدماه فسئل فى ذلك وقيل له : ألم يغفر الله ذنبك ما تقدم منه وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ !

وقد صرح أهل الاستقامة وأئمة الطريق بكفر هؤلاء المبتدعين ، فأخرجوهم من الاسلام ، وقالوا : لو وصل العبد من القرب إلى أعلى مقام يناله العابد لما سقط عنه من التكليف مثقال ذرة (أى ما دام قادراً عليه) . وهؤلاء يظنون أنهم يستغنون بهذه الحقيقة (الفارغة) عن ظاهر الشريعة . وأجمعت علماء الطائفة على أن هذا كفر

والحاد . وصرحوا بأن كل حقيقة لا تتبع الشريعة فهى مردودة على قائلها . قال سيد الطائفة الصوفية الجنيد بن محمد : علمنا هذا متشبك بحديث رسول الله ﷺ . وقال إبراهيم بن محمد النصر آبادى وهو من أئمة الصوفيـــة : « أصل هذا المذهب ملازمة الكتاب والسنة ، وترك الأهواء والبدع . والتمسك بالأئمة ، والاقتداء بالسلف ، وترك ما أحدثه الآخرون ، والمقام على ما سلك الأولون » .

وسئل إسماعل بن نجيد ـ وهو من كبار الصوفية ـ ما الذى لابد للعبد منه ؟ فقال : ملازمة العبودية على السنة ، ودوام المراقبة لله .

وقال إسماعيل بن نجيد أيضاً : كان الجنيد ، وهو أكبر أئمة أهل الطريق إن لم يكن أكبرهم ، يجيء إلى السوق فيفتح حانوته فيدخله فيسبل الستر ويصلى ما شاء الله . ودخل عليه ابن عطاء وهو فى النزع فسلم عليه فلم يرد عليه . ثم رد عليه بعد ساعة فقال اعذرونى فإنى كنت فى وردى[1] . ثم حول وجهه إلى القبلة وكبر ومات رحمه الله . وقال أبو سعيد بن الأعرابى سمعت أبا بكر العطار يقول : حضرت أبا القاسم الجنيد أنا وجماعة من أصحابنا فكان قاعداً يصلى ويثنى رجليه إذا أراد أن يسجد ، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقلت عليه حركتهما وكانتا قد تورمتا ، فقال بعض أصحابه : ما هذا يا أبا القاسم ! فقال هذه نعم الله ، الله أكبر ، فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريرى : يا أبا القاسم لو اضطجعت ؟ فقال يا أبا محمد هذا وقت يؤخذ فيه ، الله أكبر . فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله .

سئل الجنيد : ما علامة الايمان ؟ فقال : علامته طاعة من آمنت به ، والعمل بما يحبه ويرضاه ، وترك التشاغل عنه بما ينقضى ويزول[2]

قال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضُها السماواتُ والأرض أعدتْ للمتقين ه الذين ينفقون فى السراءِ والضراءِ والكاظمين الغيظَ والعافين عن الناس واللهُ يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا اللهَ

---

(١) الورد هو ما يلازم الانسان عمله من صلاة نوافل وقراءة آيات من القرآن وتلاوة دعوات وأذكار فى أوقات مخصوصة ، فلعله كان في صلاة لا يقطعها برد السلام ، أما ما عدا الصلاة فيقطعه ويرد السلام. (٢) مدارج السالكين لابن القيم جزء ٣ .

فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوبَ إلا الله ولم يُصِرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرةٌ من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ونعمَ أجر العاملين ﴾ . سورة آل عمران

إن الله فرض على العباد فرائض يجب أن تؤدى كما أمر ، لأنه سبحانه وتعالى العليم بمصالح الناس الخبير بمنافعهم ، وقد ورد فى الأثر فى حكمة الله فى أصول الفرائض وكبائر المحظورات : « فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك ، والصلاة تنزيهاً عن الكبر ، والزكاة تسبيباً للرزق ، والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق ، والحج تقربة للدين ، (أى سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض ، إذ يجتمعون من جميع الأقطار فى مقام واحد لغرض واحد) والجهاد عزاً للاسلام ، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهى عن المنكر ردعاً للسفهاء ، وصلة الرحم منماة (زيادة) للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم ، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل ، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفة ، وترك الزنا تحصيناً للنسب ، وترك اللواط تكثيراً للنسل ، والشهادة استظهاراً على المجاحدات(١) ، وترك الكذب تشريفاً للصدق ، والسلام أماناً من الخلوف ، والأمانات نظاماً للأمة(٢) ، والطاعة تعظيما للامامة » .

« اهتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل الهدى ، واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن . وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث ، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور ، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص ، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق من جهله ، بل الحجة عليه أعظم ، والحسرة له ألزم ، وهو عند الله ألوم (أى أشد لوماً لنفسه بين يدى الله لأنه لا يجد منها عذراً يقبل أو يرد(٣) » .

فالمريدون الذين يتبعون بعض المتمشيخين من المتصوفة فى شطحاتهم ونزعاتهم المخالفة لكتاب الله (القرآن) وسنة النبى محمد عليه الصلاة والسلام هم أكبر طغياناً

---

(١) إنما فرضت الشهادة - وهي الموت فى نصر الحق - ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له فيبطل جحوده . (٢) لأنه إذا روعيت الأمانة في الأعمال أدي كل عامل ما يجب عليه فتنتظم شؤون الأمة . أما لو كثرت الخيانات فقد فسدت وكثر الاهمال فاختل النظام . (٣) نهج البلاغة .

وضلالا من الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله للقطع بأن أولئك لم يعبدوهم ، بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحللوا ما حللوا . وهذا صنيع المقلدين من هذه الأمة لشيوخ الضلال فهم أشبه بهم من شبه البيضة بالبيضة ، والتمرة بالتمرة ، والماء بالماء ، فياعباد الله ويا أتباع محمد بن عبد الله ، ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً ، وعمدتم إلى رجال مثلكم فى تعبد الله لهم بهما ، وطلبه للعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه ؟ فعملتم بما جاءوا به من الآراء الزائفة التى لم تعمد بعماد الحق ، ولم تعضد بعضد الدين ، ونصوص الكتاب والسنة . بل تنادى بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه ، فأعرتموهما آذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، وأفهاماً مريضة ، وعقولا مهيضة ، وأذهاناً كايلة ، وخواطر عليلة ، وأنشدتم بلسان الحال :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

فدعوا أرشدكم الله وإياى الوساوس والخرافات والبدع والضلالات ، واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم ، ومتعبدهم ومتعبدكم ، ومعبودهم ومعبودكم .

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن فى دينه كمخاطر

اللهم هادى الضال ، مرشد التائه ، موضح السبيل . اهدنا إلى الحق ، وأرشدنا إلى الصواب ، وأوضح لنا منهج الهداية . اه

ليس الاسلام بدين أمانى وأوهام ، بل هو دين إيمان مقرون بصالح الأعمال ، وقد وضع الله سنناً محكمة من اتبعها نجا وسعد ، ومن حاد عنها ضل وشقى .

قال تعالى : ﴿ ليس بأمانيكم ولا بأمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يُجزَ به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ . سورة النساء

يحيى أحمد الدرديرى

دكتور فى الحقوق وليسانسيه فى العلوم السياسية

الايمان وأثره

قدمنا ما يفيد أن الايمان تصديق النبي ﷺ في جميع ما جاء به مما علم من الدين واشتهر بين العام والخاص اشتهار الأمور الضرورية .

ومتى وقر الايمان فى النفس واطمأنت إلى الشرائع الاسلامية انبعثت الجوارح للعمل .

فأثر الايمان إذاً هو العمل الصالح ، ومجموع التصديق والعمل هو الايمان الكامل الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر اللهُ وَجِلتْ قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ . سورة الأنفال

وقد رتب الله سبحانه وتعالى المثوبة الأخروية والسعادة الدنيوية على الأمرين معاً (الايمان والعمل) فمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ـ الآية .

أما التصديق إذا خلا عن العمل فهو إيمان ناقص كالشجر الخالى من الثمرة ويخشى على صاحبه أن يجره الاندفاع فى المعاصى ، والخروج عن أمر الله تعالى ، إلى الكفر والعياذ بالله .

وأما الاسلام فهو الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى ظاهراً سواء أكان أساسه التصديق القلبي أم لا ، فالمنافق والزنديق مسلم وليس بمؤمن ﴿ قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ﴾ . فالاسلام لا يعتبر إلا مع الايمان والايمان لا يكمل إلا بالاسلام . فمن آمن وعمل صالحاً فهو مؤمن إيماناً كاملا ومسلم إسلاماً منجياً . وللوصول إلى الايمان الكامل لا بد من أمور : الصبر — اليقين — العدل — الجهاد .

١ — والصبر على أربع شعب : ١ ـ الشوق . ٢ ـ والاشفاق (الخوف) . ٣ ـ والزهد ، ٤ ـ والترقب . فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات ، ومن زهد فى الدنيا استهان بالمصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات .

ب ـ واليقين على أربع شعب : ١ ـ على تبصرة الفطنة . ٢ ـ وتأوّل الحكمة ٣ ـ وموعظة العبرة . ٤ ـ وسنة الأولين . فمن تبصر فى الفطنة تبينت له الحكمة ، ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة فكأنما كان فى الأولين .

ج ـ العدل على أربع شعب : ١ ـ غائص الفهم . ٢ ـ وغورْ (سر) العلم . ٣ ـ وزهرة (أحسن) الحكم . ٤ ـ ورساخةِ الحِلم . فمن فهم علم غورَ العلم ، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ، ومن حَلمَ لم يفرط فى أمره وعاش فى الناس حميداً .

د ـ والجهاد على أربع شعب : ١ ـ الأمر بالمعروف . ٢ ـ والنهى عن المنكر . ٣ ـ والصدق فى المواطن (مواطن النزال فى سبيل الحق) . ٤ ـ وشنآن (بغض) الفاسقين . من أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين ، ومن نَهى عن المنكر أرغم أنوف الكافرين ، ومن صدق فى المواطن قضى ما عليه ، ومن شَنِىءَ (أبغض) الفاسقين ، وغضب لله غضب الله له ، وأرضاه يوم القيامة (١) .

فالعمل من الايمان هو بمثابة الرأس من البدن فكما أنه لا بدن بلا رأس فكذلك لا إيمان بلا عمل . فالايمان بالله هو الاعتقاد بوحدانيته والعمل بأوامره . والايمان بالرسول صلوات الله عليه هو الاعتقاد بصحة رسالته والاقتداء به واتباع ما جاء به

فمن لازم الايمان الاسلام وهو الشهادة بالتوحيد وبالرسالة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والوضوء والغسل من الجنابة والغسل يوم الجمعة والصبر والشكر والورع والحياء والأمان والنصيحة وطاعة أولى الأمر والذكر وكف الأذى وأداء الأمانة ونصرة المظلوم وترك الظلم وترك الاحتقار وترك الغيبة وترك النميمة وترك التجسس والاستئذان وغض البصر والاعتبار وسماع الأحسن من القول واتباعه والدفع بالتى هى أحسن وترك الجهر بالسوء من القول والكلمة الطيبة وحفظ الفرج وحفظ اللسان والتوبة والتوكل والخشوع وترك اللغو والاشتغال بما يعنى وترك مالا يعنى وحفظ العهد والوفاء بالعقود والتعاون على البرّ والتقوى وترك التعاون على الاثم والعدوان والتقوى والبرّ والقنوت والصدق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

(١) نهج البلاغة . الجزء الثانى

وإصلاح ذات البين وترك إفساد ذات البين وخفض الجناح واللين وبرّ الوالدين وترك العقوق والدعاء والرحمة بالخلق وتوقير الكبير ومعرفة شرفه ورحمة الصغير والقيام بحدود الله وترك دعوى الجاهلية فإن النبي ﷺ يقول دعوها فإنها خبيثة والتودّد والحب فى الله والبغض فى الله والتؤدة والحلم والعفاف والبذاذة وترك التدابر وترك التحاسد وترك التباغض وترك التناجش وترك شهادة الزور وترك الهمز واللمز والغمز وشهود الجماعات وإفشاء السلام والتهادى وحسن الخلق والسمت الصالح وحسن العهد وحفظ السرّ والنكاح والانكاح وحب الفال وحب أهل البيت وترك الطيرة وحب الزوجة وحب الطيب وحب الأنصار وتعظيم الشعائر وتعظيم حرمات الله وترك الغش وترك حمل السلاح على المؤمن وتجهيز الميت والصلاة على الجنائز وعيادة المريض وإماطة الأذى وأن تحب لكل مؤمن ما تحب لنفسك وأن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما وأن تكره أن تعود فى الكفر وأن تؤمن بملائكة الله وكتبه ورسله وبكل ما جاءت به الرسل من عند الله إلى ما لا يحصى كثرة .

روى عبد الله بن عمر قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد ، أخبرنى عن الاسلام ؟ فقال : الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه . فقال : فأخبرنى عن الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت . قال : فأخبرنى عن الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال فأخبرنى عن الساعة ؟ قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال فأخبرنى عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون

فى البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت ملياً ، ثم قال : يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ؟ قال : فإنه جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم . . . » أخرجه الخمسة إلا البخارى . (١)

فى هذا الحديث الشريف نرى أن الايمان موضعه القلب فهو تصديق بالله وملائكته الخ والاسلام موضعه الجوارح كالنطق بالشهادتين وإقام الصلاة ، وقد قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الاسلام ﴾ أى الانقياد بالطاعة لأمره من العمل والانتهاء عن نواهيه فدليل صحة الايمان القيام بفروض الاسلام . وقد ورد فى الحديث المرفوع عن النبى ﷺ : ليس الايمان بالتمنى ولكن هو ما وقر فى الصدر وصدقه العمل . وإن قوماً ألهتهم أمانى المغفرة وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى ، كذبوا ولو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل .

وقد جاء القرآن الكريم من أوله إلى آخره يقرر بأن شرط الايمان الصحيح هو العمل ، فما ذكرت آية فيها الايمان إلا ومعها العمل الصالح .

وصحة الايمان وفلاحه متوقف على أداء ما افترضه الله تعالى واجتناب ما نهى عنه ، قال تعالى :

﴿ قد أفلحَ المؤمنون ۝ الذين هم فى صلاتهم خاشعونَ ۝ والذين هُمْ عن اللَّغوِ معرضون ۝ والذين هم للزكاةِ فاعِلونَ ۝ والذينَ هم لفروجهم حافظونَ ۝ إلاَّ على أزواجهم أو ما ملكَتْ أيمانهم فإنهمْ غيرُ ملومينَ ۝ فمنِ ابتغى وراءَ ذلكَ فأولئكَ هم العادونَ ۝ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعونَ ۝ والذين هم على صلواتهم يحافظون ۝ أولئكَ همُ الوارثونَ ۝ الذين يرثونَ الفردوسَ هم فيها خالدون ﴾ . سورة المؤمنون

قد تكلمنا عن الايمان وتعدد مظاهره من الأوامر والنواهى . والآن نتكلم عن الايمان بالقدر خيره وشره .

---

(١) تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول تأليف العلامة المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن الديبع الشيبانى الزبيدى الشافعى (الجزء الأول) .

خلق الله الخلق وقدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم والجزاء عليها ، وهذا النظام أقررناه فى حياتنا وأخذنا به فى معاشنا ومعاملتنا ، أرأيت لو أن صاحب مصنع من المصانع أراد أن يستخدم عمالا لخدمة صنعته أليس من المعقول أن يحدد عمل كل صانع ومتى يبدأ ومتى ينتهى وماذا يعمل وما هو أجره ، وعلى نتيجة عمله يكون حسابه ، وإذا لم ينظم صاحب المصنع شئون مصنعه وعماله حسب برنامج محكم مقرر لصار يتخبط ولحقه الفشل وحكم عليه بالجهل والقصور .

فالله سبحانه وتعالى وضع تصميم هذا الكون . وقدر فيه كل شىء وخلق الخلق لتنفيذ أمره وتحقيق مشيئته . وقدر لكل مخلوق عمله ورزقه وأجله . وعلى أعمالنا نحاسب ويكون الجزاء فإما نعيم مستديم وإما شقاء مقيم .

قال تعالى : ﴿ وكلَّ شىءٍ أحصيناهُ فى إمامٍ مُبين(١) ﴾ . وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر الذى كتب فيه كل شىء . يتضمن كتابه أعمال العباد قبل أن يعملوها والاحصاء فى الكتاب يتضمن علمه بها . وحفظه لهـا والاحاطة بعددها وإثباتها فيه . وقالت طائفة المراد بالكتاب فى الآية : اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه كل شىء . وهذه إحدى الروايتين عن ابن عباس . وهذا القول أظهر فى الآية والسياق يدل عليه . قال تعالى ﴿ وما من دابَّةٍ فى الأرض ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيهِ إلاَّ أممٌ أمثالكم ﴾ . سورة الأنعام

وهذا يتضمن أنها أمم أمثالنا فى الخلق والرزق والأكل . والتقدير الأول أنها لم تخلق سدى . بل هى معبدة مذللة قد قدر خلقها وأجلها ورزقها وما تصير إليه . ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فنائها ثم قال : ﴿ إلى ربهم يحشرون ﴾ . فذكر مبدأها ونهايتها وأدخل بين هاتين الحالتين قوله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ ما فرَّطنا فى الكتابِ من شىءٍ ﴾ أى كلها قد كتبت وأحصيت قبل أن توجد .

وقال تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملونَ ﴾ . الصافات . ﴿ وما خلقْنا السماءَ والأرضَ وما بينهما باطلاً ذلك ظنُّ الذين كفروا فويلٌ للذين كفروا

(١) سورة يس .

منَ النار ۝ أم نجعَلُ الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ كالمفسِدينَ فى الأرضِ أم نجعَلُ المتَّقينَ كالفُجّار ﴾ ۝ ﴿ أم حَسِبَ الذين اجترَحوا السيئاتِ أن نجعلَهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ سواءً مَحياهم ومماتُهم ساءَ ما يحكمونَ ۝ وخلق الله السموات والأرضَ بالحقّ ، ولتُجزى كلُّ نفسٍ بما كسَبتْ وهم لا يُظلَمون ﴾ . سورة الجاثية

قد يقال إذا كان الله كتب كل شىء وقدر كل شىء ففيم العمل ؟ والجواب العمل فى تنفيذ مشيئة الله تعالى وما أراده والجزاء يكون على حسب الطاعة أو العصيان والله تعالى يقول : إنه هو ﴿ الذى خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَكم (يختبركم) أيُّكم أحسنُ عملاً ﴾ . سورة الملك

فالايمان هو موضع امتحان المرء وكيف يكون موقفه إزاء الحوادث فى الرخاء والشدة والصحة والمرض والفقر والغنى . وكيف يكون صبره أو جزعه وبذله وتقتيره وجده وتوانيه وحبه وبغضه لله فيما أصابه .

قال تعالى : ﴿ أحَسِبَ الناسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون (يختبرون) ۝ ولقد فتَنّا الذين من قبلِهم فليَعلَمَنّ الله الذين صدقوا وليعلَمن الكاذبين ﴾ . سورة العنكبوت

وقال تعالى : ﴿ إنّا جعلنا ما على الأرضِ زينةً لها لنبلُوهم (نختبرهم) أيُّهم أحسنُ عملاً ﴾ . الكهف

فالأسباب والمسببات هى أقدار الله تعالى ويجب التمسك بها ما دام فى الانسان نفس يتردد كما يجب أن يجد ويعمل ويجتهد ما دام فيه قدرة على العمل وقد قال تعالى : ﴿ ومَنْ جاهد فإنّما يجاهدُ لنفسِه ، إنّ الله لَغنىٌّ عن العالمينَ ۝ والذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ لنُكفِّرَنّ عنهم سيئاتِهم ولنجزِيَنّهم أحسنَ الذى كانوا يعملون ﴾ . العنكبوت

﴿ مَنْ كفرَ فعليهِ كفرُهُ ومنْ عمِلَ صالحاً فلأنفسِهم يَمهَدُونَ ۝ ليَجزى

الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ﴾ . سورة الروم

والبلاء إما أن يكون فى النفس أو المال والولد والزرع فالله سبحانه وتعالى الذى أعطى ومنح له حق الأخذ واسترداد ما وهب لا لحاجة فى نفسه وإنما اختباراً وامتحاناً لعبده فان صبر زاد له فى الأجر وأجزل له فى العطاء . والانسان بين حالتين :

(ا) نعمة من الله يجب الشكر عليها وذلك باستعمال ما أنعم الله به عليه فيما وضع له كاستعمال العافية وهى من أجلّ النعم فى طاعة الله وفعل الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

(ب) وبلية يصبر عليها ويضرع إلى الله تعالى فى رفعها عنه فيكون له جزاء الصابرين . قال تعالى :

﴿ ولنبلونّكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين ٥ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنا إليه راجعون ٥ أولئك عليهم صلوات من ربّهم وأولئك هم المهتدون ﴾ . سورة البقرة

وقد أوذى المؤمنون فى صدر الاسلام بأشد أنواع الأذى وكان فى مقدمتهم رسول الله ﷺ فقد رأى من المشركين كثير الأذى وعظيم الشدة فى بدء دعوته خصوصاً إذا ذهب إلى الصلاة عند البيت فقد كان يرمى بالقاذورات ودميت قدماه من الرمى بالأحجار هذا عدا الاعراض والاستهزاء بدعوته ﷺ . وكما أوذى الرسول عليه الصلاة والسلام فقد أوذى أصحابه لاتباعهم له خصوصاً من ليس له عشيرة تحميه وترد كيد عدوه عنه . ولم يفتنهم ذلك عن دينهم ولا عن إيمانهم بالله تعالى وقد صبروا وصابروا وعملوا لنشر دين الله حتى أتم أمره على أيديهم وصاروا ملوك الأرض بعد أن كانوا مستضعفين فيها كما قال تعالى فى سورة القصص : ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ . وقد حقق الله تعالى ما أراده .

ومن الذين أوذوا بلال بن رباح كان يخرج به فى وقت الظهيرة فى الرمضاء وهى الرمل الشديدة الحرارة ثم يؤتى بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره وكان يقول : أحد

أحد . ومنهم زنيرة عذبت فى الله حتى عميت ولم يزدها ذلك إلا إيماناً . وممن عذب فى الله عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا يعذبون بالنار . ومنهم من مات تحت العذاب ولم يثنهم ذلك عن إيمانهم . وكثيرون غيرهم ليس هنا موضع تفصيله[1]

والرجل — كما قال العلامة ابن القيم — من يكون منازعاً للقدر لا من يكون مستسلماً مع القدر . ولا تتم مصالح العباد فى معاشهم إلا بدفع الأقدار بعضها ببعض . فكيف فى معادهم ؟ والله تعالى أمر أن تدفع السيئة وهى من قدَره بالحسنة وهى من قدره . وكذلك الجوع من قدره وأمر بدفعه بالأكل الذى هو من قدره . ولو استسلم العبد لقدر الجوع مع قدرته على دفعه بقدر الأكل حتى مات ، مات عاصياً . وكذلك البرد والحر والعطش كلها من أقداره وأمر بدفعها بأقدار تضادها . والدافع والمدفوع والدفع من قدره . وقد أفصح النبى ﷺ عن هـذا المعنى كل الافصاح إذ قالوا يارسول الله : أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها ، وتقى نتقى بها هل تردّ من قدر الله شيئاً ؟ قال : « هى من قدر الله » . وفى الحديث « إن الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والأرض فيعتلجان إلى يوم القيامة » . وإذا طرق العدو من الكفار بلاد الاسلام طرقوه بقدر الله ، أفيحل للمسلمين الاستسلام للقدر ، وترك دفعه بقدر مثله وهو الجهاد الذى يدفعون به قدر الله بقدره ؟ وكذلك المعصية إذا قدرت عليك وفعلتها بالقدر فادفع موجبها بالتوبة النصوح وهى من القدر .

ودفع القدر بالقدر نوعان : (أحدهما) دفع القدر الذى قد انعقدت أسبابه ولما يقع بأسباب أخرى من القدر تقابله فيمتنع وقوعه ، كدفع العدو بقتاله ، ودفع الحر والبرد ونحوه . (الثانى) دفع القدر الذى قد وقع واستقر بقـدر آخر يرفعه ويزيله كدفع قدر المرض بقدَر التداوى . ودفع قدر الذنب بقدر التوبة ، ودفع قدر الاساءة بقدر الاحسان ، فهذا شأن العارفين وشأن الأقدار ، لا الاستسلام لها وترك الحركة والحيلة ، فإنه عجز ، والله تعالى يلوم على العجز . فإذا غُلب وضاقت به الحيل ولم يبق لها مجال فهنالك الاستسلام للقدر . وأما فى حال القدرة وحصول الأسباب فالغناء النافع أن يغنى عن الخلق بحكم الله (تعالى) وعن هواه بأمر الله ،

---

(١) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للاستاذ الشيخ محمد الخضرى .

وعن إرادته ومحبته بإرادة الله ومحبته ، وعن حوله وقوته بحول الله وقوته وإعانته ، فهذا الذى قام بحقيقة « إياك نعبد وإياك نستعين (١) » .

وقد ورد فى الأثر عن الله تعالى قال : « يا ابن آدم إنما أمرتك وهذبتك لتستعين بى وتعتصم بحبلى ، لا أن تعصينى وتتولى عنى ، وأعرض عنك أنا الغنى عنك ، وأنت الفقير إلىّ ، أنا خلقت الدنيا وسخرتها لك لتستعد للقائى ، وتتزود منها لا لتعرض عنى وتخلد إلى الأرض ، إعلم أن الدار الآخرة خــير لك من الدنيا ، فلا تختر غير ما اخترت لك . ولا تكره لقائى فإنه من كره لقائى كرهت لقاءه ، ومن أحب لقائى أحببت لقاءه » . فالعمل هو دليل الإيمــان وشاهده وحجته . ولا ينبغى أن يتخذ القضاء والقدر معذرة فى الهروب من أداء الواجب وفعل الخير إلا فى حالة العجز التام ، لأن الحياة الدنيا هى امتحان دائم من بدء نشأتها حتى نهايتها ، لا يقر لها قرار ولا تدوم على حال ، فمن اتخذ العمل عدته ، ورضاء الله غايته ، فاز فيها بالنجاح ، وحظى فى آخرته بالفــلاح . قال تعالى : ﴿ فأمّا الذين آمنوا وعمِلوا الصالحات فيوفّيهم أجورَهم ويَزيدهم من فضله ﴾ . سورة النســاء

ثبت فى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : (١) أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، (٢) وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، (٣) وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى فى النار » .

وقد استشهد شيخ الإسلام الهروى بقوله تعالى فى أهل الكهف : ﴿ وربطْنا على قلوبهم إذْ قاموا فقالوا ربنا ربُّ السموات والأرضِ لنْ ندعوَ من دونه إلهاً . لقد قلنا إذاً شططا ﴾ . وهذا من أحسن الاستدلال والاستشهاد . فإن هؤلاء كانوا بين قومهم الكفار فى خدمة ملكهم الكافر ، فما هو إلا أن وجدوا حقيقة الإيمان والتوفيق ، وذاقوا حلاوته ، وباشر قلوبهم ، فقاموا من بين قومهم وقالوا : ﴿ ربنا رب السموات والأرض ﴾ الآية

---

(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية الجزء الأول ص ١٠٩ .

والربط على قلوبهم يتضمن الشد عليها بالصبر والتثبيت وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف . والربط على القلب عكس الخذلان . فالخذلان حله من رباط التوفيق فيغفل عن ذكر ربه ويتبع هواه . ويصير أمره فرطا . والربط على القلب شده برباط التوفيق فيتصل بذكر ربه ويتبع مرضاته ويجتمع عليه شمله(١)

وقد ورد فى الأثر : « لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه خمس خصال : التوكل على الله ، والتفويض إلى الله ، والتسليم لأمر الله ، والرضى بقضاء الله ، والصبر على بلاء الله ، إنه من أحب وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وأرفعها قول لا إله إلا الله . وقد بينا هذه الشعب فيما تقدم

وقد ورد فى الأثر : « إن العبد لا يكتب فى المسلمين حتى يسلم الناس من يده ولسانه ، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن جاره بوائقه ، ولا يعد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به البأس وإن من خاف البيات وأدلج فى السير وصل . وإنما تعرفون عواقب أعمالكم لو قد طويت صحائف آجالكم . إن نية المؤمن خير من عمله . ونية المنافق شر من عمله » .

وعظ رسول الله ﷺ قيس بن عاصم ، فقال : يا قيس إن مع العز ذلا ، وإن مع الحياة موتاً ، وإن مع الدنيا آخرة ، وإن لكل شيء حسيبا ، وعلى كل شيء رقيبا ، وإن لكل حسنة ثوابا ، ولكل سيئة عقابا ، وإن لكل أجل كتابا ، إنه لا بد يا قيس من قرين يدفن معك وهو حى ، وتدفن معه وأنت ميت ، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيما أسلمك ، ثم لا يحشر إلا معك ، ولا تبعث إلا معه ، ولا تسأل إلا عنه ، فلا تجعله إلا صالحاً ، فإنه إن كان صالحاً لم تأنس إلا به ، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلا منه ، وهو فعلك(٢) .

---

(١) مدارج السالكين للعلامة ابن القيم جزء ثالث ص ٤٣ .

(٢) الفتوحات المكية لابن العربي جزء ٤ ص ٥٤١

فلينظر الانسان فى أوامر الله ويروض نفسه على اتباعها أداء ونهيا . وليلجأ الى ربه فى كل الاحوال ليوفقه ويعينه ويهديه ويسدده.

قال موسى عليه السلام : يا رب لو خلقتنا فى الجنة وكفيتنا محن الدنيا ومصائبها وبلاياها . أليس كان خيرا لنا . قال : يا موسى قد فعلت بأبيكم آدم ما ذكرت ، ولكن لم يعرف حقها . ولم يحفظ وصيتى ولم يوف بعهدى . بل عصانى فأخرجته من الجنة . فلما تاب وأناب وعدته أن أرده اليها وآ ليت على نفسى أن لا يدخلها أحد من ذريته إلا من قبل وصيتى وأوفى بعهدى ، فلا ينال عهدى الظالمون ، ولا يدخل جنتى المتكبرون . لانى جعلتها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا . والعاقبة للمتقين ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . وستردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ سورة التوبة

اذا كان العمل دليل الايمان فالاخلاص والصبر عنوانه . والشجاعة والدأب عدته . والتضحية ومخالفة الهوى لنصرة الحق وسيلته . فما صح ايمان من لم يعمل وما انتصر ايمان لم يُضح فيه بالمال والشهوات

وعلى قوة ايمان المرء يكون ثباته أمام الصعاب . وتغلبه على العقبات والاخلاص للايمان بمنزلة الماء فى العود الاخضر فاذا نضب معينه أصبح حطبا ذابلا ، وقد قيل « انه ليبلغ باعمال الاميين الطالبين فى كل ما يصنعون وجه الله من غايات البر والخير ما ليس يبلغ بحذق العلماء الذين لا يطلبون وجه الله انما يطلبون أغراضهم ومآربهم »

كان زعيم الوطنية المصرية مصطفى كامل باشا امام المجاهدين فى عصره وشيخ المؤمنين بحقوق أمته وحريتها فى دهره يرد على أعدائه الذين يريدون أن يثنوه عن عزمه لوعورة الطريق وطولها ، بذلك القول الحار : « مهما تعددت الليالى وتعاقبت الايام . وأتى بعد الشروق شروق . وأعقب الغروب غروب . فاننا لا نمل ولا نقف فى الطريق . ولا نقول أبدا قد طال الانتظار

« اننا وجهنا قلوبنا ونفوسنا وقوانا وأعمارنا الى أشرف غاية اتجهت اليها الامم فى ماضى الايام وحاضرها . وأعلى مطلب ترمى اليه فى مستقبلها

فلا الدسائس تخيفنا ، ولا التهديدات توقفنا فى طريقنا . ولا الشتائم تؤثر علينا

ولا الخيالات تزعجنا . ولا الموت نفسه يحول بيننا وبين هذه الغاية التى تصغر بجانبها كل غاية

«نعم لو أخذنا الموت من هذه الدار واحداً بعد واحد لكانت آخر كلماتنا لمن بعدنا كونوا أسعد حظاً ، وليبارك الله فيكم ويجعل الفوز على أيديكم ، ويخرج من الجماهير المئات والألوف بدل الآحاد للمطالبة بالحق الوطنى والحرية الاهلية . والاستقلال المقدس » . وقد بَرّ الزعيم العظيم بقوله فكانت حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله وقفاً على الدفاع عن حقوق أمته ودليلا صادقا على صدق ايمانه . ومات وهو فى ريعان الشباب فى ميدان العمل . فكان إماما للعاملين . وعلما يهتدى به المؤمنون بحقوق بلادهم والعاملون على نصرتها . قال تعالى ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا هل أدُلُّكم عَلى تِجارَةٍ تُنْجيكم منْ عَذاب أليم . تُؤْمنونَ بالله ورسولِهِ . وتجاهِدُونَ فى سَبيلِ الله بِأَموالكم وأَنفُسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كُنْتُمْ تَعْلمون ﴾ . سورة الصف

﴿ إنَّما المؤمنونَ الَّذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلتْ قلوبُهُم واذا تليَتْ عليهم آياتُه زادتهُمْ إيماناً وَعلى رَبِّهِمْ يَتوَكَّلونَ ه الذينَ يُقيمونَ الصلاةَ ومِمّا رزقناهُم يُنفِقونَ ه أولئكَ هم المؤمنونَ حقّا لهمْ دَرجاتٌ عِندَ رَبِّهِم ومَغفِرَةٌ ورِزْقٌ كريمٌ ﴾ سورة الانفال

﴿ والمؤمنون والمؤمناتُ بَعْضُهمْ أَوْلياءُ بَعض يأمُرونَ بالمعروفِ وَينْهَوْنَ عن المنكر ويُقيمونَ الصلاةَ ويُؤْتون الزكاةَ ويُطيعون الله ورسولَهُ . أولئك سَيَرْحَمُهمُ الله إنَّ الله عزيزٌ حكيمٌ ﴾ سورة التوبة

لا اله الا الله
كلمة التوحيد وأثرها

لا إله إلا الله كلمة السلام التى أتت بها الرسل كافة ، ودعت اليها العقول السليمة لفض النزاع القائم بين رغبات الانسان وخضوعها لسلطان الهوى الضال . فلا إله إلا الله دعوة رب الأكوان وما حوت الى البشر وهم خلقه وعبيده ليتحرروا من عبادة غيره ، فلا يذلوا لمخلوق ولا يخضعوا الا للخالق الاكبر فيأتمروا بأمره وينتهوا بنهيه فيما جاءهم من طريق وحيه لرسله .

لا إله إلا الله هو وحده المنفرد بالعبودية ، وهو وحده الذى يجب أن ينفرد بالحب والطاعة ، لأنه خالق كل شيء ، والمدبر لكل شيء ، وبيده كل شيء : من حياة وموت ، وغنى وفقر ، وصحة ومرض ، وسعادة وشقاء ، واليه الأمر أولا وآخراً .

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

يختلف أفراد البشر بعضهم عن بعض يسراً وعسرا ، وجهلا وعلماً ، وسقما وعافية ، ومهانة وعزاً ، وضعفاً وقوة . وذلك فضل الله عليهم وحكمه فيهم ، الا انهم كلهم محتاجون الى عنايته ورحمته . يتساوى فى الفقر اليه جل جلاله الانبياء والاولياء والعلماء والجهلاء ، والضعفاء والاقوياء والملوك والصعاليك فهو بيده وحده الهواء وتصريفه ، والضوء وتدبيره ، والماء وتكوينه . وهذه من لوازم الحياة التى لا توجد الا بها سواء فى ذلك الانسان والحيوان والنبات ، فالله تعالى هو القاهر فوق عباده ، والكل فقير اليه ، وان ملك الدنيا بأسرها

ما الثورات فى الازمان الحاضرة ضد الباطل والعدوان والعقائد الزائفة الا صدى لاصوات الانبياء والرسل فى الازمان الغابرة . على ان الانسان لا يملك من أمر أخيه الانسان شيئاً الا فى حدود تبادل المنفعة القائمة على العدل والرحمة . وما ينبغى لبشر أن يستعبد اخوانه فى سبيل شهواته وهواه

لا إله إلا الله هى منار العالمين ، وقبلة الموحدين ، ونور المهتدين ، وملجأ الضعفاء والبائسين ، وعياذ اللاجئين ، ونذير الظالمين

قال ﷺ : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إلا الا الله وحـــده لا شريك له » . رواه البخارى ومسلم

دعا جميع الرسل الى توحيد الله وعبادته من أولهم الى آخرهم ، فقال نوح عليه السلام لقومه : ﴿ اعبُدوا اللهَ ما لكم مِن إلهٍ غيره ﴾ . (سورة الاعراف) . وكذلك قال هود وصالح وشعيب وابراهيم ، قال تعالى : ﴿ ولقد بعثْنا فى كل أمةٍ رسولا أن اعبُدوا اللهَ واجتَنِبوا الطاغوت ﴾ . (سورة النحل) وقال : ﴿ وما أرسلنا من قبلكَ من رسول الا نُوحى اليه انه لا إله إلا أنا فاعبُدون ﴾ . (سورة الانبياء) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الرُسلُ كلوا من الطيّباتِ واعملوا صالحا إنى بما تعملون عَليم . وانّ هذه أمتُكم أمة واحدةً وأنا ربُكم فاتقون ﴾ (سورة المؤمنون)

ان حقيقة الالهية لا تنبغى الا لله سبحانه وتعالى ، وان العبادة موجَب إلهيته ، وأثرها ومقتضاها . وارتباطها بها كارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة ، والاصوات بالسمع . وقد صرح تعالى بهذا فى قوله : ﴿ وما خلقتُ الجنّ والانسَ الا ليعبدون ﴾ . (سورة الذاريات) . فالعبادة هى الغاية التى خلق لها الجن والانس والخلائق كلها . قال الله تعالى فى سورة القيامة : ﴿ أيحسَبُ الانسان أن يُترك سُدَى ﴾ أى مهملا . قال الشافعى : لا يؤمر ولا ينهى . وقال غيره : لا يثاب ولا يعاقب . والصحيح الامران فان الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهى . والامر والنهى هو طلب العبادة وارادتها . وحقيقة العبادة امتثالها . قال تعالى : ﴿ وخلق اللهُ السمٰواتِ والارضَ بالحق ولتُجزَى كلُّ نفس ما كسبت ﴾ (سورة الجاثية)

خلق الله الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع والانقياد لامره . فأصل العبادة محبة الله ، بل افراده بالمحبة ، وأن يكون الحب كله لله ، فلا يحب معه سواه ، وانما يحب لأجله وفيه ، كما يحب أنبياؤه ورسله وملائكته وأولياؤه ، فمحبتنا لهم من تمام محبته . وليست محبة معه كمحبة من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحبه . واذا كانت المحبة له هى حقيقة عبوديته وسرها ، فهى انمـــا تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه . ﴿ والذين آمنوا أشدُ حبًا لله ﴾ . (سورة البقرة)

أوامر الله ونواهيه دل عليها القرآن الكريم ، وبينها رسوله العظيم ، وأرشد اليها جماعة المسلمين من السلف الصالحين . ولكن ما لبثت هذه الهداية على الارض غير

يسير من الزمن حتى أخرجها فريق من ذوى المـآرب عن غايتها . وأوّلوها على غير وجهها لغاية دنيوية ، وباعوا آخرتهم بدنياهم . وكان عهد الوثنية قريباً منهم . فحنوا الى أن يروا معبوداً يلمس . فبعض من هؤلاء وصفوا الله سبحانه وتعالى على غير ما وصف به نفسه ، ونسبوا له الجسدية والمكان والزمان ، وأولوا الآيات المتشابهة فى القرآن الكريم والأحاديث على غير وجهها الصحيح ، وهو ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميعُ البصير ﴾(سورة الشورى) ، فكان عملهم حدثاً فى الدين ، وهدما لصحة اليقين

ان مذهب السلف والخلف — بالنسبة للآيات والاحاديث المتشابهة — أن قد اتفق الكل علـى أن الله تعالى منزه عن صفات الحوادث ، فليس له عز وجل مكان فى العرش ولا فى السماء ولا فى غيرهما ، ولا يتصف بالحلول فى شىء من الحوادث ولا بالاتصال بشىء منها ولا بالتحول والانتقال ونحوهما من صفات الحوادث بل هو سبحانه وتعالى على ما كان عليه قبل خلق العرش والكرسى والسموات وغيرها . قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والاحاديث التى جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير اهـ . وانما اختلفوا فى بيان المعنى المراد من هذه الآيات والاحاديث فالسلف رضى الله تعالى عنهم يؤمنون بها كما وردت معتقدين أنها مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى فى سورة الشورى ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميعُ البصير ﴾ ويفوضون علم المراد منها الى الله تعالى لقوله عز وجل فى سورة آل عمران ﴿ وما يعلمُ تأويلَه الا الله ﴾ فيقولون فى آية ﴿ الرحمنُ على العرش استوَى ﴾ فى سورة طه : استوى استواء يليق به لا يعلمه إلا هو عز وجل ، الخ

كثرت البدع وضلت الناس : بين عالم فاجر ، ومتصوف جاهل ، وأدعياء فى العلم يتجرون بدينهم لدنياهم . قال سيد الطائفة الصوفية وشيخهم الجنيد بن محمد رحمه الله : الطريق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى آثار الرسول ﷺ . وقال : من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الامر لان علمنا مقيد بالكتاب والسنة . وقال : مذهبنا هذا مقيد بالاصول الكتاب والسنة

وقال أبو حفص رحمه الله : من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب

والسنة ولم يتهم خواطره فلا يعد فى ديوان الرجال

وقال السرى : التصوف اسم لثلاثة معان لا يطفىء نور معرفته نور ورعه . ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب . ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله

وقال أبو يزيد البسطامى رحمه الله : عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد علىَّ من العلم ومتابعته بالعمل، ولولا اختلاف العلماء لبقيت، واختلاف العلماء رحمة إلا فى تجريد التوحيد . وقال مرة لخادمه قم بنا الى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه لنزوره فلما دخل عليه المسجد تنخع (بصق) ثم رمى بها الى نحو القبلة فرجع ولم يسلم عليه ، وقال هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ ، فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه ؟ وقال هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفينى مؤنة النساء . ثم قلت كيف يجوز لى أن أسأل الله هذا ولم يسأله رسول الله ﷺ ؟ ثم إن الله كفانى مؤنة النساء حتى لا أبالى استقبلتنى امرأة أو حائط . وقال : لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات الى أن يرفع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة

ابتلى الاسلام بطائفة من الناس أوّلوا كتاب الله تعالى على غير وجهه ونسبوا اليه ما لم ينسبه الى نفسه ، آخذين بظاهر القول فضلوا وأضلوا ، ولو علموا أن الله تعالى يخاطب الناس على أقدارهم فى الفهم لا على قدره حتى يسلكوا طريقه ويفهموا ما يريده منهم لما تورطوا فى الضلال وخرجوا من نور الايمان الى ظلام الشرك

ان الذين نسبوا الى الله المكان والزمان وقالوا انه فوق عرشه كما قال تعالى « الرحمن على العرش استوى » فاولئك هم الذين حكمت عليهم حواسهم المادية على أن لا يبرحوها الى غيرها أو الى ما هو وراءها . ولو نظر الانسان الى هذه المسائل على ضوء نور العلم الحديث لعلم أن الله كان ولا مكان ولا زمان وهو على ما كان عليه . لأن الزمان والمكان هما حادثان ، فالزمان نتيجة لحركة الأفلاك حول بعض الافلاك الاخرى كالشمس والقمر والارض ، والمكان هو نتيجة لخلق هذه الافلاك وبما أن الافلاك كلها دائرة صغيرها وكبيرها فى مدار واسع عجز أن يحده علم الفلك الحديث ، وقد قال لنا ان الكون لا نهاية له ، ومعنى هذا أن الفضاء الذى تسبح فيه

الكواكب المنظورة ـ وهى محدودة بطبعها ـ وغير المنظورة ـ غير محدودة ـ فالافلاك كلها بما فيها السموات السبع تدور فى فضاء لا نهاية له وقد قالوا ان الشمس فى السماء الرابعة والله أجل وأعظم من أن يضع ذاته المقدسة فى كوكب دوار مهما عظم ذلك الكوكب ليسبح به ، وهذا الكوكب لا يسير ولا يدبر أمره الا بقدرته كما ان جميع الافلاك الأخرى ما علم منها وما لم يعلم تسير بتدبيره وحكمته وهى فى قبضته وتحت سلطانه . فاذا فرضنا أن انساناً له صحراء واسعة لا نهاية لها وبنى فيها بيتاً من سبع طبقات ونصب فيه آلات وعمالا ووضع فيه ساعات تحد أوقات العمل للعمال وسن لهم نظاما يسيرون عليه ووكل بهم من يسهرون على تنفيذ هـذا النظام بدقة محكمة فهل يقتضى ذلك أن يكون صاحب البيت ساكناً فيه وخاضعاً لنظامه ؟ كلا !

ولا يفهم من ذلك أن صاحب البيت فى الدور السابع ولا فوق عرش البيت ! ولا يفهم من ذلك أيضاً أن صاحب البيت خاضع لنظام عماله وعبيده ؟ ولا يفهم من ذلك أن حياة صاحب البيت كحياة ساكنيه ولا يكون ذلك الفهم الا من قياس الغائب على الحاضر وكثيرا ما يكون فاسداً . وقد سألنى مرة أحد اخوانى الفلاحين ماذا يأكل جلالة الملك ؟ فرد عليه فلاح آخر وقال : ماذا تظن انه يأكل ! ! وأجاب انه يأكل فطيراً وعسلا وهذا أشهى ما يأكله المجيب . فهذا مثل من قياس الغائب على الحاضر . ولو عددت لاخينا الفلاح ما يأكله جلالة الملك لما فهم ما أقوله له مما لم يقع تحت حسه ! ! فهل لو قلت له انه يأكل أكك قطايف مثلا فهل يفهم ذلك اذا لم يكن سمع به أو رآه ؟؟ . وهكذا نحن بالنسبة لما لا نعرف نتورط بالفهم وكثيرا ما نضل فى فهم الغائب والمجهول . !!

ويجب أن نقف عند قوله تعالى فى سورة الشورى ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾

كلام الله ونزوله ومعيته

أمعن جماعة المشبهة والمجسدة فى الفساد فى الفهم والضلال فى الرأى فنسبوا الى الله تعالى انه يتكلم بصوت وان له حركات تشبه حركات الانسان . قال تعالى فى سورة النساء ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ لو ان الباحثين وراء سر ذات الله وحقيقة

صفاته سلكوا سنة البحث العلمى وتدرجوا من كشف سر آيات الله الحاضرة الى حقيقة ذات صاحب هذه الآيات المعجزات لعذرناهم ، أما وقد عجزوا عن الكثير من سر هذه الآيات التى لا تتناهى ولا تنقطع عن النظر ولا تخفى على الحس ، فهذا مما يدل على أنهم يريدون أن يداروا عجزهم ويخفوا جهلهم وما قبح من ضلالهم . لو سألنا أمثال هؤلاء ما هى حياة النبات والحيوان والانسان ونماؤه ، أو ما حقيقة النور والكهرباء والمغناطيس ؟؟ !! وهى أشياء يرون أثرها ويجهلون كنهها وحقيقتها ؟! لما وسعهم أن يقولوا لنا جوابا شافياً !! وهذه بعض آثار الله الدالة على قدره وهو أجل وأكبر مما صنع .

ولو قلنا لهم ليس من لوازم الكلام الصوت والحركة الجسمانية وهاكم البرهان :

يرى النائم أنه يخاطب انساناً ويتفاهم معه ويرى أشياء قد لا يكون رآها ، فهل هذا التخاطب حدث بحاسة اللسان والسمع وهما معطلتان تمام التعطيل بأثر النوم !! هذه أشياء يحسها كل انسان ومع ذلك يعجز العلم الحديث عن تعليلها تعليلا صحيحاً لأن هذا من خواص النفس التى نعرف آثارها فينا وفى غيرنا ونجهل حقيقتها جهلا تاماً ، فاذا كنا نجهل أنفسنا جهلا مطبقاً فنحن عن سر ذات الله وحقيقة صفاته أجهل . قال تعالى فى سورة الذاريات : ﴿ وفى أنفُسكم أفلا تُبصرون ﴾ وورد فى الأثر « من عرف نفسه عرف ربه » . !!

نزول الله ومعيته كما ورد فى الحديث « ينزل ربنا عز وجل كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه ومن يستغفرنى فأغفر له » وقال تعالى فى سورة الفجر ﴿ وجاء ربُّكَ والملَكُ صَفاً صَفا ﴾ وقال تعالى فى سورة الحديد ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ ان الله عز وجل يخاطب الناس على أقدارهم وبقدر معلوماتهم الصغيرة لا على قدره وواسع علمه ، ولأجل أن نفهم ما يريده الله تعالى يجب أن نعرف ما جاء به كتابه الكريم من وصف قدرته البالغة حد الكمال والقهر . وليس عندى أبلغ فى السمع وأروع فى النفس من قوله تعالى فى سورة يس ﴿ إنما أمرُه إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له كنْ فيكون ﴾ .

فمجىء الله ونزوله يجب أن يعرفا بما عرف الله تعالى به نفسه ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ وأما اذا فهمنا منه الحركة الآلية فهذا دليل العجز وتعالى الله

عن ذلك علواً كبيراً ، لأنى أذهب الى الشيء اذا أعجزنى حضوره وأما اذا أمكننى حضوره بدون سعى كان من العبث السعى اليه .

فالله القاهر فوق عباده والكل مسخر لأمره من ملائكة وجن وانس وحيوان وهواء وماء وأفلاك تسير بتدبيره وقدرته ، والعالم كله فى حركة دائمة وهو فى قبضته. فكيف اذاً يعصى عليه مخلوق يحتاج الله تعالى أن يسير اليه ؟؟ واذا كان أحد أصحاب سليمان عليه السلام استطاع أن يأتى بعرش بلقيس العظيم قبل أن يرتد طرفه أى فى لمح البصر على بعد المسافة ، وان المشتغلين بعالم الارواح أثبتوا أن الروح تحمل أشياء مادية من أقصى الارض ومن مسافات بعيدة فى مدة وجيزة لا يستطيع العقل تعليلها على ضوء العلم المادى ، وهذه مخلوقات صغيرة ، فكيف بقدرة الله البالغة التى لا يعجزها شيء فى الارض ولا فى السماء !!!

آثار صفات الله عز وجل هى كآثار الذات المقدسة عن الشبيه والنظير والتى ليس كمثلها شيء ، انما حيث ان الانسان يؤثر فى نفسه وجود الذات أكثر من وجود الصفات فاذا أراد الله أن يفهم الانسان أمراً قاطعاً خاطبه بوجود الذات الذى يدل على وقوع الامر . فاذا قلنا جاء الملك فلا يفهم من ذلك ضرورة حضوره بالذات انما جاء أمره الذى يتحقق تنفيذه كما لو حضر بشخصه . وهذه الصيغة أروع فى النفس مما لو قلنا جاء أمر الملك بكذا . فالحركة الجسمانية عندى دليل العجز والفاقة فأنا أسعى الى رزقى اذا احتجت اليه وأنا أسعى لاقهر عدوى اذا رغبت فى النصر عليه . ولولا فاقتى وحاجتى ما تحركت . والله عز وجل غنى بذاته عن كافة خلقه ، وهم المحتاجون اليه احتياج فاقة وضرورة لا يستطيعون البقاء الا بأمره ورحمته .

قال الامام على رضى الله عنه فى التوحيد : « ما وحده من كيفه ، ولا حقيقته أصاب من مثله ، ولا إياه عنى من شبهه ، ولا صمده (قصده) من أشار اليه وتوهمه . . . لا يجرى عليه السكون والحركة . وكيف يجرى عليه ما هو أجراه ، ويعود فيه ما هو أبداه ، ويحدث فيه ما هو أحدثه ؟ اذن لتفاوتت ذاته ، ولتجزأ كنهه ، ولامتنع من الازل معناه ، ولكان له وراء ، اذا وجد له أمام ، ولالتمس التمام اذا لزمه النقصان . واذن لقامت آية المصنوع فيه ، ولتحول دليلا بعد أن كان مدلولا عليه ، وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ، ما لا يؤثر فى غيره .

الذى لا يحول ، ولا يزول ، ولا يجـــوز عليه الأفول . ولم يلد فيكون مولوداً ، ولم يولد فيصير محدودا . جلّ عن اتخاذ الأبناء ، وطهر عن ملامسة النساء . لا تناله الأوهام فتقدره ، ولا تتوهمه الفطن فتصوره . ولا تدركه الحواس فتحسه ، ولا تلمسه الايدى فتمسه . لا يتغير بحال ، ولا يتبدّل بالأحوال ... ولا يقال له حدّ ولا نهاية ، ولا انقطاعُ ولا غاية . ولا ان الاشياء تحويه ، فتقله أو تهويه (تحطه) . أو أن شيئا يحمله فيميله أو يعدله . يخبر لا بلسان ولهوات ، ويسمع لا بحروف وأدوات . يقول ولا يلفظ ، ويحفظ ولا يتحفظ (يتكلف بحفظ) . ويريد ولا يضمر . يحب ويرضى من غير رقة ، ويبغض ويغضب من غير مشقة . يقول لمن أراد كونه كن فيكون ، لا بصوت يقرع ، ولا بنداء يسمع . وانما كلامه سبحانه فعل منه .[١]

أحاط علم الله بجميع المعلومات ، وعلت قدرته فوق المقدورات ، لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماوات ، أمره نافذ فى جميع الكائنات . كان الله ولم يكن شيء ، وهو الخالق لكل شيء ، وهو الآن على ما كان عليه ، وجل ربى أن يوجد بشيء أو يفقد بشيء ، فهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

العبودية الخالصة لا تكون الا لله تعالى

كان الله تعالى كنزاً مخفياً فأراد أن يُعرف فخلق الخلق وبه عرفوه ، خلق عز وجل الاكوان من أجل الانسان ، وهو دليل عظمته وقدرته . وخلق الانسان من أجله ، ولذلك لا يجب أن يشتغل بما هوله عما خلق من أجله .

وكلمة لا إله إلا الله تنفى عن الله الشريك له . فهو تعالى المعبود ، وهو المحبوب وهو المقصود ، فلا يخاف سواه ، ولا يخشى ولا يحب الا اياه .

وحب الله يستتبع كل من أحب : محبة الملائكة والرسل والانبياء والأولياء والصالحين من الخلق ، وعمل الخير والبعد عن الشر ، واتباع أوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه ، وأن يرضى الانسان بقضائه ويشكر نعماءه .

وَفد قوم على رسول الله ﷺ فقال : من أنتم ؟ فقالوا : مؤمنون . فقال : ما علامة ايمانكم ؟ فقالوا : الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضاء بمر

---

(١) نهج البلاغة .

القضاء ، والصدق فى مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالاعداء . فقال : حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء .

وقال رسول الله ﷺ « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان » .

وقال بعض العارفين : أصل العبادة أن لا ترد من أحكامه شيئاً ، ولا تسأل غيره حاجة ، ولا تدخر عنه شيئاً . وقال آخر : أن ترضى بالله مدبرا ومختاراً ، وترضى عنه قاسماً ومعطياً ومانعا ، وترضاه إلها ومعبودا .

أتى كتاب الله الكريم وسنة نبيه الرحيم بخالص العبودية لله تعالى فكان هذا فتحاً جديداً لتحرير الانسان من عبودية الاغيار تصغر معه كل ثورة فى تحرير الانسانية ، وتتضاءل معه كل حركة قومية أو عالمية فى محاربة الاستعباد .

فلا إله الا الله تقول للبشر كافة : ان الهكم اله واحد فاعبدوه ، بيده الخير والشر فهو وحده الذى تخافونه وتخشونه ، ان أصابكم بالشر لسبب عصيانكم فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردكم بالخير فلا راد لفضله ، فيجب أن لا تعتمدوا الا عليه ولا تقصدوا إلا إياه ولا تحلفوا الا به . وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » .

وصح عن النبى ﷺ أنه قال لرجل قال له : ما شاء الله وشئت « أجعلتنى لله ندا عدلا ؟ قل ما شاء الله وحده » .

تعددت ضروب الشرك بين العباد لاغفالهم ذكر لا إله الا الله والوقوف عند حدها ، ووهنت عقيدتهم ، وضعف ايمانهم فأصبحنا نسمع كثيراً قول الرجل للرجل : ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، وما لى الا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا .

ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ فانه شرك من الساجد والمسجود له .

ومن أنواع الشرك التوبة للشيخ فانها شرك عظيم فان التوبة لا تكون الا لله كالصلاة والصيام والحج والنسك فهى خالص حق الله ، وفى المسند أن النبى ﷺ أتى بأسير فقال اللهم إنى أتوب اليك ولا أتوب الى محمد فقال النبى ﷺ « عرف الحق لاهله » .

ومن أنواع الشرك : النذر لغير الله فانه شرك وهو أعظم من الحلف بغير الله ، وقد جاء فى السنن من حديث عقبة بن عامر عنه ﷺ « النذر حلفة » ، وعن سعيد بن الحارث قال سمعت ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول : أو لم تُنْهوا عن النذر قال رسول الله صلوات الله عليه « ان النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخره ، وانما يستخرج به من البخيل » أخرجه الخمسة الا الترمذى ، هذا فيما اذا كان النذر لله فكيف به لغير الله .

ومن أنواع الشرك : الخوف من غير الله ، والتوكل على غير الله ، والعمل لغير الله ، والانابة والخضوع والذل لغير الله ، وابتغاء الرزق من عند غيره ، وحمد غيره على ما اعطى والغنية بذلك عن حمده سبحانه والذم والسخط على ما لم يقسمه ولم يجر به القدر واضافة نعمه الى غيره واعتقاد أن يكون فى الكون ما لا يشاؤه .

ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستعانة بهم والتوجه اليهم ، وهذا أصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلا عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته ، أو سأله أن يشفع له الى الله فيها .

والميت محتاج الى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبى ﷺ اذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة [١] .

ان فضل الله تعالى عمّ جميع خلقه فهم كما يتفاوتون فى الارزاق والعلم كذلك يتفاوتون فى التقرب منه . وقد خص أنبياءه ببعض معجزاته كما خص أولياءه ببعض كراماته ، الا أن محض عبوديته وواسع كرمه كفيل بأن يعطى كل من سأله ودعاه « والدعاء مخ العبادة » ولا معبود غير الله تعالى وقد ورد فى الأثر الحديث القدسى عن الله تعالى قال عز وجل « يا عبادى لو أن اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئا . ياعبادى لو أن اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط (الأبرة) اذا دخل فى البحر » . ان كرم الله لواسع . ورزقه أكثر من خلقه . ورحمته أكبر من ملكه ، وقد وسعت كل شىء . فيجب أن يكون الله تعالى هو وحده المسئول . وهو وحده المقصود . وهو وحده المعبود .

---

(١) راجع كتاب (مدارج السالكين) للعلامة ابن القيم ج ٢ .

روى عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال : كنا عند النبى ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تبايعون رسول الله ؟ فبسطنا أيدينا وقلنا علام نبايعك يا رسول الله ؟ قال : على أن تعبدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئاً وتصلوا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا - وأسر كلمة خفية قال - ولا تسألوا الناس شيئاً ، قال : فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم (أى عصاه) فما يسأل أحداً يناوله إياه .

ان الوسيلة للتقرب الى الله تعالى هى طاعته والتزام أمره ، وذلك واضح البيان فى كتابه العزيز وفى سنة نبيه صلوات الله عليه ، قال تعالى ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه[1] ﴾ فابتغاء الوسيلة اليه طلب القرب منه بالعبودية والمحبة وقد ذكر مقامات الايمان الثلاثة التى عليها بناء الحب والخوف والرجاء ؛ وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً[2] ﴾ .

لن يعود للاسلام مجده ولا المسلم عزه الا اذا عاد الى ربه وأناب اليه ، وخلع ما فيه من ربقة الالحاد ، وخرج من الانغماس فى الشهوات ، وعبد الله تعالى فى اخلاص وعزم فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاه لله وذله لله وتوكله على الله وأخلص قصده لله متبعا لامره متطلبا لمرضاته ؛ فاذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله واذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله . روى الترمذى فى السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال له « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » وقد قال بعض العارفين : ارض عن الله فى جميع ما يفعله لك فانه ما منعك الا ليعطيك ولا ابتلاك الا ليعافيك ولا أمرضك الا ليشفيك ولا أماتك الا ليحييك فاياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين فتسقط من عينه .

وليكن شعار كل مسلم دائما العمل لله وبالله والى الله يفز بعز الله فى الحياة الدنيا وبسعادة الآخرة .

---

(١) سورة الاسراء (٢) سورة الكهف

النظافة أو الطهارة

الوضوء وفائدته – الغسل من الجنابة – الملاعن الثلاثة – الاسلام والنظافة الاسلام وحفظ الصحة – شهادة أحد علماء الغرب

عنى الاسلام عناية شديدة بنظافة المسلم من الناحيتين الظاهرة والباطنة ، فصحة الأبدان وسلامة الأرواح والنفوس هى دعامة السعادة الدنيوية والأخروية ، لأن الأوساخ والأقذار هما سبب الامراض وضعف الجسم لما فيهما من الميكروبات والجراثيم القتالة . واذا أصيب الانسان بالمرض وضعف ضعفت معه نفسه وعقله وقد قيل العقل السليم لا يوجد إلا فى الجسم السليم . ولذلك دعا الاسلام معتنقيه أن يتنظفوا فى ظاهرهم فيغتسلوا وأن تكون أجسامهم وثيابهم نظيفة ، كما تكون نفوسهم كذلك بعيدة عن الغل والحسد والكبر وكل الصفات الذميمة ، وقد جاء فى الجامع الصغير للسيوطى حديث رواه الخطيب عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الاسلام نظيف فتنظفوا فأنه لا يدخل الجنة إلا نظيف » .

وقال صلى الله عليه وسلم « الطُّهور شطر الايمان » رواه مسلم والنسائى والترمذى – والطهور بضم الطاء أى الطهارة من الادناس الباطنة كالرياء والخداع والكبر والحسد والبخل والغضب . ومن الارجاس الظاهرة التى تلصق بالجسم والثياب . وشطر الايمان أى جزء منه أو نصفه . فالطهارة [1] لعظم شأنها وتوقف صحة العباده عليها نصف الايمان فى الاعتبار والثواب .

---

(١) الطهارة يراد بها فى الفقه ازالة النجاسة والوضوء والغسل والتيمم لازالة الحدث . والمطهرات الشرعية الماء ، والتراب ، والحجر ، والدبغ – وقد خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شىء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه ، قال تعالى ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ .

والنجاسة معناها القذارة . وهى ضد الطهارة ، وانواعها : الدم (ما عدا الكبد والطحال) ، والقيح (وهى المدة التى يخالطها دم) ، والصديد (وهو ماء الجرح المختلط بدم وما يسيل من القروح) ، والقىء ، والمسكر المائع ، وما يخرج من السبيلين – أى

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عشر (أى عشر خصال) من الفطرة (أى السنة التى أمرت بها الأنبياء) : (١) قص الشارب (٢) واعفاء اللحية (٣) والسواك (عود من شجر الاراك يستعمل لتنظيف الاسنان وهو كفرشاة الاسنان) (٤) واستنشاق الماء (أى تنظيف الانف بالماء أى جذبه بالنفس ونثره ثانيا لنظافته) (٥) وقص الاظافر (لأنها إذا طالت تحمل الاوساخ) (٦) وغسل البراجم (وهى غضون مفاصل الأصابع) (٧) ونتف الابط (أى شعره لئلا تظهر منه رائحة كريهة) (٨) وحلق العانة (أى شعرها الذى حول القبل) (٩) وانتقاص الماء أى الاستنجاء (أى بالماء) قال مصعب ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

والطهارة شرط لازم لصحة الصلاة التى هى عماد الاسلام وقوامه . والصلاة فى أصل اللغة هى الدعاء وهى بمعناها الشرعى صلة بين العبد والرب فان لم تكن هذه الصلة على خير ما يكون من ترك النواهى واتيان الأوامر فلا فائدة منها وقد قال تعالى ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ سورة البقرة والتواب ذلك الذى لا يصر على المعاصى والذنوب ويرجع الى ربه فى جميع ما يفعل ولا يرتكب الآثام ، واذا ما أخطأ ندم وتاب . كما أنه يحب النظافة من عبده ولذلك أمره أن يتوضأ قبل الصلاة ولا يقف بين يديه إلا نظيفاً طاهرا قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا

البول والغائط - ما عدا المنى فانه طاهر ، وميتة الحيوان البرى غير الآدمى إذا كان له دم ذاتى يسيل عند خروجه بخلاف ميتة الحيوان البحرى فانه طاهر لقوله عليه الصلاة والسلام « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » ، وبخلاف ميتة الآدمى فانها طاهرة ، وبخلاف ميتة الحيوان البرى الذى ليس له دم ذاتى يسيل عند جرحه كالجراد فانه طاهر ، والكلب والخنزير وما تولد منها أو من أحدهما ولو مع غيره ، ودم الحيض .

وتطهر النجاسة بازالتها وغسل محلها بالماء . ويطهر جلد الميتة بالدبغ لقوله صلى الله عليه وسلم « اذا دبغ الاهاب (الجلد) فقد طهر » ، ويستثنى جلد الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما .

فاطّهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتمّ نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ سورة المائدة . والغسل يكون بالماء والماء طهور إلا أن يتغير ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يغتسل أحدكم فى الماء الدائم وهو جنب» أخرجه مسلم وقال أيضاً «لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه» رواه البخارى . وذلك لأن الماء الراكد يحمل الجراثيم التى يحتويها البول من بلهارسيا وانكلستوما وغيرها من الأمراض المعدية فلا بد أن يكون الماء نظيفاً حتى يؤدى المهمة المطلوبة منه وهى نظافة الجسم . وكذلك اذا ولغ الكلب فى اناء يجب غسله سبع مرات حتى يتأكد الانسان من نظافته وأن يكون غسله فى أول مرة بالتراب الناشف كى يزيل أثر ما يحويه لعابه من المكروبات ، هذا بخلاف الهرة فانها لا تنجس الاناء . سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فان توضأنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته» رواه مالك والشافعى وأحمد

عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى . وزاد البخارى قال رجل من حضرموت : ما الحدث يا أبا هريرة قال فساء أو ضراط . وفى رواية لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول (خيانة كسرقة أو غصب) . وعنه أيضاً «إذا وجد أحدكم فى بطنه شيئاً فأشكل عليه أخرج منه شىء أم لا فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً . والوضوء يجب على من نام مضطجعا لأنه إذا اضطجع استرخت مفاصله» .

قال النبى صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لمن لا وضوء له» رواه أبو داود والترمذى . وقال أيضاً «لو لا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل

وضوء ، رواه مالك والبخارى [١] وذلك للعناية بنظافة الفم والأسنان وهما من أكبر الأسباب فى حفظ الصحة ، فبنظافة الفم يخلو من الميكروبات وجراثيم الأمراض المعدية ولا يؤذى غيره ممن يتحدث ويتعامل معه بريحه الكريهة . وسلامة الأسنان عليها المدار الأكبر فى مضغ الطعام وحفظ المعدة بل الصحة . وقد وجد بالتجارب أن كثيرا من الأمراض المعوية والأمراض العقلية يرجع أسبابها إلى تلف الأسنان وفسادها وذلك من عدم العناية بنظافتها والحرص على سلامتها .

كيفية الوضـــوء

عن حمدان مولى عثمان قال إن عثمان دعا بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاث مرات ثم مضمض واستنثر (بعد استنشاق الماء) ثم غسل وجهه ثلاث مرات ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ثم غسل اليسرى مثل ذلك ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئى هذا . وعن عبد الله بن زيد أن النبى ﷺ توضأ مرتين مرتين . وعن ابن عباس قال توضأ النبى ﷺ مرة مرة رواهما البخارى وأبو دواد والترمذى .

وعن أنس قال كان النبى يتوضأ عند كل صلاة ، قلت كيف كنتم تصنعون (أيها الأصحاب) قال يجزىء أحدنا الوضوء ما لم يحدث (أى فالوضوء يبقى حتى يطرأ حدث) رواه البخارى

وعن سليمان بن بُريدة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد ومسح على خفيه فقال له عمر لقد صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه (وهو الصلوات كلها بوضوء واحد) قال عمدا صنعته يا عمر (أى لأبين لكم أن الوضوء باق مالم يطرأ حدث ، ولما كان مسح الخف فرضا من فروض الوضوء على لابسه أردف بالخف تكميلا للفائدة) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

---

(١) ومن الوصايا النبوية لعلى رضى الله عنه قوله عليه السلام : ويا على عليك بالسواك ، فانه مطهرة للفم ، ومرضاة للرب تعالى ، ومجلاة للأسنان . يا على عليك بالتخلل (تنظيف ما بين الأسنان بالخلة) فانه ليس أبغض إلى الملائكة من أن ترى فى أسنان العبد طعاما .

فوائد الوضوء من الناحية الصحية

قال الدكتور الفاضل موفق الشطى فى فوائد الوضوء العامة :

« الوضوء غسل موضعى يوصى باستعمال الماء البارد فيه ما لم تكن هناك حالات مرضية تمنع ذلك كالتى بيناها فى فوائد الاغتسال العامة ، فيرجحه حينئذ الماء الدافىء .

ويفيد الوضوء (وهو غسل الأقسام المكشوفة كما بينا) بالماء البارد فائدة لا تقل عن الفائدة التى ذكرناها فى بحث فوائد الاغتسال لا بل هو أشد فائدة صحية لتكرره وخفة الارتكاسات الناجمة عنه فيؤدى الوضوء بالماء البارد إلى تقبض العروق الشعرية السطحية حتى ان الجلد قد يبيض من ذلك وقد تتقلص العضلات فيندفع الدم إلى إرجاء الجسم العميقة ولا يلبث أن يظهر ارتكاس يعيد كل شىء إلى حاله الطبيعية تستفيد من ذلك الجملة الدورانية فائدة عظيمة فيرتفع الضغط الدموى أولا وتزداد حركة القلب ومتى وقف التقلص العضلى فى المحيط أعقب تقبض العروق تمددها فيعود للجلد لونه وللضغط حالته الطبيعية السابقة ويزداد عدد الكريات الحمر وتنشط المبادلات فى الجسم وتقوى الحركات التنفسية فيزداد مقدار الاكسجين الوارد وتكثر كمية حامض الفحم الصادر .

ويؤثر غسل الأقسام المكشوفة المعرضة بالوضوء تأثيراً عاما ، فيفرز البول ، ويكثر معه افراغ السموم وتزداد الشهية إلى الطعام وينشط الهضم وتزداد أكثر المفرغات وتتنبه الجملة العصبية وينتج من الارتكاس البادى بالجلد نشاط عام ، وذلك بتنبه الأعصاب الجلدية والأعصاب المحركة وبانتقال هذا التنبه إلى جملتى الأعصاب الوريدية والرئوية المعدية ومنهما إلى جميع الأعضاء والغدد »[1] .

الغسل وأسبابه

وقد أمر الاسلام بغسل الجسم كله إذا ما جامع الرجل امرأته أو احتلم ونزل منه ماء منيه أو إذا نزل منه الماء ولم يذكر احتلامه أو جامع ولم يُنزل أو مس فرجه فرج امرأته وذلك لاعادة نشاط الجسم وتنظيف الخلايا للقيام بوظائفها خير قيام قال تعالى : ﴿ وان كنتم جنبا (من جماع أو نزول منى) فاطهروا ﴾ (وهذا بالغسل) وقال ﴿ ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ﴾ أى لا يجوز دخول المسجد والمكث

(١) مجلة المقتطف ديسمبر سنة ١٩٤٢

فيه فى حالة الجنابة انما يجوز المرور منه .

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إذا جلس بين شعبها الأربع (وهى اليدان والرجلان وهذه حال من يجامع امرأته وهى على ظهرها) ثم جهدها (جامعها) فقد وجب الغسل » وفى رواية وان لم ينزل (سواء نزل منه أو لا) وفى أخرى وجاز الختان الختان (أى التقى الختانان) فقد وجب الغسل ، فاذا تماسا وغابت الحشفة فى الفرج وجب الغسل عليهما .

جاءت أم سليم إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لايستحى من الحق فهل على المرأة غسل إذا احتلمت . فقال رسول الله ﷺ نعم ، إذا رأت الماء (أى منيها ظاهر الفرج أى أحست به إذا جلست على قدميها) فقالت أم سلمة (وكانت حاضرة المجلس) يا رسول الله وتحتلم المرأة ؟ فقال : تربت يداك (أى لصقت بالتراب وهو دعاء عند العرب كثير الاستعمال ويستعمل دلالة على التنبيه) فبم يشبهها ولدها (بأى شىء يشبه أمه إذا لم يكن لها منى) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

وعن عائشة قالت : سئل النبى ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما ، قال يغتسل . وعن الرجل يرى أن قد احتلم ولا يجد البلل ، قال لاغسل عليه . فقالت أم سليم : المرأة ترى ذلك أعليها غسل ؟ قال نعم ، إنما النساء شقائق الرجال (أى نظائرهم) . رواه أبو داود والترمذى .

وعنها أن النبى ﷺ كان يغتسل من أربع : من الجنابة ويوم الجمعة ومن الحجامة (لاحتمال رشاش أصابه من الدم فيغتسل استظهارا للطهارة) ومن غسل الميت . رواه أبو دواد .

عن سلمان قيل له قد علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة (أى الجلوس للحاجة واسم الخارج خرء) فقال أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط او بول أو أن نستنجى باليمين أو أن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجى برجيع (أى روث حيوان) أو عظم . رواه البخارى ومسلم والترمـــذى وأبو داود والنسائى .

وقال ﷺ : « اتقوا الملاعن الثلاثة (مواضع اللعن) البراز فى الموارد (وهو طريق الماء) وقارعة الطريق (أى الطريق المقروعة بالنعال) والظل » رواه أبو داود . وقال ﷺ : إذا بال أحدكم فلا يأخذ ذكره بيمينه ولا يستنج

بيمينه . ولا يتنفس فى الإناء (وقت الشرب لأنه ينتنه) فاذا أراد التنفس رفع الاناء عن فمه وتنفس ، ومن المعلوم أن اليد اليمنى هى التى يتناول بها الطعام والشراب وقد حفظها الشارع خالية مما يعلق بها من الميكروبات حين الاستنجاء أو إذا مسها شيء من الغائط ولم تغسل جيداً ، فيكون الانسان معرضا لكثير من الأمراض لانتقال العدوى .

الاسلام أمر بالنظافة فى الظاهر بإزالة الأوساخ والأقذار من على الجسد وذلك بالاستحمام والوضوء ولبس الثياب النظيفة قال تعالى : ﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ وقد فسرها بعض المفسرين أى عند كل صلاة كما أمر بستر العورة وأمر بطهارة النفس وذلك بتخليها عن الرذائل وتحليها بالفضائل ، وأمر أيضاً أن لا يأكل الانسان إلا طيباً فقال تعالى : ﴿ كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾ وحرم عليه كل مايضره فحرم عليه الميتة والدم ولحم الخنزير كما حرم عليه شرب الخمر وكل مسكر وذلك كله ليحتفظ بصحته وسلامة نفسه ، وأن يعمل كل مايرقيه ويقربه من الله وذلك بعمل الخير والتحلى بمكارم الأخلاق .

شهادة أحد علماء الغرب

كتب الأستاذ الدكتور شرومف بيرون فى مقال طويل تحت عنوان « الإسلام وحفظ الصحة » نقتطف منه ما يأتى :

كلما ألفتُ الحياة الإسلامية أعجبت بقواعد حفظ الصحة العجيبة التى وضعها النبى محمد للمؤمنين ، وأسفت على عدم محافظة كثيرين من المصريين عليها ، ولأن السلطات المسئولة لا تدقق التدقيق الكافى فى تنفيذها فى غالب الأحيان فى بلاد يعتبر الإسلام فيها دينا للدولة .

عدَّ النبى (عليه الصلاة والسلام) من الأشياء النجسة :

١ — الخنازير والكلاب . ولماذا ذلك ؟ لأن لحم الخنزير قد ينقل مرض (التراشينوز) وهو مرض خطر وكثيراً ما يكون مميتا . . . وقد تنقل الكلاب ديدانا خطرة تقضى على حياة الذين تدخل جسومهم .

٢ — يعتبر نجسا كل مادة مسكرة من أى نوع كانت كالكحول والخمر والمخدرات ، وهذه شريعة أساسية للاسلام وإليها يعود الفضل فى جانب كبير من قوته

وصحة أبنائه . وينجم عن شرب الكحول انتشار الأمراض ... وأهم هذه الأمراض التدرن الرئوى (السل) وكان قبلا نادر الوقوع فى مصر . فلا يقوى الكحول الجنس بل يضعفه ويتطرق الفساد إلى أولاد مدمنيه ، هذا عدا الأموال الطائلة التى تنفق فى شرائه عبثا وتقدر بخمسة عشر مليونا من الجنيهات تقريباً فى السنة ، يضاف إلى ذلك ١١ مليون جنيه مصرى تنفق على المخدرات (وهى مواد لا تقل عن الكحول فى نجاستها) فيكون المجموع ستة وعشرين مليون جنيه تدفعها بلاد فيها ١٤ مليونا من السكان على عسرها فى أثناء الأزمة الحالية ...

٣ — تعتبر نجسة جثث الحيوانات الميتة وروثها وبولها الخ ويصبح نجسا الماء الذى تخالطه ... وقد حظر على المؤمنين التوضؤ بماء نجس أو الشرب منه .

ويتبين لنا من هذا أن النبى (ﷺ) سبق بأكثر من ألف سنة واضعى علم البكتريولوجيا الحديثة (علم الطفيليات) والعلماء الذين استعانوا بالميكرسكوب على اكتشاف الباشلوس وغيره من الطفيليات التى تصير الماء نجسا وخطرا . وبناء عليه ان الماء النجس لا يقتصر على ما ينقل من التفوئيد والدوسنطاريا (رأساً أو بالخضار الذى يسقى به أو يغسل به) بل هو السبب فى مرض من شر الأمراض المنتشرة فى مصر وهو البلهارسيا حينما يستعمل للوضوء فهذا الماء الذى فيه جراثيم البلهارسيا يعتبر نجسا وبالتالى يحظر استعماله للوضوء . . . ولذلك يجب وقاية الناس من الاصابة بها بالمحافظة جد المحافظة على الشريعة القرآنية ، ووضع ماء مرشح فى كل قرية ليتوضأ به الناس ، وإنشاء سبل للماء أقل نفقة من التدابير المتخذة لمكافحة البلهارسيا فى الوقت الحاضر .

وطريقة التطهير التى ذكرت هى كاملة ويجب أن تكون مثالا للمسيحيين يحذون حذوه فليس فى دينهم التزامات تتعلق بالنظافة .

ونقول فى الختام : إن الشريعة القرآنية فى مسألة الطهارة خير مثال يحتذى به . وان الذى جاء بها هو أكبر وأقدم أستاذ فى حفظ الصحة نشأ فى العالم . فيجب أن تظل مقدسة فى العالم الإسلامى وقد أيدتها العلوم الحديثة ، فالمسلمون يرتكبون أكبر خطأ إذا أهملوا تلك الشريعة ، فان هذا الإهمال يفقد الإسلام قوة

من أعظم قواه :

وفى مسند البزار عن النبى ﷺ أنه قال «إن الله طيب يحب الطيب . نظيف يحب النظافة . كريم يحب الكرم . جواد يحب الجود . فنظفوا أفناءكم وساحاتكم ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكب فى دورهم» (الأكب الزبالة) .

وذكر ابن أبى شيبة أنه ﷺ كان له سكة يتطيب منها . وصح عنه أنه قال : «لله على كل مسلم حق أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوما، وان كان له طيب يمس منه وفى الطيب من الخاصية أن الملائكة تحبه والشياطين تنفر منه . وأحب شىء إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة . فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة ، وكل روح تميل إلى ما يناسبها فالخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات . وهذا ان كان فى النساء والرجال فانه يتناول الأعمال والأقوال والمطاعم والمشارب والملابس والروائح ، (إما لعموم لفظه أو لعموم معناه)[1] .

المـــاء المطهر

موجز عن الطهارة وأسبابها

والماء طاهر مطهر لا يخرجه عن الوصفين إلا ما غير ريحه أو لونه أو طعمه من النجاسات ، وعن الثانى ما أخرجه عن اسم الماء المطلق من المغيرات الظاهرة ولا فرق بين قليل وكثير وما فوق القلتين وما دونهما ومتحرك وساكن ومستعمل وغير مستعمل .

أحكام النجاسات

والنجاسات هى غائط الإنسان مطلقا وبوله ، إلا الذكر الرضيع (عند بعضهم) ولعاب كلب وروث ودم حيض ولحم خنزير وفيما عدا ذلك خلاف . والأصل الطهارة فلا ينقل عنها إلا ناقل صحيح لم يعارضه ما يساويه أو يقدم عليه .

---

(١) زاد المعاد للامام الحافظ أبى عبد الله بن قيم الجوزية . الجزء الثالث ص ٢٠٨

تطهير النجاسات

ويطهر ما تنجس بغسله أى (باسالة الماء عليه) حتى لا يبقى عين ولا لون ولا ريح ولا طعم . والنعل بالمسح . والاستحالة مطهرة لعدم وجود الوصف المحكوم وما لم يمكن غسله فبالصب عليه أو النزح منه حتى لا يبقى للنجاسة أثر . والماء هو الأصل فى التطهير فلا يقوم غيره مقامه إلا بإذن من الشارع .

قضاء الحاجة

على المتخلى الاستتار حتى يدنو من الأرض والبعد أو دخول الكنيف . وترك الكلام والملامسة لما له حرمة . وتجنب الأماكن التى منع عن التخلى فيها شرع أو عرف ، وعدم الاستقبال والاستدبار للقبلة ، وعليه الاستجمار بثلاثة أحجار طاهرة أو ما يقوم مقامها . ويندب الاستعاذة عند الشروع والاستغفار والحمد بعد الفراغ .

الوضـــوء

يجب على كل مكلف عند أحد أن يسمى إذا ذكر ويتمضمض ويستنشق ثم يغسل جميع وجهه ثم يديه مع مرفقيه ثم يمسح رأسه مع أذنيه ويجزىء مسح بعضه . والمسح على العمامة ثم يغسل رجليه مع الكعبين . وله المسح على الخفين ولا يكون وضوءاً شرعياً إلا بالنية لاستباحة الصلاة .

ويستحب التثليث فى غير الرأس وإطالة الغرة والتحجيل وتقديم السواك وغسل اليدين إلى الرسغين ثلاثا قبل الشروع فى غسل الأعضاء المتقدمة .

نواقض الوضـــوء

وينتقض الوضوء بما خرج من الفرجين من عين أو ريح وبما يوجب الغسل ونوم المضطجع وأكل لحم الابل والقىء ونحوه ومس الذكر .

الغســـل

يجب الغسل بخروج المنى بشهوة ولو بتفكر وبالتقاء الختانين وبالحيض وبالنفاس وبالاحتلام مع وجود بلل وبالموت وبالإسلام .

والغسل الواجب هو ان يفيض الماء على جميع بدنه أو ينغمس فيه مع المضمضة والاستنشاق والدلك لما يمكن دلكه . ولا يكون شرعياً الا بالنية لرفع موجبه . وندب تقديم غسل أعضاء الوضوء الا القدمين ثم التيامن .

ويشرع الغسل لصلاة الجمعة وللعيدين ولمن غسل ميتا وللاحرام ولدخول مكة .

التيمم

يستباح به ما يستباح بالوضوء والغسل لمن لا يجد الماء أو خشى الضرر باستعماله وأعضاؤه الوجه ثم الكفان فيمسحهما مرة واحدة بضربة ناوياً مسمياً . ونواقضه نواقض الوضوء .

الحيض

لم يأت فى تقدير أقله وأكثره ما تقوم به الحجة . وكذلك الطهر فذات العادة المتقرره تعمل عليها وغيرها ترجع الى القرائن . فدم الحيض يتميز من غيره فتكون حائضا اذا رأت دم الحيض ، ومستحاضة اذا رأت غيره فهى كالطاهر . وتغسل أثر الدم وتتوضأ لكل صلاة .

والحائض لا تصلى ولا تصوم ولا توطأ حتى تغتسل بعد الطهر وتقضى الصيام .

النفاس

النفاس اكثره اربعون يوماً ولا حد لاقله وهو كالحيض .

أما كون اكثره أربعين فلحديث أم سلمة قالت « كان النفساء تجلس على عهد رسول الله ﷺ أربعين يوماً » اخرجه احمد وابو داود والترمذى والدارقطنى والحاكم والى ذلك ذهب الجمهور . وقد قيل أن اكثره ستون يوماً وقيل سبعون وقيل خمسون وقيل نيفٌ وعشرون يوماً . والحق الأول . فان جاوز دمها الاربعين عاملت نفسها معاملة المستحاضة اذا جاوزت أيام العادة المتقررة . واما كون النفاس كالحيض فى تحريم الوطء وترك الصلاة والصيام فلا خلاف فى ذلك وكذلك لاتقضى النفساء الصلاة وفى رواية لأبى داود من حديث أم سلمة قالت كانت المرأة من نساء النبى ﷺ تقعد فى النفاس اربعين ليلة لا يأمرها النبى ﷺ بقضاء صلاة النفاس [1].

(١) الدرارى المضية . شرح الدرر البهية كلاهما للامام العلامة الفقيه المجتهد محمد بن على الشوكانى .

الصـــلاة
وأثرها فى حياة الافراد

عناية الاسلام بسلامة الجسم ، وسلامة النفس — فرائض الصلاة — أركان الصلاة — مواعيد الصلاة — مبطلات الصلاة — فضائل الصلاة من الناحية الصحية والرياضية — الصلاة من الناحية النفسية والروحية أسرار الصلاة وفوائدها — كيف كان يصلى النبى ﷺ

الصلاة آية الايمان ، وعلاقة الانسان بالرحمن ، وعماد الدين ، ودليل اليقين ، وسبيل المؤمنين الى سعادة الدارين .

خُلق الانسان لعبادة ربه ، وتنفيذ أمره واجتناب نهيه ، إلا أن هناك مشاغل الحياة تتجاذبه ، وهواجس النفس تتنازعه ، وشهوات تتواثب عليه فتلهيه وكثيراً ما تقوى عليه فترديه . ففرض الله سبحانه وتعالى على الانسان الصلاة ليستعين بربه على ما كلف به من الاوامر ، وعلى دفع ما يؤذيه وجلب ما ينفعه ويُنجيه . انظر كيف حاج الملأ[1] خطيب الانبياء شعيب ﴿ قالوا يا شعيبُ أصلاتُكَ تأمرُكَ أنْ نتركَ ما يَعبد آباؤنا أو أن نفعلَ فى أموالنا ما نشاء ، إنكَ لأنتَ الحليم الرَّشيد . قالَ يا قوم أرأيتمْ إن كنتُ على بيِّنة من ربى ورزقنى منه رزقاً حسناً وما أريد أنْ أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إنْ أريد إلا الإصلاحَ ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب ﴾ . سورة هود

إن من استعان بالله هداه ، ومن طلب رضاه بالعمل الصالح أسعده وأنجاه مما يحيط به من صراع المطامع ، وفساد النفوس ، ونزوات الغنى ، ومهانة البخل والفقر وفحش الاقوال ومنكرات الأفعال ، فقال تعالى ﴿ وأقم الصلاةَ إن الصلاةَ تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾ . سورة العنكبوت

والصلاة إظهار الحاجة والافتقار الى المعبود بالقول أو العمل أو كليهما ، وهو المراد بقولهم « الصلاة معناها الدعاء » والصلاة التى فرضها الله على المسلمين هى الاقوال والافعال المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم على النحو الذى جاءت به السنة المتواترة

---

(١) الملأ : أعيان القوم وسادتهم وكبراؤهم .

من أفضل ما يعبر به عن الاحساس بالافتقار الى المعبود وشعور الأنفس بعظمته لو أقامها المصلون وأتوا بها على وجهها .

وقد أمر الله باقامة الصلاة دون مجرد الاتيان بها ، واقامة الشيء هي الاتيان به مقوماً كاملا يصدر عن علته ، وتصدر عنه آثاره ، وآثار الصلاة ونتائجها هي ما أنبأنا الله تعالى به بقوله المتقدم وقوله فى سورة المعارج ﴿ إن الانسانَ خُلقَ هلوعا اذا مَسه الشَّرُّ جَزوعا وإذا مَسَّهُ الخيرُ مَنوعا ، إلاَّ المصلينَ الذينَ هُمْ على صَلاتهم دائمون ﴾ وقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والالفاظ مع السهو عن معنى العبادة وسرها فيه المؤدى الى غايتها بقوله فى سورة الماعون ﴿ فوَيلٌ للمصلينَ الذينَ هم عن صلاتهم ساهونَ ٥ الذينَ هم يُراءونَ ويمنعونَ الماعونَ ﴾ فسماهم مصلين لانهم أتوا بصورة الصلاة ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التى هى توجه القلب الى الله تعالى المذكر بخشيته المشعر للقلوب بعظم سلطانه ، ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماعون (الخير) .

وذكر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده أن الرياء ضربان :

(١) رياء النفاق وهو العمل لاجل رؤية الناس (٢) ورياء العادة وهو العمل بحكمها من غير ملاحظة معنى العمل وسره وفائدته ولا ملاحظة من يعمل له ويتقرب اليه به وهو ما عليه أكثر الناس . فان صلاة أحدهم فى طور الرشد والعقل هى عين ما كان يحاكى به أباه فى طور الطفولة عند ما يراه يصلى يستمر على ذلك بحكم العادة من غير فهم ولا عقل ، وليس لله شيء فى هذه الصلاة ، وقد ورد فى بعض الاحاديث : ان من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعداً ، وأنها تلف كما يلف الثوب البالى ويضرب بها وجهه . وأما الماعون فهو المعونة والخير الذى تقدم فى الآية الاخرى أن من شأن الانسان أن يكون منوعا له الا المصلين .[١]

روى عن الله سبحانه وتعالى فى الكتب السالفة أنه قال : « ليس كل مصل أتقبل صلاته ، انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ، ولم يتكبر على عبادى ، وأطعم الفقير الجائع لوجهى » .

---

(١) تفسير المنار الجزء الاول ص ٥٧ و ٥٨ .

الصلاة هى دعامة الدين ، وركنه الركين ، فمن أقامها فقد رفع لواء الأسلام ومن تركها فقد خرج على حظيرة المسلمين ، وطاول بالعصيان رب العالمين .

الصلاة ومقدماتها من الطهارة تشتمل على أصول التربية البدنية والنفسية معاً اذا أديت على الوجه المطلوب .

لا تصح للانسان اقامة الصلاة الا اذا كان طاهراً باطناً وظاهراً وذلك باسباغ الوضوء وخلو الثياب من النجاسة ، وباطناً بخلو النفس من الشرك بالله . وقد عنى الاسلام بصحة النفوس وسلامة الابدان .

عناية الاسلام بصحة الجسم ، والبدن :

دعا الاسلام الى العناية بصحة الجسم وسلامته من الامراض والمحافظة عليه ، وقد حرم الكتاب الكريم على الانسان ما تحقق ضرره كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ به لغير الله ، كما حرم عليه شرب الخمر وكل مسكر وما فى حكمها إلا لمضطر ، قال تعالى :

﴿ إنما حَرَّمَ عليكمُ الميْتةَ والدَّمَ ولحمَ الخنزيرِ وما أُهِلَّ بهِ لغيرِ اللهِ فمن اضطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه إن اللهَ غفورٌ رحيمٌ ﴾ سورة البقرة

﴿ يأيها الذين آمنوا إنما الخمرُ والميسرَ والأنصابُ والأزلامُ رِجسٌ من عملِ الشيطانِ فاجتنبوهُ لعلكم تفلحونَ ۝ إنما يُريدُ الشيطانُ أنْ يوقِعَ بينكمُ العداوةَ والبغضاءَ فى الخمرِ والميْسرِ ويصدّكم عن ذِكْرِ اللهِ وعن الصلاة فهل أنتم منتهونَ ﴾ سورة المائدة .

وقد أباح القرآن الكريم أكل الطيبات من الارزاق وهى الاصل فى التشريع كما فرض على المسلم النظافة والعناية بجسمه لانه أداته فى القيام باداء واجبه ففرض عليه الغسل بعد الجماع ، كما فرض عليه الوضوء للصلاة . وهذه تؤدى خمس مرات فى اليوم فقال تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا إذا قمتمْ إلى الصلاة فاغسلوا وجوهَكمْ وأيديكم إلى المرافق وامسَحوا برؤسِكم وأرجلَكمْ إلى الكعبين وإنْ كنتمْ جُنُباً فاطّهروا وإنْ كنتم مرْضى أو على سَفرٍ أو جاء أحد منكم من الغائطِ أو لامستمُ النساء فلم تجدوا ماءً

فتيمّموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يُريدُ اللهُ ليجعلَ عليكم مِن حَرَجٍ ولكن يُريدُ لِيُطهّركم وليتمّ نعمته عليكم لعلّكم تشكرونَ ﴾.

هديه ﷺ فى الوضوء
والمسح على الخفين والجوربين (الشراب) والتيمم

(هديه فى الوضوء) كان يتوضأ لكل صلاة فى غالب أحيانه وربما صلى الصلوات بوضوء واحد ، وكان يتوضأ بالمد تارة وبثلثيه تارة وبازيد منه تارة ويحذر من الاسراف فى صب الماء وقال إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان ، فاتقوا وسواس الماء وصح عنه انه توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا ويتمضمض ويستنشق تارة بغرفة وتارة بغرفتين وتارة بثلاث وكان يستنشق بيده اليمنى ويستنثر باليسرى ، وكان يمسح رأسه كله وتارة يقبل بيديه ويدبر وعليه يحمل واحاديث عثمان الصحاح تدل على ان مسح الرأس مرة ولم يصح عنه انه اقتصر على مسح بعض رأسه البته ولكن كان اذا مسح بناصيته كمل على العمامة ، ولم يتوضأ الا وتمضمض واستنشق وكان وضوؤه مرتبا متوالياً وكان يغسل رجليه اذا لم يكونا فى خفين ويمسح عليهما اذا كانا فى الخفين ويمسح اذنيه مع رأسه ظاهرهما وباطنهما ولم يثبت أنه أخذ لهما ماء جديداً ولم يصح عنه فى مسح العنق ولم يحفظ عنه أنه قال على وضوئه شيئاً غير التسمية فى أوله وقوله أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين فى آخره ولم يكن يقول نويت رفع الحدث أو غيره ولم يثبت عنه تجاوز المرفقين والكعبين ولم يكن يعتاد تنشيف اعضائه بعد الوضوء وكان يخلل لحيته أحياناً ولم يواظب على ذلك ، كذلك تخليل الاصابع .

(هديه ﷺ فى المسح على الخفين) صح عنه انه مسح فى الحضر والسفر ، وكان يمسح ظاهر الخفين ولم يصح عنه مسح أسفلهما ومسح على الجوربين والنعلين ومسح على العمامة مقتصراً عليها ولم يكن يتكلف ضد حاله التى عليها قدماه بل ان كانت فى الخف مسح عليها ولم ينزعها وان كانتا مكشوفتين غسل القدمين ولم يلبس الخف .

(هديه ﷺ فى التيمم) كان ﷺ يتيمم بضربة واحدة للوجه والكفين ، ولم يصح عنه بضربتين ولا الى المرفقين. وكذلك كان يتيمم بالارض التى يصلى عليها ترابا

أو سبخة أو رملا ، وصح عنه أنه قال حيثما أدركت رجلا من امتى الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، وهـذا نص صريح فى أن من أدركته الصلاة فى الرمل فالرمل له طهور ولم يصح عنه التيمم لكل صلاة وجعله قائماً مقام الوضوء .

عنى الدين الاسلامى بصحة الجسم وسلامة الروح . ولما كان الانسان متنازعاً بين الشهوات معرضاً للمغريات وقد ينسيه هواه ومطامعه حد الاعتدال فينزلق الى مهاوى العطب والفساد فرض الله عليه فى كل يوم وليلة خمس صلوات لتذكره أوامر ربه وتخفف عنه ما يلقاه من العنت والمشقة فيستغنى بمن خلقه على اداء واجبه والى هذا المعنى يشير الله تعالى بقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ﴾ سورة البقرة .

عن أنس رضى الله عنه قال : فرضت على النبي ﷺ ليلة اسرى به الصلوات خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمساً ثم نودى يا محمد (أى من قبل الله) انه لا يبدل القول لدى وأن لك بهذه الخمس خمسين (أى جزاء كل حسنة بعشر أمثالها) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى . وجاء رجل من أهل نجد يسأل عن الاسلام فقال رسول الله ﷺ خمس صلوات فى اليوم والليلة . قال هل على غيرها . قال لا الا أن تطوع . فقال رسول الله ﷺ وصيام رمضان . قال هل على غيره . قال لا الا أن تطوع . وذكر رسول الله ﷺ الزكاة قال هل علىّ غيرها قال لا إلا أن تطوع فادبر الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص . قال رسول الله ﷺ أفلح أن صدق رواه البخارى ومسلم والترمذى وابو داود . وعن ابى قتاده عن النبى ﷺ قال : قال الله عز وجل انى افترضت على امتك خمس صلوات وعهدت عندى عهداً انه من جاء يحافظ عليهن لوقتهن ادخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندى رواه أبو داود .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة رواه مسلم والترمذى والنسائى وأبوداود .

فرائض وشروط صحة الصلاة

فرائض الصلاة المتفق عليها والتى لا تصح الا بها هى النية والطهارة ومعرفة

دخول الوقت والتوجه الى القبلة والركوع والسجود ورفع الرأس من السجود والقيام والجلوس الاخير وترتيب أفعال الصلاة .

ويجوز للانسان أن يصلى قاعداً أو على جنبه اذا لم يستطع القدرة على القيام كما يجوز له ان يصلى بالايماء إذا لم يستطع القدرة على الكلام .

ويجوز للانسان ان يصلى بنعليه إذا كانا طاهرين كما يجوز أن يمسح عليهما كالخف عند الوضوء اذا ادخل قدميه طاهرين .

أركان الصـــلاة

عن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال إنما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى . دخل رجل المسجد فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ وكان فى المسجد فرد النبي عليه السلام فقال ارجع فصل فانك لم تصل فصلى ثم جاء فسلم على النبي فقال ارجع فصل فانك لم تصل ثلاثا (اى ارجعه ثلاثاً) فقال والذى بعثك بالحق ما أحسن غيره (غير ما فعلت) فعلمنى . فقال إذا قمت الى الصلاة فكبر (للاحرام بقولك الله اكبر فهو ركن فى كل صلاة) ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن (الفاتحة أو غيرها ولو آية) ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا (فيه ان الجلوس بين السجدتين والاعتدال من الركوع والطمأنينة فيهما وفى الركوع والسجود واجبة وبه قال الجمهور) ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها رواه البخارى ومسلم والترمذى وابو داود والنسائى .

قال النبي ﷺ لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (اى لا صلاة كاملة) رواه البخارى ومسلم والترمذى قال النبي ﷺ من صلى ركعة ولم يقرأ فيها بأم القرآن (الفاتحة) فلم يصل الا أن يكون وراء الامام رواه الترمذى [١].

عن ابن عباس قال كان النبي يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن فكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد أن لا إله الا الله . زاد فى رواية وحده لا شريك له واشهد أن محمداً رسول الله رواه مسلم والترمذى وابو داود والنسائى .

---

(١) وظاهر هذا أن المأموم لا تجب عليه الفاتحة ، وعليه الجمهور ومالك وأبو حنيفة وأحمد

وكان النبي يقول فى الصلاة اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد رواه البخارى ومسلم والترمذى وابو داود والنسائى والشافعى .

وكان رسول الله يكبر فى كل خفض ورفع وقيام وقعود وابو بكر وعمر رواه الخمسة . وتكبيرات الانتقال سنة عند الجميع الا احمد فانه قال بوجوبها .

قال النبي ﷺ أمرت ان اسجد على سبعة اعظم على الجبهة وأشار بيده على أنفه واليدين (الكفين) والركبتين واطراف القدمين ولا نكفت الثياب والشعر (لا نمنعهما من الاسترسال على الارض حال السجود على الارض بل يتركان بحالهما) رواه البخارى ومسلم والترمذى . قال النبي ﷺ ألاوانى نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقمن ان يستجاب لكم رواه مسلم . وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ اذا قام يكبر حين يقوم ثم يكبر حين يركع ثم يقول « سمع الله لمن حمده » حين يرفع صلبه من الركوع ثم يقول وهو قائم « ربنا ولك الحمد » ثم يكبر حين يهوى ساجداً ثم يكبر حين يرفع رأسه ثم يكبر حين يسجد ثم يكبر حين يرفع ثم يفعل ذلك فى الصلاة كلها ويكبر حين يقوم من اثنين بعد الجلوس رواه مسلم والبخارى .

عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال كانت بى بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب والا فأوم رواه البخارى . ان من عجز عن القيام فى الفرض صلى جالسا فان لم يقدر صلى على جنبه فان لم يقدر صلى مستلقيا على ظهره ورجلاه ورأسه الى القبلة ومثل هذا من كان فى سفينة أو قطار أو مركب فى الهواء أو فى كمين فانه يصلى كيف امكنه مستقبل القبلة اولا من قيام او كيف امكنه . سئل النبي ﷺ كيف اصلى فى السفينة قال صل فيها قائما الا أن تخاف الغرق .

قال النبي ﷺ إذا شك احدكم فى صلاته فلم يدركم صلى اثلاثا أم اربعا ؟ فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم . فان كان صلى خمسا شفعن له صلاته وان كان صلى تماماً كانتا ترغيما للشيطان رواه مسلم .

وقال ﷺ ليس على من خلف الامام سهو فان سها الامام فعليه وعلى من خلفه

رواه الترمذى . قال النبي ﷺ « صلوا كما رأيتمونى أصلى » رواه البخارى . وقد صلى النبي الصبح ركعتين والظهر والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً والعشاء اربعاً .

مواعيد الصلاة

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال « وقت الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله مالم يحضر وقت العصر ووقت العصر مالم تصفر الشمس ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس رواه مسلم .

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن النبي ﷺ قال من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر رواه البخارى ومسلم .

نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس وبعد العصر حتى تغرب رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى .

أحكام أخرى

قال النبي ﷺ مُروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها . زاد فى رواية : وفرقوا بينهم فى المضاجع . رواه أبو داود وأحمد والترمذى .

قال النبي ﷺ إذا فسا (خرج من دبره ريح) أحدكم فلينصرف وليتوضأ وليعد الصلاة رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

وعن أم سلمة سألت النبي ﷺ أتصلى المرأة فى درع (ثوب) وخمار (ما يستر الرأس والعنق) بغير ازار ؟ قال إذا كان الدرع سابغاً يغطى ظهور قدميها (فالخمار والقميص يستران جميع البدن إلا الوجه والكفين فهذه عورة الحرة) رواه أبو داود والترمذى .

وسئل أنس رضى الله عنه أكان النبي ﷺ يصلى فى نعليه قال نعم . رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى .

قال النبي ﷺ إذا جاء أحدكم المسجد فلينظر فان رأى فى نعليه أذى أو قذرا فليمسحه وليصل فيهما راوه أبو داود .

قال النبي ﷺ الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام رواه الترمذى .

وعن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ نهى أن يصلى فى سبع مواطن المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق والحمام ومعاطن الابل (الزرايب) وفوق ظهر بيت الله الحرام رواه الترمذى .

صلاة النوافل

النوافل : صلاة النوافل وهى صلاة التطوع لزيادة القربة من الله سبحانه وتعالى فنها ما داوم عليها الرسول عليه السلام وتعتبر سنة مؤكدة أو غير مؤكدة وهى التى لم يواظب عليها الرسول عليه السلام فرة كان يفعلها ومرة أخرى لا يفعلها فمن ذلك الصلاة التى كان يؤديها عليه السلام قبل الفرض أو بعده كركعتين قبل صلاة الفجر أو الصبح وليرجع إلى كتب الحديث والفقه . ومن النوافل صلاة الوتر سنة مؤكدة وأقلها ركعة وأكثرها إحدى عشرة ركعة والقنوت — وصلاة التراويح فى ليالى رمضان . وصلاة الضحى وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان . وصلاة التهجد فى الليل وسجود التلاوة وسجود السهو — وصلاة العيدين ركعتان بلا أذان ولا إقامة يكبر فى الركعة الأولى سبعاً وفى الثانية خمسا سوى تكبيرة القيام . والصلاة على الميت وهو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين وإذا تركه الكل أثموا ... والمقصود من الصلاة هو الدعاء للميت وهى أربع تكبيرات بتكبيرة الأحرام يقرأ بعد التكبيرة الأولى الفاتحة وبعد التكبيرة الثانية الصلاة على النبى وأقلها « اللهم صل على سيدنا محمد » ويقرأ بعد التكبيرة الثالثة الدعاء للميت وأقله « اللهم اغفر له وارحمه » وبعد التكبيرة الرابعة يسلم كسلام الخروج من الصلاة وليس فى هذه الصلاة ركوع ولا سجود .

مبطلات الصلاة ونواقضها

ما أبطل الطهارة يبطل الصلاة (الحدث الأكبر والأصغر عمداً أو سهواً) — الكلام العمد — العمل الكثير وطروء النجاسة على ثوبه أو بدنه أو مكانه

ـ انكشاف العورة ـ تغيير النية ـ استدبار القبلة والانحراف عنها بصدره ـ والأكل والشرب ولو يسيراً والقهقهة والردة .

فضائل الصلاة من الناحية الصحية والرياضية والجسمانية

قال الدكتور الفاضل شوكت موفق الشطى فى فضائل الصلاة الصحية :

اذا امعنا النظر فيما مر راينا ان على المسلم تخصيص مدة لا تقل عن ساعة ونصف الساعة للوضوء ولاداء الصلاة وللقيام بحركاتها التى لا تكاد تترك مفصلاً من مفاصل الجسم المتحركة دون ان تحركه وتحرك معه معظم عضلات الجسم .

ولا يخفى ان وظيفة العضلات لا تقف عند تحريك الاطراف وانتقال البدن من مكان الى آخر فحسب بل لها فعل اعظم واهم وهو تأثيرها النافع فى جميع وظائف البدن اجمالا كفائدتها فى الدوران والغذاء وحصول الحرارة البدنية الغريزية وهى كذلك تهيء بيئة داخلية ثابتة وتنشط القوة الضرورية لاعمال الفكر .

تعد الصلاة عملا رياضياً عظيما يدخل فى زمرة الرياضة المعتدلة . ولا يخفى ان الانسان لا يكون حرا فى أوقاته وعمله . لذلك كان لا بد له من تنظيم رياضة أو تمرينات خاصة به ليستفيد فى وقت قصير اقصى ما يمكنه من فائدة .

والصلاة بتوقيتها واعتدالها وما يسبقها من وضوء وطهارة وغسل أحيانا أفضل الرياضات لانها رياضة طبيعية تشبه بنتائجها نتائج الرياضة الغربية أو السويدية وتفوقها بانتظام توقيتها وتكرارها خمس مرات فى اليوم فحركات الصلاة طراز غريزى فى الرياضة وبتأثيرها الحسن فى العضلات والمفاصل والعظام وتنشيط نموها وعملها تفيد فى المحافظة على تناسق الجسم وجماله ، ولها مع ما يسبقها من وضوء تأثير مبهج ممرح ومنشط وهذا فضلا عن تأثيره الروحى العظيم .

الصلاة فرض على كل مسلم عاقل تؤمر بها الاولاد شرعا لسبع سنين وهو الزمن الذى يبدأ فيه الولد يصرف جانباً من وقته للدراسة أو لتعلم صنعة من الصنائع فتقل رياضته التى كانت قبل هذا السن غريزة فيه مع ان حاجته الى النوع المعتدل منها فى هذا الزمن شديدة جداً ، فقيامه بالصلاة التى يؤمر بها شرعا فى هذه السن يسد قسما من حاجة جسمه الى الرياضه .

ولا تقل الحاجة فى اليفع والمراهقة والبلوغ إلى الرياضة عما فى الأطفال والأولاد وكذلك الأمر فى الكهولة والشيخوخة ، لذلك حشرنا الرياضة بالصلاة فى زمرة رياضات العمر . ويلاحظ الباحث ان المتروض بالصلاة كما جاء بها الشرع والمؤدى لها على أتم وجوهها صحيح الجسم قوى الارادة حسن الاعتماد على نفسه جلد على الطوارىء أكظم لغيظه واضبط لنفسه عند الغضب أو الخطر ويكون كذلك أحزم وأشجع وأعلى نظراً فى الحياة كريماً محبا للخير والنفع العام لأن فى الصلاة علاوة على الحركات البدنية النافعة معانى نفسانية جسيمة وتذكيرا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لذلك فرضت الصلاة على المسلمين طول الحياة ليروضوا بها أجسامهم ونفوسهم وليحسنوا بها ظاهرهم وباطنهم فى آن واحد . وللصلاة أيضاً فوائد خاصة علاوة على فوائدها العامة نجمعها فى ما يلى :

١ — صلاة الصبح . يكون أداؤها فى وقت معين وهو من طلوع الفجر الصادق إلى قبيل طلوع الشمس ويؤدى أداء هذا الفرض إلى تعويد الانسان التبكير فى اليقظة من النوم وتنظيف أعضاء الجسم المكشوفة وتنشيطها وتنبه أجهزة النفس والدوران والاغتذاء وتفتح شهيته إلى استمراء طعام الصبح وسرعة هضمه وتدعوه إلى تنظيم أعمال ذلك اليوم الدنيوية وتدبيرها بهمة ونشاط دون فتور وملل .

٢ — صلاة الظهر — ووقت أداء الفرض يبدأ من الزوال إلى أن يصير ظل كل شىء مثليه فان أديت هذه الفريضة فى بدء أوانها أذهبت عن الجسم ما لحقه من تعب فى الجد والعمل وأزالت عن النفس ما لحقها من هم وغم . ونبهت جهاز الهضم وغيره من الأجهزة فزادت الرغبة فى الطعام . ومتى كان الطعام مأخوذا عن رغبة وشهية كانت فائدته للجسم أعم وأنفع . وإن قام المصلى لأداء هذا الفرض فى آخر وقته كان قيامه به داعياً إلى تسريع هضم طعام الظهر عدا ما فيه من فوائد عامة .

٣ — صلاة العصر . ووقت أداء هذه الصلاة من انتهاء زمن الظهر إلى غروب الشمس وتعرف هذه الصلاة بالصلاة الوسطى والأوامر بالمحافظة عليها كثيرة ولها من الفوائد الخاصة أن التكليف بأدائها مواقت لزمن يكون الإنسان فيه منهمكا بفكره وجسمه فان لم يروض عن نفسه بتنشيط فكره وجسمه ولد ذلك فيه بعض الاضطراب الذى لا يلبث أن يزداد مع الزمن . ويناسب وقت أداء هذه الصلاة وقت الهضم

فيسرع بالصلاة وتتيسر تطوراته .

٤ — صلاة المغرب : وزمن أداء هذا الفرض بين غروب الشمس والشفق الأحمر وله من التأثير الخاص فى الجسم وإتمام الهضم مالوقتى الظهر والعصر .

٥ — صلاة العشاء : وزمنها من الشفق الأحمر إلى الصبح فان أقيمت صلاة العشاء قبل طعام العشاء كانت منبهة للرغبة فيه وإن أديت قبل النوم كانت مسرعة لهضم طعام المساء .

وعدا ذلك فان لحركات الصلاة الخاصة منافع جسيمة فى كثير من الأمراض بدأ العلماء يعرفون فضائلها ويوصون مرضاهم بها فالركوع بتقليصه عضلات البطن يقوى هذا الجدار ويمنعه عن الاسترخاء وينبه حركات الاحشاء والامعاء فيتخلص الشخص من ربقة القبض الشديد الضرر . وأما السجود فيعرف طبياً بالوضعة الركبية الصدرية يقلص عضلات البطن تقليصا أعم وأشد ويحرك الحجاب الحاجز وينبه المعدة فيدفع ما بها ويخلصها من الوقوع فى مرض التمدد المزعج ويقيها من مرض بلع الهواء الكثير المظاهر . وقد أصبح نفع هذه الوصفة فى مداواة بعض أمراض المعدة والوقاية منها أمراً ثابتاً ومدرسياً . وللصلاة أيضاً فائدة فى إدامة راحة الفكر ولذلك قيمة كبيرة فى صحة الجسم فان فى الاستسلام بالصلاة لخالق السموات والأرض القوى القادر على كل شيء الفعال لما يريد أثراً فى شفاء كثير من الأمراض الروحية التى لم تعرف بعد لها تغييرات تشريحية تناسب مظاهرها وأعراضها . وربما كان سبب الشفاء بالايمان والاعتقاد فى مثل هذه الحوادث نشاط غدد صم كسولة وتنبه فروع دقاق للعصب السمباتى الغريب التأثير الكثير الأفعال فى الجسم والذى لم يسبر بعد غوره تماما ولم يكشف العلم عن جميع أسراره وخفاياه . وباعتقادى أنه ما من طبيب ممارس إلا وقد رأى خلال ممارسته حوادث شفاء لا يستطيع تأويلها بما عرف عن علم الطب حتى الآن وكان للايمان والاعتقاد أثر كبير فى توجيه المريض شطر الشفاء .

هذا ولا يسعنى أن أختتم هذا البحث دون أن أنبه إلى بعض مقاصد الصلاة فليس المقصود بالوضوء والغسل والصلاة تنظيف الظاهر بالماء فحسب بل فيه أيضاً دعوة إلى تنظيف الباطن من الأخلاق الرذيلة . وقد قصد الشارع الحكيم أن يغرس فى الناس خلق نظافة الظاهر ليطهروا بواطنهم ويغيروا من قبيح أخلاقهم بالجميل

منها . وفى الصلاة أيضا اشراب القلوب بالحرية وتعويد المساواة والاخاء وتعويد النفوس الطاعة لمن تجب له الطاعة والسلام[1] ؟

الصلاة من الناحية الروحية

عنى الإسلام عناية شديدة بسلامة الروح وتطهيرها من مفاسد الأخلاق وحضها على التخلق بالحميد من الصفات الجميلة من علو الهمة والتخلى عن الدنايا والسفاسف ولذلك كانت قراءة الفاتحة والسور والآيات التى تتلى بعدها والدعاء الذى ورد عن رسول الله صلوات الله عليه تذكير للنفس بما يجب عليها أن تتحلى به وبما يرسم لها من أهداف عليا تسعى لها وتبذل فى سبيلها ما استطاعت البذل . ومبادىء سامية تعمل على تحقيقها وبذلك تتزكى بها وترق إلى المعارف الإلهية التى تقربها من ربها وترفعها إلى الدرجات العلى قال تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاها (النفس) وقد خاب من دساها (النفس) ﴾ والدس يكون باهمالها وتركها فى غمار الشهوات فتتضاءل وتضعف ويخبت نورها وقوتها . فلا تؤدى رسالتها فى عمل الخير والنافع فتخيب ويفوتها الغرض الاسمى من الحياة .

أسرار الصلاة وفوائدها

فالصلاة وتوابعها من الطهارة والنظافة تعلم الانسان حبه للواجب وتغرس فى نفسه الطاعة للخالق وتعلمه كبح شهواته والوقوف عند حد الاعتدال .

وقد قيل من الأمور الضرورية فى تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس تدريب الارادة وتعويدها سرعة العمل بما توحيه اليها الذمة حتى تقاوم الميل الفاسد ، وقد يحتاج الانسان إلى تأديب طويل وتدريب مستمر حتى يعتاد فعل الخير ، ويقاوم الباعث على الشر ، ويكافح الشهوات ويتغلب على الاستئثار الغريزى ، ولكنه متى تعلم القيام بالواجب صار ذلك له عادة ثابتة يسهل عليه العمل بها . فالانسان الصالح إذن هو الذى أدب نفسه بتدريب إرادته حتى صار الخير عادته كما أن الطالح

---

(١) مقتطف يناير سنة ١٩٤٣

الشرير هو الذى ترك إرادته خاملة لا عمل لها ، وأرخى العنان لنفسه وهواه . حتى اعتاد الشر ، وحتى قيده الشر بسلاسل لم يستطع إلى الخلاص منها سبيلا . وأى عادة أفضل وأقوى من الصلاة التى تأمره بالخير وتنهاه عن الشر !! .

والصلاة من أكبر العوامل فى نشاط الجسم لما فيها من الحركات الرياضية من قيام وقعود وركوع واعتدال وسجود . فهى باعث الهمة فى حالة الذين يتعودون القعود من التجار وبعض أصحاب الحرف ، كما فيها متسع للراحة البدنية لمن غمرتهم الحياة الصناعية أو التجارية بكثرة الحركة .

وأغلب الحركات الرياضية التى تعلم اليوم فى المدارس والأندية الرياضية نجدها فى حركات الصلاة وهى تؤدى فى هوادة ورفق .

انظر مثلا إلى صلاة الفجر وهى تؤدى قبل طلوع الشمس بنحو ساعة ونصف وهى ساعة البكور . ساعة انسلاخ الليل من النهار . وكيف يكتسب الجسم نشاطاً وقوة حينما ينام مبكراً ويستيقظ مبكراً ويقف بين يدى ربه يناجيه ويدعوه أن يهديه الطريق المستقيم . طريق الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم .

ولقد لاحظت عند قيام الفجر أن الحرارة الجوية فى مصر تتغير وكثيراً ما تهبط إلى خمس درجات أو ما يقرب من ذلك فيتعرض النائم للبرد خصوصاً إذا لم يكن الغطاء كافيا ، فالقيام من النوم فى هذه الساعة مما يدرأ عن الانسان بعض أمراض البرد من الانفلونزا وغيرها .

إن صلاة المغرب والعشاء من أكبر الرياضة الجسمانية والنفسية لختام حياة النهار واستقبال راحة الليل فى هدوء وطمأنينة .

وصلاة الظهر والعصر من أدعى الأسباب لاستجمام راحة البدن والفكر من مشاغل الحياة اليومية فبها يستلهم السداد من خالقه ، ويؤدى له بعضاً من واجب الشكر على الكثير من نعمه التى غمره بها .

شهادة ضابط فرنسى نبيل فى أثر الصلاة على النفس

قص الكونت هنرى دى كسترى وهو ينتمى فى الأصل إلى إحدى الأسر الفرنسية العريقة فى المجد وبدأ حياته بين صليل السيوف وعلى صهوات الجياد إذ كان ضابطاً بالجيش الفرنسى المرابط فى بلاد الجزائر حيث اختلط بالعرب وعاشرهم

زمناً واطلع على شيء كثير من أصول الدين الإسلامى وتاريخه وكان الدافع له على ذلك كما رواه هو عن نفسه فى مقدمة كتابه الاسلام : هو أنه خرج إلى الصحراء فى يوم من أيام الشتاء ليروح عن نفسه راكباً فرساً من جياد الخيل بصحبة ثلاثين عربياً من قبيلة أولاد يعقوب يمتطين جيادهم وهم ينشدون أشعار الحب والأغانى الحماسية بين صهيل خيولهم العربية الجميلة كأنها كانت تشاركهم فيما هم فيه من مرح وصفاء . وإذا بهم توقفوا فجأة عن المسير والتفتوا إليه قائلين : « أيها السيد لقد حانت صلاة العصر » ومن غير أن ينتظروا جوابا نزلوا عن خيولهم ، ووقفوا صفاً واحداً . وهنا نترك الكلام للكونت نفسه حيث يقول : فابتعدت عنهم ووددت لو أن الأرض انشقت وابتلعتنى . ورأيتهم ببرانسهم البيضاء ينحنون ويسجدون بحركات منتظمة . وسمعتهم يقولون بصوت عال « الله أكبر » فاستولى على اضطراب لا يوصف : مزيج من الخجل والغضب .

شعرت فى تلك اللحظة أن هؤلاء الاعراب الوضيعين كانوا على يقين بأنهم أشرف منى نفسا ، وأكبر همة ، وكنت على وشك أن أصيح فى وجوههم اننى أيضاً أعتقد بالله ، وأعرف أن أسجد بين يديه .

وما كان أبدع منظر هؤلاء الرجال بأحرمتهم الصوفية البيضاء وجيادهم على مقربة منهم ، وأعنتها ملقاة على الأرض ، وقد ضربت عليها السكينة بجناحها كأنها تولاها الخشوع من رهبة الصلاة وخشية الله ... وكان منظرى فى وسط هذه الصحراء المترامية الاطراف وحيداً فى نوعه بردائى الحربى الضيق البعيد عن مظاهر الحشمة والوقار . ولكنى كنت أحس بألم لموقفى هذا المحفوف بالشك . والذى جعلنى أشعر كأنى حيوان أو كلب بازاء هؤلاء الرجال الذين يوجهون إلى الله آيات اعتقادهم به اعتقاداً صحيحاً عميقاً .

وعندما عدت إلى البرج الذى كنت أقيم فيه اجتهدت فى استجماع أفكارى وتحديد شعورى ، وشعرت بميل متزايد إلى محاسن الاسلام ، وخيل إلى وأنا بين أهل هذه البادية أنى أرى بعينى لأول مرة فى حياتى رجالا يعبدون الله . فتذكرت حينذاك معابد المسيحيين حيث يراها الانسان خاوية ليس فيها إلا بعض النساء اللاتى يقمن بفروض الصلاة ، وتملكنى الغضب من جحود رجال الغرب » .

كانت هذه الحادثة وهذه التأملات كما يقول المؤلف سبباً فى اقباله على دراسة الاسلام وتأليف الكتاب الذى نحن بصدده «كتاب الاسلام» وقد أودعه نتيجة أبحاثه عن صاحب الشريعة الاسلامية ﷺ والعوامل التى أدت إلى انتشار الدين الحنيف [1].

أرأيت أن جلال الله إذا حضر القلوب أضاءها بنوره فترى أن ليس فوق أمر الله أمر وليس قبل حقه حق ، ولذلك لبى العرب الذين كانوا مع الكونت هنرى دى كسترى وهو رئيسهم نداء ربهم وقاموا بين يديه لما حانت صلاة العصر خاشعين لله لا يرون سلطانا غير سلطانه . خافوا ربهم فخشيهم رئيسهم ، وعظموا خالقهم فرهبهم مستعمرهم . وقد ورد فى القول المأثور : «من أطاع الله أطاعه كل شىء ، ومن خاف الله خاف منه كل شىء ، ومن لم يخش الله أخافه الله من كل شىء» . قال تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا [2] ﴾ .

وقد ورد فى القول المأثور عن الله تعالى : «لا تدخلوا بيتا من بيوتى (المساجد وغيرها) إلا بقلوب سليمة ، وألسن صادقة ، وأيد نقية ، وفروج طاهرة . ولا تدخلوا بيتا من بيوتى ولأحد من عبادى عند أحد منكم ظلامة ، فأى العبيد ما دام قائماً بين يدى يصلى فانى لا أقبل صلاته حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها ، فاذا فعل فأكون سمعه الذى يسمع به ، وأكون بصره الذى يبصر به ، ويكون من أوليائى وأصفيائى ، ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء فى الجنة» .

وقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن آية إيمانهم اتباع ما جاء به القرآن الكريم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة . وإن الصلاة هى عماد هذه الأمور وقوامها ، لأنها تطبع الأفراد بطابع خاص ، وتروض نفوسهم على الطاعة لما أمروا به وبذلك يتشاكلون ويتشابهون ، ويجتمعون على أمر .

---

(١) كتاب الاسلام تأليف الكونت هنرى دى كاسترى . راجع المجلد الأول من مجلة الشبان المسلمين ص ١٦٢ وما بعدها .

(٢) سورة الاسراء .

واحد جامع لشملهم وهى طاعة ربهم فيفوزون برحمته ورضوانه .

قال تعالى : ﴿ والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضهم أولياءُ بعضٍ يأمرون بالمعروف وينهَوْنَ عن المنكر ويقيمونَ الصلاةَ ويؤتون الزكاةَ ويُطيعون اللهَ ورسوله . أولئك سيرحمُهُمُ اللهُ إن اللهَ عزيزٌ حكيمٌ [١] ﴾ .

كيف كان يصلى النبى ﷺ

(هديه ﷺ فى الصلاة) إذا قام إلى الصلاة قال الله أكبر ولم يقل شيئا قبلها ولا يلفظ بالنية البتة ولا قال أصلى لله صلاة كذا أو غيرها ولا قال أداء ولا قضاء ولا فرض أو سنة . وكان دأبه فى إحرامه لفظة الله أكبر لا غيرها ويرفع يديه معها ممدودة الأصابع مستقبلا بها القبلة إلى فروع أذنيه ولم يختلف عنه فى محل هذا الرفع ثم يضع اليمنى على ظهر اليسرى وكان يستفتح تارة باللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد ، اللهم نقنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . وتارة يقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . اللهم انت الملك لا إله إلا أنت انت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعها انه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيىء الأخلاق لا يصرف عنى سيئها إلا أنت . لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت ربنا وتعاليت استغفرك وأتوب إليك . وتارة يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون إهدنى لما اختلفت فيه من الحق باذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم . وتارة يقول اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن الحديث . وتارة يقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا سبحان الله بكرة وأصيلا سبحان الله بكرة وأصيلا . اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه

---

(١) سورة التوبة .

وتارة يقول الله أكبر عشر مرات ثم يسبح عشر مرات ثم يحمد عشراً ثم يهلل عشراً ثم يستغفر عشراً ثم يقول اللهم اغفرلى واهدنى وارزقنى عشرا ثم يقول اللهم إنى أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة عشرا كل هذا صح عنه وكان أفضل الكلام بعد القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . ومن ذلك ان الثناء أفضل من الدعاء لهذا كانت سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن لأنها أخلصت لوصف الرحمن تبارك وتعالى والثناء عليه . وكان يقول بعد ذلك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة وكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم تارة ويخفيها أكثر مما يجهر بها . وكانت قراءته مداً يقف عند كل آية ويمد بها صوته فاذا فرغ من قراءة الفاتحة قال آمين فان كان يجهر بالقراءة رفع بها صوته وقالها من خلفه . وكان له سكتتات سكتة التكبير والقراءة وقبل الركوع ولم يكن يصل القراءة بالركوع بخلاف السكتة الأولى فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح والثانية قد قيل انها لأجل قراءة المأموم فعلى هذا ينبغى تطويلها بقدر قراءة الفاتحة وأما الثالثة فللراحة والنفس فقط . وكان يعجبه إذا فرغ من القراءة أن يسكت حتى يتراد إليه نفسه فإذا فرغ من الفاتحة أخذ فى سورة غيرها وكان يطيلها تارة ويخففها لعارض من سفر أو غيره ويتوسط فيها غالباً . وكان يقرأ فى الفجر بنحو ستين آية إلى مائة آية وصلاها بسورة وصلاها بالروم وصلاها بإذا الشمس كورت وصلاها بإذا زلزلت فى الركعتين وصلاها بالمعوذتين وكان فى السفر وصلاها فافتتح بسورة المؤمنين حتى بلغ ذكر موسى وهارون فى الركعة الأولى أخذته سعلة فركع . وكان يصليها يوم الجمعة بألم تنزيل السجدة وسورة هل أتى على الإنسان كاملتين لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق آدم ودخول الجنة والنار وكان يقرأ فى المجامع العظام كالأعياد والجمعة سورة ق واقتربت وسبح والغاشية . أما الظهر فكان يطيل قراءتها أحيانا حتى قال أبو سعيد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب إلى البقيع فيقضى حاجته ثم يأتى أهله فيتوضأ ويدرك النبى ﷺ فى الركعة الأولى مما يطيلها وكان يقرأ فيها تارة بقدر ألم تنزيل وتارة بسبح اسم ربك الأعلى والليل إذا يغشى وتارة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق . أما العصر فعلى النصف من قراءة صلاة الظهر إذا طالت وبقدرها إذا قصرت . أما المغرب فصلاها مرة بالاعراف فرقها فى الركعتين ومرة بالطور ومرة بالمرسلات قال أبو عمر

ابن عبد البر روى عن النبي ﷺ انه قرأ فى المغرب بالمص وانه قرأ فيها بالصافات وانه قرأ بحم الدخان وانه قرأ فيها بسبح اسم ربك الأعلى وانه قرأ فيها بالتين والزيتون وانه قرأ فيها بالمعوذتين وانه قرأ فيها بالمرسلات وانه كان يقرأ فيها بقصار المفصل وهى كلها آثار صحاح مشهورة. أما العشاء الآخرة فقرأ فيها النبي ﷺ بالتين والزيتون ووقت لمعاذ فيها بالشمس وضحاها وسبح اسم ربك الأعلى والليل إذا يغشى ونحوها وانكر عليه قراءته فيها بالبقرة. أما الجمعة فكان يقرأ فيها بسورة الجمعة والمنافقين كاملتين وسورة سبح والغاشية. أما قراءة الأعياد فتارة سورة ق واقتربت كاملتين وتارة سورة سبح والغاشية وكان يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات فالقراءة بالصافات من التخفيف الذى كان يأمر به وكان لايعين سورة فى الصلاة بعينها لا يقرأ إلا بها إلا فى الجمعة والعيدين وكان يؤم الناس بالسورة الصغيرة والكبيرة وكان يقرأ السورة كاملة أو فى الركعتين وكان يطيل الركعة الأولى على الثانية من صلاة الصبح ومن كل صلاة، والصبح أطول لأن الفجر مشهود له لأن الناس لم يأخذوا بعد فى استقبال المعاش وأسباب الدنيا. وكان إذا فرغ من القراءة سكت بقدر ما يتراد إليه نفسه ثم رفع يديه وكبر راكعاً ووضع كفيه على ركبتيه كالقابض عليهما ووتر يديه فنحاهما عن جنبيه وبسط ظهره ومده واعتدل ولم ينصب رأسه ولم يخفضه بل يجعله حيال ظهره معادلا له. وكان يقول سبحان ربى العظيم أو مقتصراً على سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى. وكان ركوعه المعتاد مقدار عشر تسبيحات وسجوده وكانت صلاته معتدلة فكان إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود وإذا خفف القيام خفف الركوع والسجود وكان يقول أيضا فى ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح وكان يطيل الركن بقدر الركوع والسجود وصح عنه أنه يقول سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شىء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. وكان يكبر ويخر ساجداً ولا يرفع يديه وكان ﷺ يضع ركبتيه قبل يديه ثم يديه بعدهما ثم جبهته وأنفه وكان يسجد على جبهته وأنفه دون كور العمامة وكان رسول الله ﷺ يسجد على الأرض كثيراً وعلى الماء والطين وعلى الخمرة المتخذة من خوص النخيل وعلى الحصير المتخذ منه وعلى الفروة المدبوغة وكان

إذا سجد مكن جبهته وأنفه من الأرض ونحى يديه عن جنبيه وجافى بهما حتى يرى بياض إبطيه ولو شاءت بهمة (الشاة الصغيرة) أن تمر تحتهما لمرت وكان يضع يديه حذو منكبيه وأذنيه وكان يقول سبحان ربى الأعلى وأمر به وكان يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى وكان يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح. وكان يقول اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك. وكان يكثر فى سجوده من النوعين دعاء الطالب والمثنى وقد قال ﷺ ما من عبد سجد لله سجدة إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة لأن الساجد يكون فيها أذل ما يكون لربه واخضع له وذلك أشرف حالات العبد. وكان قيامه وركوعه وسجوده واعتداله قريباً من السواء. وكان يرفع رأسه مكبراً غير رافع يديه ويرفع منه رأسه قبل يديه ثم يجلس مفترشاً يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها وينصب اليمنى وكان يضع يديه على فخذه ويجعل مرفقه على فخذه وطرف يده على ركبته وقبض ثنتين من أصابعه وحلق حلقة ثم رفع إصبعه يدعو بها ويحركها. وكان هديه فى إطالة هذا الركن بقدر السجود ثم كان ينهض على صدور قدميه وركبتيه معتمداً على فخذيه. وكان النبى ﷺ يصلى الثانية كالأولى سواء إلا فى أربعة أشياء السكوت والاستفتاح وتكبيرة الاحرام وتطويلها كالأولى، وإذا جلس للتشهد وضع يده اليسرى على فخذه اليسرى واليمنى على الفخذ الأيمن وأشار بأصبعه السبابة وكان لا ينصبها نصبا ولا ينيمها بل يحنيها شيئاً ويحركها.

الصــلاة

وأثرها فى حياة الجماعة

— ٢ —

التربية العملية لتحقيق مبدأ الإخاء والمساواة بين الأفراد والطبقات البر بالضعفاء ـ عمل الخير والبر بين الناس

الصلاة من أكبر الوسائل لترويض النفس على كبح جماح شهواتها إذا ما أداها الانسان على وجهها المطلوب ، لأنها العلاقة المستمرة المتكررة فى اليوم والليلة خمس مرات بين العبد والرب يعترف فيها الانسان بربوبية خالقه ويستمد منه العون والهداية إلى الطريق المستقيم . وإذا كان كل مسلم يؤدى فرائض الصلاة حسب ما شرعها الله وأداها رسوله فهى بلا نزاع تجعل المسلمين على قدم المساواة فى فقرهم إلى الله وطلبهم رضوانه ، وذلك بانتهاجهم سبيله التى أقرها القرآن المجيد وبينها رسوله الكريم .

الصلاة هى عماد الدين وقوامه ، وداعيته ومنهاجه ، يتساوى فيها الفقير والغنى والأمير والحقير ، قضت على الارستقراطية فهدمتها ، وحرمت البلشفية من معونتها وذلك بأن جعلت فى أموال الموسرين حقاً للسائل والمحروم . وأمرتهم بالانفاق سراً وعلانية حتى يفوزوا برضوان ربهم . قال تعالى :

﴿ والذينَ يوفونَ بعهدِ الله ولا ينقضونَ الميثاقَ ۝ والذينَ يَصِلُونَ ما أمر اللهُ به أنْ يوصَلَ ويخشَوْنَ ربَّهم ويخافونَ سوءَ الحسابِ ۝ والذين صَبَرُوا ابتغاءَ وجه ربّهمْ وأقاموا الصلاةَ وأنفقوا ممّا رزقناهم سرًّا وعلانيةً ويَدْرأون بالحسنةِ السيئةَ أولئكَ لهم عُقْبَى الدارِ ﴾ . سورة الرعد .

بمثل هذه التعاليم السامية ، والأوامر الالهية العادلة الرحيمة قضى على أسباب الشقاق بين الانسان وأخيه الانسان . وهل هناك صلة أقوى من صلة الرحمة والاحسان التى يدعو إليها القرآن والتى تذكره بها الصلوات الخمس ! !

إذا ما اتبع المسلمون أوامر دينهم وأقاموا الصلوات حسب ما أمروا أمنوا

عادية حرب الطبقات ، وطغيان الاشتراكية الذى إذا ما ساد أمره فانه يهدم دولة الأغنياء من أساسها ، وإذا قلنا دولة الأغنياء قلنا النظام الحاضر .

قال المستر بنيامين : « ليس علينا إلا أن نلقى نظرة على ما يدور حولنا لنشاهد أن تنازع الانسان مع أمثاله هو خلق مسيطر عليه ، ويتجلى هذا الخلق فى جميع أجزاء الجسم الاجتماعى . فلو بحثنا عن علل أعمالنا اليومية وعن علل الأعمال المحدقة بنا لاعترفنا بأن همّ أكثريتنا هو العلم بكيفية الدفاع عن النفس فى المجتمع ولم يكن التنازع واقعاً بين الطبقات وحدها بل يتناول أفراد الطبقات أيضاً والتنازع الواقع بين هؤلاء الأفراد هو الأشد كما فى الطبيعة . فمع اجتماع كلمة الاشتراكيين فى بعض الأحيان على غرض واحد أى تخريب المجتمع الحاضر فانهم لا يكادون يتفقون حتى يقع اختلاف شديد بينهم . ان التنازع الواقع اليوم هو أشد منه فى الماضى ، وذلك لأسباب مختلفة ، منها سعينا وراء تحقيق لا تعترف به الطبيعة من أوهام العدل والمساواة . فهذه الألفاظ الباطلة توقع فى الانسان ضرراً أشد من جميع الاضرار الأخرى التى حكم القدر عليه بمعاناتها » .

وقال الدكتور جستاف لوبون : « ان تنازع الطبقات الذى قضت به سنن الطبيعة الصارمة سيشتد بتأثير أطوار الحضارة الحديثة ، وبتأثير عدم اطلاع البعض من هذه الطبقات على أمور البعض الآخر ، وباختلاف مصالحها المتزايدة ولا سيما باختلاف أفكارها . حقاً ان هذا التنازع سيصبح أشد مما كان عليه فى الماضى ، فقد أزفت الساعة التى سيلاقى البناء الاجتماعى فيها مالا عهد له به من الصدمات .

ولا يهدد البرابرة (أى الاشتراكيون) المموّلين وحدهم ، بل يهددون أيضاً الحضارة التى يعتبرونها حامية لما لا فائدة فيه عندهم من نفائس وكماليات .

فلم يصبّ زعماؤهم اللعنات على شىء أكثر مما يصبونها على الحضارة ، ولا توجد أمة هدد العدو ديارها وآلهتها بألفاظ تعادل هذه اللعنات . فأعدل الاشتراكيين يطلبون تجريد الطبقات الموسرة من أموالها ، وأشدهم حماسة يودون إبادة هذه الطبقات ابادة تامة . وإليك ما قاله أحدهم فى أحد المؤتمرات حسب رواية المسيو

بواليه : « ان جلود المموّلين الاراذل صالحة لصنع القفافيز [١] » .

أحاط الاسلام المجتمع بسياج حصين من التعليمات والأوامر فقرر هدم الفوارق الارستقراطية وآخى بين المسلمين جميعاً وجعلهم لافضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى أى بصالح الأعمال وأحسن الأقوال ، وهدد وتوعد بسوء العذاب من حاد عن سنن الله وتنكب طريقه وأعرض عن أوامره . انظر إلى قوله تعالى فى المجرمين : ﴿ ما سلككم فى سقر ؟ قالوا لم نكُ من المصلّين ، ولم نكُ نُطْعِمُ المسكين ، وكنّا نخوضُ مع الخائضينَ ، وكنّا نكذّب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقينُ ﴾ سورة المدثر .

فالمسلم أخو المسلم يجب أن يواسيه بماله وجاهه وعلمه وقوته . وقد جعل الله سبحانه وتعالى صلاة الجماعة خيراً من صلاة الفرد حتى يتعارف المسلمون ويتشاوروا على مافيه مصلحتهم وجعل صلاة الجماعة فرضاً على كل مسلم فى كل أسبوع مرة وذلك فى صلاة الجمعة (فى منتصف النهار) فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا إذا نودِىَ للصلاةِ من يوم الجمعة فاسعوْا إلى ذكر الله وذَرُوا البيعَ ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمونَ ، فاذا قُضيتِ الصلاةُ فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله . واذكروا اللهَ كثيراً لعلكم تفلحون »[٢] كما سنها ﷺ فى صلاة عيد الفطر وعيد الأضحى .

قال عمر رضى الله عنه : صلاة الجمعة ركعتان وصلاة الفطر ركعتان وصلاة الأضحى ركعتان وصلاة السفر ركعتان تمام غير قصرٍ على لسان محمد ﷺ رواه النسائى وأحمد وابن ماجه .

قال الكاتب البليغ الأستاذ مصطفى صادق الرافعى : وما الاسلام فى جملته إلا هذا المبدأ : مبدأ إنكار الذات و (إسلامها) طائعة على المنشط والمكره لفروضها وواجباتها ، وكلما نكصت إلى منزعها الحيوانى أسلمها صاحبها إلى وازعها الالهى . وهو أبداً يروضها على هذه الحركة ما دام حيا فينتزعها كل يوم من أوهام دنياها ليضعها ما بين يدى حقيقتها الإلهية . ويروضها على ذلك كل يوم وليلة خمس مرات

---

(١) روح الاشتراكية تأليف الدكتور غستاف لوبون تعريب الأستاذ زعيتر ص ٢٢٤ و ٢٢٧ .
(٢) سورة الجمعة .

مسماة فى اللغة خمس صلوات لا يكون الإسلام إسلاما بغيرها، فلا غرو أن كانت الصلاة بهذا المعنى كما وصفها النبي ﷺ : هى عماد الاسلام بين ساعات وساعات فى كل مطلع شمس من حياة المسلم صلاة . أى إسلام للنفس إلى الارادة الاجتماعيه الشاملة القائمة على الطاعة للفرض الالهى . وإنكار لمعانيها الذاتية الفانية التى هى مادة البشر فى الأرض وإقرارها لحظات فى حيز الخير المحض البعيد عن الدنيا وشهواتها وآثامها ومنكراتها . ومعنى ذلك كله تحقيق المسلم لوجود روحه . إذ كانت أعمال الدنيا فى جملتها طرقا تتشتت فيها الأرواح وتتبعثر حتى تضل روح الأخ عن روح أخيه فتنكرها ولا تعرفها .

وهذا الوجود الروحى مبعث الحالة العقلية التى جاء الاسلام ليهدى الانسانية اليها . حالة السلام الروحانى الذى يجعل حرب الدنيا المهلكة حربا فى خارج النفس لافى داخلها . ويجعل ثروة الإنسان مقدرة بما يعامل الله والانسانية عليه . فلا يكون ذهبه وفضته ما كتب عليه الدول «ضرب فى مملكة كذا» ولكن ما يراه هو قد كتب عليه «صنع فى مملكة نفسى» ، ومن ثم لا يكون وجوده الاجتماعى للأخذ وحسب ، بل للعطاء أيضاً . فان قانون المال هو الجمع ، وأما قانون العمل فهو البذل[1] .

ان تعاليم القرآن وفرضه الصلاة على كل مسلمة ومسلم بالغ عاقل كان له أكبر أثر فى هدم الفوارق الاجتماعية وجمع القلوب على الهدى بعد أن كانت مبعثرة فى طرق الضلال وما أكثرها . وحد الصفوف . ولمّ الشمل . فاذا ما اجتمع المصلون فى صعيد واحد لعبادة الله لا يكون هناك تمييز بين الأغنياء والفقراء والعلماء وغيرهم بل يختلط الحابل بالنابل . لأنهم كلهم على ما بينهم من تفاوت فى الثروة والعلم فقراء إلى الله تعالى يستمدون منه العون ويسألونه الهداية يتساوى فى ذلك امراؤهم وصعاليكهم . صغارهم وكبارهم . عجميهم وعربيهم . أسودهم وأبيضهم وأحمرهم وأصفرهم . ولا يتقربون إلى الله بأموالهم وأولادهم وضياعهم وحواشيهم . وإنما

---

(١) مقال تحت عنوان « نبى الاسلام المثل الأعلى للانسانية » بقلم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى - جريدة الاهرام ٥ يوليه سنة ١٩٣٣

بالعمل الرشيد والقول السديد وطاعة الله فيما يريد .

قال المستر هراس ليف الكاتب الانكليزى فى مقال نشرته المجلة الاسلامية الانكليزية : ماكان شىء فى العالم ليقنعنى بأن اى دين من الأديان يدعو إلى المساواة بين الناس . ولو أن بعضها يتظاهر بهذه الدعوى . فقد زرت كثيراً من الكنائس والمعابدمرات فرأيت التفريق بين الطبقات داخل المعابد كما هو موجود خارجها . وكان اعتقادى بالطبع أن الأمر لا بد كذلك داخل المساجد الاسلامية . ولكن ماكان أشد دهشتى حينما رأيت الشعور بالمساواة على أتمه بين المسلمين فى عيد الفطر فى مسجد ووكنج (بلندرة) .

هنالك وجدت أجناساً مختلطين على اختلافهم فى المراتب اختلاطاً لك أن تسميه بحق أخوياً . ولم أكن شاهدت مثل ذلك . ترى فى المسجد نوبياً من بلاد عباسة يصافح عظيما من رجال الأعمال المصريين . أو سياسياً من بلاد العرب . وقد ارتفعت الكلفة من بين الجميع فلا يأنف أحدهم مهما عظم قدره من أن يجاوره فى الصلاة أقل الناس شأنا منه . وانك لا تجد أقل محاولة لتخطى الصفوف إلى مكان ممتاز بالمسجد لأنه ليس هناك أى مكان ممتاز . فالكل عند الله سواء لا فضل لأحد على أحد .

وانك حين تتحدث إلى قوم مختلفى الأجناس تجد من الود الخالص والثقة التامة ما تعجب له كأنك واحد منهم . فيدفعك ذلك إلى الاعتقاد بأن الدين يمكن أن يكون وسيلة لازالة جميع الموانع التى تفرق بين الانسان وأخيه الانسان .

وعند ما صرح لى إمام المسجد بأن المسلمين يعتقدون برسالة جميع الأنبياء ويؤمنون بما أنزل إليهم ، كدت لا أصدق أذنى . وكان هذا جديداً استفدته عن الإسلام . ولذلك لم أعد أشك فى أن هذا الدين يصلح لأن يكون ديناً عاماً » .

نرى أثر المساواة بارزاً فى حياة المسلمين كلما كانوا متمسكين بتعاليم دينهم ، حريصين على أداء أوامره . وكلما صعدت بتاريخ الاسلام إلى صدره الاول رأيت العدل والمساواة والاخاء يكاد يكون على أتمه بما لم يحدث به التاريخ فى أى أمة من الامم .

كان الخلفاء الراشدون لا يأخذون من أموال الامة أكثر مما يتقوتون به ، فاذا رأوا أن نصيبهم فوق حاجتهم ردوا الزيادة . وعاشوا عيشة الرجل العادى من الامة بل الرجل الزاهد فى اموال المسلمين ، العامل على اسعادهم وراحتهم ، غير ناظر إلى أجر ، أو متطلع إلى شكر ، أو مترقب لصيت وفخر .

كان الانسان لا يفرق بين الحكام والمحكومين فى مظاهر الحياة ، بل كان فى بعض الطبقات المتوسطة والموسرة من هم أحسن حالا من حكامهم . وذلك لشدة ورعهم ومراقبة خلفائهم .

روى الطبرى قال : كتب عمر بن الخطاب إلى العمال (الولاة) : « اجعلوا الناس عندكم فى الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ، إياكم والرشا (الرشوة) والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب . فقوموا بالحق ولو ساعة من النهار .

وجاء فى كنز العمال عن عاصم بن أبى النجود أن عمر بن الخطاب كان إذا بعث عماله شرط عليهم : أن لا تركبوا برذوناً ، ولا تأكلوا نقياً ، ولا تلبسوا رقيقاً ، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس ، وان فعلتم شيئاً من ذلك حلت بكم العقوبة .

كان أبو عبيدة بن الجراح عامله على الشام يظهر للناس وعليه الصوف الجافى فعذل فى ذلك . فقال : ما كنت بالذى أترك ما كنت عليه فى عصر رسول الله ﷺ .

وكان عامل عمر بن الخطاب على حمص سعيد بن حذيم ، فشكاه أهل حمص إلى عمر وسألوه عزله . وكان عمر يعتقد أنهم ظالمون له ، فقال : اللهم لا تفل فراستى فيهم . وجمع بينهم وبينه ، فقال : ما تنقمون منه .

قالوا : لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار .

فقال : ما تقول يا سعيد ؟

فقال : يا أمير المؤمنين انه ليس لأهلى خادم فاعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى . ثم أتوضأ وأخرج اليهم .

قال : وماذا تنقمون منه ؟

قالوا : لا يجيب بليل .

قال سعيد : قد كنت أكره أن أذكر هذا . انى جعلت الليل كله لربى . وجعلت النهار لهم .

قال عمر : ماذا تنقمون منه ؟

قالوا : يوم فى الشهر لا يخرج الينا .

قال سعيد : نعم ليس لى خادم فاغسل ثوبى ثم أجففه فامسى .

فقال عمر : الحمد لله لم يقل فراستى فيكم يا أهل حمص فاستوصوا بواليكم خيراً . وبعث اليه بالف دينار (ما يقرب من خمسمائة جنيه) يستعين بها فابقى منها يسيراً وفرق سائرها فى اليتامى والفقراء والمساكين . ولم يغير من عادته .

وكان عمر إذا بلغه عن عامل من عماله ريبة فى معصية لم يمهله أن يعزله لأن استصلاح الرعية بضرره بالعزل خير من الابقاء عليه مع ضرر الرعية .

لسنا فى مقام سرد الحوادث ، على أن تعاليم الدين أثمرت وأينعت ، وأبدلت القلوب ليناً ورحمة ، وبذرت فى النفوس حناناً وحكمة ، وجعلت من بداوة الاعراب فى الصحراء هداة ومثلا عليا لتاريخ البشرية جمعاء .

انظر إلى محاكمة سعيد مدير حمص وحاكمها كيف حاله مع محكوميه ؟ وكيف جوابه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو من أكبر من أنجبهم التاريخ للحكم الديمقراطى العادل ، وذلك بفضل تعاليم الاسلام وسمو مبادئه وقوة أصوله وقواعده ، ألم يكن هـؤلاء هم المتقين الذين حققوا ما وصفهم به القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ إنَّ المتَّقين فى جنَّاتٍ وعيون ، آخذينَ ما آتاهم ربهم إنَّهم كانوا قبلَ ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يَهْجَعون ، وبالأسحار هم يستغفِرون ، وفى أموالهم حقٌ للسَّائل والمحرُوم ﴾ ، سورة الذاريات .

وهل فى مثل هذه التعاليم الجليلة ومع هذه النفوس الرحيمة تجد حرب الطبقات مسرحا لتشعل فيه لظها . أو تجد البلشفية مكانا تغرس فيه بذرها . أو تلق فيه الفوضوية بيئة تصلح لتنفيذ برنامجها . ؟ !

روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : قال داود فى مناجاته إلهى

من يسكن بيتك ومن تتقبل صلاته ؟؟

فأوحى الله إليه يا داود انما يسكن بيتى واقبل صلاة من تواضع لعظمتى . وقطع نهاره بذكرى . وكف نفسه عن الشهوات من أجلى . يطعم الجائع . ويؤوى الغريب ويرحم المصاب . فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس . ان دعانى لبيته . وان سألنى أعطيته . أجعل له فى الجهل علما . وفى الغفلة ذكرا . وفى الظلمات نوراً . وإنما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان . لا تيبس أنهارها . ولا تتغير ثمارها .

إذا كانت الصلاة صلة بين العبد وربه . صلة الحب والطاعة والاذعان . فهى أيضاً صلة بين الانسان وأخيه الانسان صلة البر والعطف والحنان .

وما ذكرت الصلاة الا وذكرت معها الزكاة أو الانفاق على الفقراء والتصدق على المساكين حتى تتألف القلوب وتتعاون على ما فيه الخير . والصلاة هى عماد الأمر كله فى الدعوة إلى الخير والبر .

عن معاذ رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئاً . وتقيم الصلاة . وتؤتى الزكاة . وتصوم رمضان . وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير . الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار . وصلاة الرجل فى جوف الليل . ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون . ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله . قال رأس الأمر الاسلام . وعموده الصلاة . وذروة سنامه الجهاد . ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا . فقلت يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟! فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم — أو على مناخرهم — الا حصائد ألسنتهم[١] .

والمتأمل فى هذا الحديث يراه جامعا لأصول البر شاملا لضروب الخير . آخذاً

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن صحيح . كتاب الأذكار للامام النووى س ١٩٤

بالنفس الانسانية الى أشرف غاية من السمو على المادة والاشتغال بالنافع والمفيد . ومراقبة ما يصدر من الوجدان عن طريق اللسان حتى يكون الخير عادة للانسان قولا وفعلا . ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (يسكت) ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه[1] .

اسداء الخير قولا وفعلا لبنى الانسان هو من أكبر مقاصد الاسلام كما أنه من أهم الوسائل الى القرب من الله تعالى ، وسعادة الانسان فى الدنيا والآخرة . وقد أبان الله عز وجل عن هذه الغاية السامية ووسائلها الشريفة فى القرآن الكريم بأوضح صورة وأجلى بيان فى الكثير من آياته . قال تعالى :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ من ينصُرُهُ انَّ الله لقوىٌّ عزيزٌ ، الذين ان مكنَّاهم فى الارضِ أقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأمَروا بالمعروفِ ونَهَوا عن المُنكر ولله عاقِبةُ الامور ﴾ سورة الحج .

(١) الكتاب المذكور ص ١٩٣

الصـــلاة

وأثرها فى حياة الجماعة

— ٣ —

المحافظة على الصـــلوات

ان تعاليم الاسلام حريصة الحرص كله على اصلاح النفوس، وقد وضعت من القواعد والمبادىء ما ينير لها الطريق واضحاً ومايسهل عليها أداء مهمتها فى الحياة. وقد عنى الاسلام بالصلاة وجعلها عماد الدين. وهى من الفرائض التى لا يجوز تركها بحال من الاحوال ما دام الانسان فى وعيه وبالغ رشده. لانها صلة الانسان بربه فالصلاة واجبة فى الحضر وواجبة فى السفر مع تقليل ركعاتها (اثنتين) وجواز جمعها. وواجبة فى القتال وفى حالة الخوف والمرض لانها سياج النفس من الوساوس والهموم. وباعثها الى العمل الصالح واعتمادها على خالقها. والمحافظة على الصلوات آية الإيمان الكبرى وقد جعل الشرع الصلاة والزكاة شرطا لصحة الاسلام وأخوة الدين وما له من الحقوق. قال تعالى فى أوائل سورة التوبة فى الكلام على المشركين المعتدين ﴿ ٩ : ١١١ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ﴾ والاحاديث فى منطوق الآية ومفهومها كثيرة منها حديث ابن عمر عند أحمد والبخارى ومسلم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال «امرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله عز وجل» والمراد بالناس هنا المشركون أهل الأوثان، لا أهل الكتاب الذين تقبل منهم الجزية ومن فى حكمهم كالمجوس، ذلك أنهم كانوا يقاومون دعوة الاسلام أكثر مما يقاومها سواهم وكان استقرار الدين من غير دخول مشركى جزيرة العرب فى الاسلام ضربا من المحال والكلام هنا فى مكانة الصلاة من الاسلام لا فى الدعوة وحمايتها. وروى أحمد ومسلم فى صحيحه وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة». وروى أحمد وأصحاب السنن

الأربعة وابن حبان والحاكم من حديث بريدة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «العهد الذى بيننا وبينكم الصلاة فمن تركها فقد كفر».

وروى أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما فقال «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهانا ونجاة يوم القيامة. ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف» وفى الأثر ما يشعر بأن الصحابة كانوا متفقين على ذلك فقد روى الترمذى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة قال تعالى ﴿فان خفتم فرجالا أو ركبانا﴾ قال الأستاذ الامام هذا تأكيد للمحافظة وبيان أن الصلاة لا تسقط بحال لان حال الخوف على النفس أو العرض أو المال هو مظنة العذر فى الترك. كما يكون السفر عذراً فى ترك الصيام وكالاعذار الكثيرة لترك صلاة الجمعة واستبدال صلاة الظهر بها والسبب فى عدم سقوط الصلاة عن المكلف بحال أنها عمل قلبي. وإنما فرضت فيها تلك الأعمال الظاهرة لانها مساعدة على العمل القلبى المقصود بالذات وهو تذكر سلطان الله تعالى المستولى علينا وعلى العالم كله.. وإذا تعذر عليك الاتيان ببعض تلك الأعمال البدنية فان ذلك لا يسقط عنك هذه العبادة القلبية التى هى روح الصلاة وغيرها وهى الاقبال على الله تعالى واستحضار سلطانه مع الاشارة إلى تلك الاعمال بقدر الامكان الذى لا يمنع من مدافعة الخوف الطارىء من سبع مفترس أو عدو مغتال أو لص محتال. وكيف يسقط طلب الصلاة القلبية فى حال الخوف وهو يساعد على الخروج منه أو تخفيف دفعه. فالآية تعلمنا أنه يجب أن لا يذهلنا عن الله تعالى شيء من الاشياء ولا يشغلنا شاغل ولا خوف فى حال من الاحوال فان كان الوقت وقت صلاة صلى المكلف راجلا أو راكبا. لا يمنعه من صلاته الكر والفر ولا القفز أو الضرب. ويأتى من أقوال الصلاة بما يأتى مع الحضور والذكر. ويومىء بالركوع والسجود بقدر الاستطاعة ولا يلتزم التوجه إلى القبلة[1] وليراجع كتب

---

(١) تفسير المنار الجزء الثانى.

الفقه فى كيفية الصلاة فى الاحوال المختلفة والظروف المتبـاينة .

حدث الاستاذ عبد الله كوليم الانجليزى المسلم أنه حينما كان مسافراً على ظهر باخرة إلى طنجة فى بلاد المغرب وكان معه فى السفينة جماعة من أهـل الغرب وإذا بعاصفة قد هبت وماجت السفينة بركابها وأشرفت على الغرق وأخذ الركاب يتأهبون ويحزمون أمتعتهم وقد اضطربوا ونزل بهم الهول فلايدرون ماذا يصنعون ، وإذا به يرى جماعة من لابسى البرانس البيضاء يصطفون ويصلون فهاله هذا المنظر وأخذه العجب من عملهم فسأل أحدهم : من أى الاديان أنت ؟ فأجاب : أنا مسلم . فسأل ألم يهلكم اشراف السفينة على الغرق ؟ قال لا . قال وماذا تصنعون ؟ قال كنا نصلى لله الذى بيده أزمة الامور ان شاء أحيا وإن شاء أمات . وكان هذا الحادث سببا فى بحثه عن الدين الاسلامى وهدايته للاسلام . وكان من أنصار الدعوة الإسلامية فى انجلترا . وقد أسلم على يديه الكثير من الانكليز وغيرهم .

كانت اقامة الصلاة فى الصدر الاول من أعمال الخليفة يقيمها بنفسه أو بواسطة نائبه . وكان فى كل مصر مسجد جامع تؤدى فيه الجمعة ولا ينصب منبر فى غيره . فلم تكن تقام إلا جمعة واحدة فى المصر يقيمها الخليفة ان كان أو الوالى . ولم يبلغنا أنه تعددت فى البلد المساجد فى عهد الخلفاء الراشدين.[١] .

يروى عن حاتم الاصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته . فقال : إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء ، وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم إلى صلاتى ، وأجعل الكعبة بين حاجبى ، والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى ، والنار عن شمالى ، وملك الموت ورائى ، وأظنها آخر صلاتى ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعا بتواضع ، وأسجد سجوداً بتخشع ، وأقعد على الورك الايسر ، وأفرش ظهر قدمها ، وأنصب القدم اليمنى على الابهام ، وأتبعها الاخلاص ، ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا .

وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه .

(١) تاريخ الاسلام : الخلفاء الراشدون للاستاذ عبد الوهاب النجار .

وكانت صلاة الجماعة من أول الواجبات فتغصّ بهم المساجد . وكان الفرد لا يتخلف عن صلاة الجماعة إلا لعذر قاهر ، روى الامام البخارى أنه واظب على صلاة الجماعة فى المسجد أربعين عاما لم يتخلف إلا فى صلاة واحدة مرة واحدة وقد عزاه فى ذلك الامام ابن سيرين .

كان للصلاة أكبر الأثر فى حياة الافراد والجماعات من التقوى والورع والخشوع ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وتعالى وخشوعا له . وكان الربيع بن خيثم من شدة غضه بصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى . وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا رأته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الاعمى قدجاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها . وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضاً بصره[١] .

وكان اجتماع الناس خمس مرات فى المسجد للصلاة له أثر كبير فى رفع مستواهم الأدبى والاخلاقى ، وضلع عظيم فى تشييد صرح عظمتهم ومجدهم . فالصغير يقلد الكبير والعالم يرشد الجاهل والغنى يواسى الفقير ، والكل يسعى لمرضاة الله . وقد قيل : ان للأخلاق تأثيراً فى جميع أطوار الحياة ، فأخو الفضائل يرفع من حوله ، وأخو الرذائل يحط من فضائلهم ، وينقص من أخلاقهم غير شاعر . قال بعضهم : ان فردا صالحاً محباً للخير خير من مائة بل من ألف ممن لاخلاق لهم ولا غرو فان أفعاله تسرى إلى من حوله فلا تلبث أن تؤثر فيهم خيرا ولا يزال الرجل حتى يرفع معاشريه إلى درجته فى الفضائل . فان من طبيعة الأخلاق أن تنتقل إلى غير صاحبها خيرا كانت أو شرا حتى تتسع دائرة تأثيرها ، فهى كالحجر التى فى راكد الماء يحدث تموجات بسيطة تولد أكبر منها وتتسع حتى تعم الماء كله . وعلى هذا النحو انتشر الخير من قديم الزمان . قال رسكين : ماكان منشؤه الشر أنتج الشر وماكان منشؤه الخير علم الخير[٢] .

كان رسول الله ﷺ المثل العالى للمسلمين كافة تخلق بخلق القرآن ، وعمل

---

(١) احياء العلوم للامام الغزالى . الجزء الأول .

(٢) كتاب الاخلاق لصمول سميلز . تعريب الاستاذ محمد الصادق حسين ص ٨٩

بأوامره ورغب إلى ربه وزهد فيما عداه فكان لا يقول الا حقا ولا يعمل إلا صالحاً يرى الدنيامطية الآخرة لايركبها إلا لخير غير حافل بشهواتها ، وغير مكترث بغوايتها قوته الكفاف وعمـــله ديمة ، وتبعه فى ذلك أصحابه فكانوا الملوك الزاهدين والعلماء الورعين ، والقادة الظافرين ، والحكماء الموفقين ؛ وأضاءت لهم تعاليم الاسلام فى الخافقين .

رأى بعض أصحاب رسول الله ﷺ ما يعانيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من جهد العيش وليس ذلك من قلة الأموال وقد بسط الاسلام نفوذه على ملك كسرى والروم وذهبت الدنيا وأقبلت ، وإنما كان ذلك لعفة عمر عن مال المسلمين ، فاجتمع نفر فيهم عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وطلحة والزبير وقالوا : لو قلنا لعمر فى زيادة نزيده إياها فى رزقه (راتبه) فقال عثمان هلم نعلم ما عنده من وراء وراء فأتوا أم المؤمنين حفصة بنت عمر وحدثوها بما اعتزموا عليه وأوصوها ألا تخبر بهم عمر فلقيته حفصة وقالت له فى ذلك ، فغضب وقال : من هؤلاء لاسومنهم . قالت : لا سبيل الى علمهم . قال : أنت بينى وبينهم . ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ من الملبس ؟

قالت : ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع .

قال : فأى الطعام ناله عندك أرفع ؟

قالت : حرفا من شعير فصببنا عليه وهو حار أسفل عكة فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها .

قال : فأى مبسط عندك أوطأ ؟

قالت : كساء ثخين نربعه فى الصيف ، فاذا جاء الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفـه .

قال : يا حفصة ، فأبلغيهم ان رسول الله ﷺ قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية . وانمـا مثلى ومثل صاحبىّ كثلاثة سلكوا طريقاً ، فمضى الأول لسبيله وقد تزود فبلغ المنزل ، ثم اتبعه الآخر (يريد أبا بكر) فسلك سبيله فأفضى اليه ، ثم اتبعهما الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما ، وان سلك طريقاً غير طريقهما لم يلقهما .

الناس على دين ملوكهم اذا عفوا عفت الرعية ، واذا استقاموا صلحت لهم الأمور وذللت لهم الصعاب ، وهابتهم الناس فأطاعوهم وأجلوهم وأحاطوهم بسياج من الاحترام . وهكذا كان عمر ومن سار سيره بين المسلمين .

ما كان عمر مع ذلك يضيق على العامة أو يأخذ الرعية بمذهبه بل كان يرى أن يحملهم على الجادة الوسطى وأن يتنعموا بالطيبات ، وانما كان يأخذ عماله بمذهبه فقد كتب أبو عبيدة الى عمر كتابا يخبره فيه بأنه لا يريد الاقامة بانطاكية لطيب هوائها وخوف اخلاد الجند الى الراحة . فكان من كتاب عمر اليه : «وأما قولك انك لم تقم بانطاكية لطيب هوائها فالله عز وجل لم يحرم الطيبات على المتقين الذين يعملون الصالحات فقال تعالى فى كتابه العزيز ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم ﴾ وكان يجب عليك أن تريح المسلمين من تعبهم ، وتدعهم يرغدون فى مطعمهم ، ويريحون الابدان النصبة » .

جاء الاسلام بالأمر الجامع لخير الدنيا والآخرة فأمر بتوحيد المعبود ، وتوحيد الجهود لنصرة الحق . وحض على التحلى بمكارم الاخلاق فكانت الرحمة هى صلة الخلق بعضهم ببعض ، فتحابوا وتآلفوا واجتمعت كلمتهم على الهدى . فكانت المساجد تجمعهم لأداء فروض الصلوات ، ويتشاورون فيها فى المهمات . فاذا ما نزلت بالمسلمين نازلة فى عهدهم الاول سمعت النداء : الصلاة جامعة ، الصلاة جامعة . وسرعان ما يجتمع المسلمون ليروا ما حل بهم ويتداولوا فيما يهمهم .

فالصلاة لم تقتصر على صلة العبد بربه ولكنها شدت أواصر المعرفة ، وألفت بين القلوب ، وقاربت بين الافهام . فهى تعتبر بحق أساس الدين وعقد الاجتماع بين المسلمين .

كان صدر الاسلام وعهد الخلفاء خير عصر وخصوصاً عهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكيف لا يكون خير العصور وقد اجتمع الناس إلى توحيد الله فلم يشركوا به شيئاً ، والى توحيد الاجتماع فلم يتفرقوا شيعاً ينابذ بعضها بعضاً ، والى توحيد الافكار فلا يجادلون فى الحق ، والى توحيد المقاصد فلا يتخبطهم شيطان الاهواء ، وتفرقهم عن الحق نزعات النفوس . وإلى توحيد اللغة فلا يتناكرون

وبلسان واحد يتفاهمون .

تلقى العرب الدين الاسلامى ، وما لبث أن ظهر أثره فيهم ظهوراً يبشر بمصير السيادة على الأمم الاخرى ، لما أصبحوا عليه من الاخاء بعد التنافر ، والاجتماع بعد التفرق ، والتوحيد بعد الشرك ، والتنبه بعد الغفلة ، والايمان بعد الكفر ، والتحابب بعد التناكر . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويجاهدون فى الله وينصرون دينه ويقيمون حدوده ، ويواسون الفقير ، ويؤدون الحق ، ويرغبون بالقناعة بالكفاف عما بأيدى الناس ، ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ .

على هذا الاساس قامت حياة المسلمين الاجتماعية . وبتلك الاخلاق وصف الله اتباع النبى محمد ﷺ فى كتابه العزيز فقال تعالى فيه ﴿ كنتم خيرَ أمة أخرجتْ للناسِ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران . وقال تعالى ﴿ محمدٌ رسولُ اللهِ والذين مَعه أشدّاءُ على الكفار رُحماءُ بينهم تراهم رُكّعاً سُجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ وقال تعالى ﴿ ويُؤثِرون على أنفسهمْ ولوْ كانَ بهم خصاصة ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تأمر بمكارم الاخلاق .

روى الغزالى فى الاحياء أن تبادل الثقة والحب بين المسلمين يومئذ بلغ بهم أن كانوا خلطاء يأخذ فقيرهم من مال الآخر مصداقا لقوله تعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ .

وبلغت بهم معرفة الحقوق والوقوف عند الحدود أن لا يتخاصم منهم اثنان أمام القضاء فى حق صدرا من خلافة أبى بكر . فقد روى أن عمر بن الخطاب لما استقضاه أبو بكر رضى الله عنهما بقى سنة لا يحضر عنده خصمان فى دعوى ، ولا يتخاصم لديه اثنان فى حق[1] .

الصلاة والمال

نجد فى كثير من الآيات القرآنية أن الصلاة وإقامتها مقرونة بالزكاة أو الحض

---

(١) راجع كتاب أشهر مشاهير الاسلام لرفيق بك العظم الجزء الأول ص ١٤٤ وما بعدها .

على بذل المال ، كما نجد أيضا ذكر الايمان مقروناً بالدعوة الى صالح الأعمال ، وذلك لربط الهيئة الاجتماعية بأواصر المحبة والعطف والاحسان ، قال عيسى عليه السلام حينما تكلم فى المهد يخبر باداه ما فرضه الله تعالى عليه :

﴿ وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا[١] ﴾ وقال تعالى فى وصف المؤمنين الذين كتبت لهم سعادة الدارين ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ﴾[٢] .

وقد ورد فى القول المأثور من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرّض تلك النعمة للزوال . وقيل الجنة دار الاسخياء . وبمثل هذه التعاليم نجد المسلم المتمسك بتعاليم دينه جواداً بنفسه فى سبيل ربه ، جوادا بماله فى سبيل قومه ووطنه والانسانية .

اجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو من أفقه أهل زمانه ان لم يكن أفقههم وأعلمهم وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جارصوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به . فقام عبد الله ابن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر مالا نخدم أولياء الله تعالى . ففعل وفعلوا .

قال علىّ بن الحسين رضى الله عنهما : من وصف ببذل ماله اطلابه لم يكن من الاسخياء وإنما السخى من يبتدىء بحقوق الله تعالى فى أهل طاعته ، ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تماما . وقيل للحسن البصرى ما السخاء : فقال ان تجود بمالك فى الله عز وجل ، قيل فما الحزم : قال أن تمنع مالك فيه ، قيل فما الاسراف : قال الانفاق لحب الرئاسة . وقال جعفر الصادق

---

(١) سورة مريم . (٢) سورة الرعد .

رحمة الله عليه : لا مال أعون من العقل ، ولا مصيبة أعظم من الجهل ، ولا مظاهرة كالمشاورة ، ألا وان الله عز وجل يقول : انى جواد كريم لا يجاورنى لئيم واللؤم من الكفر ، وأهل الكفر فى النار ، والجود والكرم من الايمان ، وأهل الايمان فى الجنة .

قيل لسفيان بن عيينة : ما السخاء ؟ قال البر بالاخوان ، والجود بالمال . قال ورث أبى خمسين ألف درهم فبعث بها صرراً الى اخوانه وقال كنت أسأل الله تعالى لاخوانى الجنة فى صلاتى أفأبخل عليهم بالمال .

وكان الليث بن سعد وهو من أمثال أبى حنيفة ومالك ويعدّ من أفقه علماء عصره واكثرهم مالا لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا .

وحكى أنه أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال : والله لأعلمن الشيطان أنى عدوه . فعال محاويجهم وواسى فقيرهم الى أن رخصت الأسعار . ثم عزل فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلى نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفضل منها إلى من لم تنله صلاته (١) .

يتعذر علينا سرد الكثير من أحوال المتقين المصلين ، وآثار تقواهم وخشوعهم وأعمالهم الصالحة ، مما يزيد البرهان وضوحا على أن أثر الصلاة فى نفوسهم روض جوارحهم بطاعة الله والبذل فى سبيل مرضاته بكل ما يملكون من نفس ونفيس ، فهم الذين صدعوا بأمر الله تعالى ، إذ قال عز وجل لنبيه :

﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ .

فلما سمعوا وأطاعوا نالوا الحسنيين وسعادة الدارين .

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (المتواضعين لعبادته) الذين إذا ذُكِرَ الله

---

(١) كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالى الجزء الثالث .

وجِلَتْ قلوبهم والصابرينَ على ما أصابهم والمُقِيمِى الصـلاةِ وممّا رزقناهم ينفقون[١] ﴾ .

وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعْبُدُوا ربّكم وافعلوا الخيرَ لعلكم تُفلِحون . وجاهدوا فى الله حقَّ جهادِهِ هُوَ اجتباكم وماجعل عليكم فى الدينِ مِنْ حَرَجٍ مِلّةَ أبيكم ابراهيمَ هُوَ سمّاكُمُ المسلمينَ من قبلُ وفى هذا ليكون الرسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شهداءَ على الناسِ فأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ واعتصموا باللهِ هوَ مولاكُمْ فنعمَ المَوْلى ونعمَ النّصير[٢] ﴾ .

« اعتراف أجنبى بفضل الاسلام »[٣]

جاء فى كتاب العقيدة الاسلامية لمؤلفه السير توماس أرنولد بصفحة ٢٩ وما يليها بمناسبة كلامه فى الصلاة ما ترجمته :

هذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الامارات المميزة للمسلمين عن غيرهم فى حياتهم الدينية ، فكثيراً ما لاحظ السائحون وغيرهم فى بلاد المشرق ماالكيفية أدائه من التأثير فى النفوس . ودونك ما قاله فيه الأسقف لوفروا قال ، لا يستطيع أحد يكون خالط المسلمين لأول مرة أن لا يدهش ويتأثر بمظهر عقيدتهم . . . . فإنك حيثما كنت ، سواء أوجدت فى شارع مطروق أم فى محطة سكة حديدية أم فى حقل ، كان أكثر ما تألف عينك مشاهدته أن ترى رجلا ليس عليه أدنى مسحة للرياء ، ولا أقل شائبة من حب الظهور ، يذر عمله الذى يشغله كائناً ما مكان وينطلق فى سكون وتواضع لأداء صلاته فى وقتها المعين . ولننتقل من صلاة الفرد الى صلاة الجماعة فنقول : إنه لا يتأتى لأحد يكون قد رأى مرة فى حياته ما يقرب من خمسة عشر الف مصل فى عرصة المسجد الجامع بمدينة دهلى « بالهند » يوم الجمعة الأخيرة من شهر الصيام « رمضان » وكلهم مستغرقون فى صلاتهم ، وقد بدت عليهم أكبر شعائر التعظيم والخشية فى كل حركة من حركاتهم . نقول : إنه لا يتأتى لأحد يكون رأى ذلك المشهد أن لا يبلغ تأثره به أعماق قلبه ، وأن لا يلحظ ببصره القوة التى

---

(١) سورة الحج (٢) سورة الحج (٣) عن مجلة الأزهر : م ٢

تمتاز بها هذه الطريقة من العبادة عن غيرها . على أن توقيت الأذان اليومى للصلاة بأوقات معينة حينما يرنّ به صوت المؤذن فى أبكر البكور قبل الإسفار ، وعند الظهيرة والناس مضطربون ومصطخبون فى أعمالهم وعند الامساء ، هذا الأذان الذى يحصل فى هذه الأوقات على تلك الصورة مشحون بذلك الجلال عينه .

ومما يؤثر عن رينان (رينان حكيم فرنسى شهير) أيضاً قوله : إنه ما دخل مسجداً مرة إلا تأثر تأثراً شديداً بل شعر بشىء من الأسف أن لم يكن مسلماً . وقد كان ذلك المشهد « مشهد الصلاة » من الأسباب المساعدة على دخول رجل يهودى من أهل الاسكندرية فى الاسلام سنة ١٢٩٨ كما حكاه هو عن نفسه إذ قال : « كنت مريضاً مرضاً شديداً فتمثل لى فى أثنائه أن هاتفاً يهيب بى أن أعلن الاسلام ، ولما دخلت المسجد ورأيت المسلمين مصطفين للصلاة وقوفا كالملائكة ،سمعت فى نفسى صوتاً ينادينى بقوله : هذه هى الجماعة التى أنبأ بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ولما رأيت الخطيب يتقدم للخطبة وعليه رداء أسود وقع فى نفسى وجدان الرهبة والخشية ، ولما ختم خطبته بهذه الآية ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ وأقيمت بعد ذلك الصلاة آنست من نفسى أنها سمت سمواً كبيراً ، فقد بدت لى صفوف المسلمين كأنها صفوف الملائكة، وأن الله سبحانه وتعالى قد تجلى عليهم فى سجودهم وركوعهم ، وسمعت فى نفسى مناجياً يناجينى بقوله : إن الله سبحانه إذا كان قد خاطب شعب إسرائيل مرتين فى جميع القرون الخالية ، فلا جرم أنه يخاطب هذه الجماعة فى كل وقت من أوقات صلاتهم واقتنعت فى نفسى بأنى خلقت لأن أكون مسلماً .

موجز عن الصلاة وتوابعها

أول وقت الظهر الزوال وآخره مصير ظل الشىء مثله سوى فىء الزوال وهو أول وقت العصر وآخره ما دامت الشمس بيضاء نقية وأول وقت المغرب غروب الشمس وآخره ذهاب الشفق الأحمر وهو أول العشاء وآخره نصف الليل وأول وقت الفجر إذا انشق الفجر وآخره طلوع الشمس . ومن نام عن صلاته فوقتها حين يذكرها ومن كان معذوراً وأدرك ركعة فقد أدركها . والتوقيت واجب والجمع لعذر جائز

والمتيمم وناقص الصلاة أو الطهارة يصلون كغيرها من غير تأخير . وأوقات الكراهة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس وعند الزوال وبعد العصر حتى تغرب .

والجمع بين الصلاتين اذا كان صورياً وهو فعل الأولى فى آخر وقتها والأخرى فى أول وقتها . فليس بجمع فى الحقيقة لأن كل صلاة مفعولة فى وقتها المضمون لها وانما هو الجمع فى الصورة . ومنه جمعه ﷺ فى المدينة من غير مطر ولا سفر كما فى الصحيح من حديث ابن عباس وغيره فانه وقع التصريح فى بعض الروايات بما يفيد ذلك بل فسره من رواه بما يفيد أنه الجمع الصورى والمراد بالجمع الجائز للعذر هو جمع المسافر والمريض وفى المطر كما وردت بذلك الادلة الصحيحة وقد اختلف فى جواز الجمع بين الصلاتين بغير هذه الأعذار ومع عدم العذر والحق عدم جواز ذلك .

وأما كون المتيمم وناقص الصلاة كمن به مرض يمنعه عن استيفاء بعض أركانها وناقص الطهارة كمن فى بعض أعضاء وضوئه ما يمنعه من غسله بالماء يصلون كغيره من غير تأخير فوجهه أنهم داخلون فى الخطاب المشتمل على تعيين الأوقات وبيان أولها وآخرها ولم يأتِ ما يدل على انهم خارجون عنها وأن صلاتهم لا تجزىء إلا فى آخر الوقت ولم يعول من أوجب التأخير على شيء تقوم به الحجة بل ليس بيده إلا مجرد الرأى البحت لقولهم أن صلاتهم بدنية ونحو ذلك وهذا لا يغنى من الحق شيئا .

الأذان

يشرع لأهل كل بلد أن يتخذوا مؤذناً ينادى بألفاظ الأذان المشروع عند دخول وقت الصلاة ويشرع للسامع أن يتابع المؤذن ثم تشرع الاقامة على الصفة الواردة .

ما يجب على المصلى

يجب على المصلى تطهير ثوبه وبدنه ومكانه من النجاسة ويستر عورته ولا يشتمل الصماء ولا يسدل ولا يسبل ولا يكفت ولا يصلى فى ثوب حرير ولا ثوب شهرة ولا مغصوب[1] . وعليه استقبال الكعبة إن كان مشاهداً لها أو فى حكم المشاهد وغير المشاهد يستقبل الجهة بعد التحرى .

---

(١) اشتمال الصماء هو أن يجلل جسده بالثوب لا يرفع منه جانباً ولا يبقى =

كيفية الصلاة

لا تكون الصلاة شرعية الا بالنية واركانها كلها مفترضة الا قعود التشهد الاوسط والاستراحة ، ولا يجب من أذكارها الا التكبير والفاتحة فى كل ركعة ولو كان مؤتما والتشهد الأخير والتسليم . وما عدا ذلك فسنن ، وهى الرفع فى المواضع الأربعة والضم والتوجه بعد التكبيرة والتعوذ والتأمين وقراءة غير الفاتحة معها التشهد الأوسط والاذكار الواردة فى كل ركن والاستكثار من الدعاء لخير الدنيا والآخرة بما ورد وبما لم يرد .

بطلان الصلاة

وتبطل الصلاة بالكلام وبالاشتغال بما ليس منها وبترك شرط أو ركن عمداً ،

= ما يخرج منه يده وأما قوله ولا يسدل فلحديث النبى ﷺ عن السدل فى الصلاة وهو عند أحمد وابى داود والترمذى والحاكم فى المستدرك وفى الباب عن جماعة من الصحابة . والسدل هو إسدال الرجل رداءه من غير أن يضم جنبيه بين يديه بل يلتحف به ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد وهو كذلك ، وفى معنى آخر كما جاء فى مختصر النهاية هو أن يضع وسط الرداء على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه وهو شعار اليهود وأما قوله ولا يسبل فلما ورد فى الأحاديث الصحيحة من النهى عن اسبال الازار والمراد بالاسبال أن يرخى إزاره حتى يجاوز الكعبين . وأما قوله ولا يكفت فقد ورد النهى عن أن يكفت الرجل ثوبه أو شعره أما كفت الثوب فكمن يأخذ طرف ثوبه فيغرزه فى حوزته أو نحو ذلك ، واما كفت الشعر فنحو أن يأخذ خصلة مسترسلة فيكفتها فى شعر رأسه ويربطها بخيط إليه أو نحو ذلك. وأما قوله ولا يصلى فى ثوب حرير فالأحاديث فى ذلك كثيرة كلها تدل على المنع من لبس الحرير الخالص ، وأما المشوب فالمذاهب فى ذلك معروفة فبعض الاحاديث يدل على أنه انما يحرم الخالص لا المشوب لحديث ابن عباس رضى الله عنهما عند أحمد وأبى داود قال : « إنما نهى رسول الله ﷺ عن الثوب المسمط من القز »

ولا تجب الصلاة على غير مكلف وتسقط عمن عجز عن الاشارة أو أغمى عليه حتى خرج وقتها ويصلى المريض قائماً ثم قاعداً ثم على جنب .

صـــلاة التطوع

هى أربع قبل الظهر وأربع بعده وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل صلاة الفجر وصلاة الضحى وصلاة الليل وأكثرها ثلاث عشرة يوتر فى آخرها وتحية المسجد والاستخارة وركعتان بين كل آذان وإقامة .

صـــلاة الجماعة

هى من آكد السنن وتنعقد باثنين وإذا كثر الجمع كان الثواب أكثر وتصح بعد المفضول والاولى أن يكون الامام من الخيار ويؤم الرجل بالنساء لا العكس والمفترض بالمتنفل والعكس . وتجب المتابعة فى غير مبطل ولا يؤم الرجل قوماً هم له كارهون ويصلى بهم صلاة اخفهم ويقدم السلطان ورب المنزل والأقرب ثم الأعلم ثم الأسن . وإذا اختلت صلاة الأمام كان ذلك عليه لا على المؤتمين وموقفهم خلفه إلا الواحد فعن يمينه ، وإمامـــة النساء وسط الصف . ويقدم صفوف الرجال ثم الصبيان ثم النساء . والأحق بالصف الاول أولو الاحلام والنهى . وعلى الجماعة أن يسووا صفوفهم وأن يسدوا الخلل ويقيموا الصف الأول ثم الذى يليه ثم كذلك .

سجود السهو

سجود السهو هو سجدتان قبل التسليم أو بعده باحرام وتشهد وتحليل ويشرع لترك مسنون وللزيادة ولو ركعة سهواً وللشك فى العدد . وإذا سجد الامام تابعه المؤتم .

أما كون السجود يكون على التخيير اما قبل التسليم من الصلاة أو بعده فوجهه أن النبى ﷺ صح عنه أنه سجد قبل التسليم وصح عنه أنه سجد بعده . أما كون سجود السهو باحرام وتشهد وتحليل فقد ثبت عنه ﷺ أنه كبر وسلم كما فى حديث ذى اليدين الثابت فى الصحيح وفى غيره من الأحاديث أما التشهد فلحديث عمران بن حصين « أن النبى ﷺ صلى بهم فسها فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم » أخرجه أبو داود

والترمذى وحسنه وابن حبان وصححه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .
أما كونه يشرع لترك مسنون فلحديث سجوده ﷺ لترك التشهد الاوسط ولحديث لكل سهو سجدتان .

وأما الشك فى العدد ففيه أن من شك فى العدد بنى على اليقين وسجد للسهو .

القضاء للفوائت

ان كان الترك عمداً لا لعذر فدين الله أحق أن يقضى وان كان لعذر فليس بقضاء بل أداء فى وقت زوال العذر إلا صلاة العيد ففى ثانيه . قال عليه الصلاة والسلام ومن نام عن صلاته أو سهى عنها فوقتها حين يذكرها .

أما كون صلاة العيد المتروكة لعذر وهو عدم العلم بأن ذلك اليوم يوم العيد تفعل فى اليوم الثانى ولا تفعل فى يوم العيد بعد خروج العيد إذا حصل العلم بأن ذلك اليوم يوم عيد فلحديث عمير بن انس عن عمومة له لأنه غم عليهم الهلال فاصبحوا فجاء ركب من آخر النهار فشهدوا عند رسول الله ﷺ أنهم رأوا الهلال بالأمس فأمر الناس أن يفطروا من يومهم وأن يخرجوا لعيدهم من الغد أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

صلاة الجمعـــة

تجب على كل مكلف إلا المرأة والعبد والمسافر والمريض ، وهى كسائر الصلوات لا تخالفها إلا فى مشروعية الخطبتين قبلها ووقتها وقت الظهر وعلى من حضرها أن لا يتخطى رقاب الناس وأن ينصت حالَ الخطبتين وندب له التبكير والتطيب والتجمل والدنو من الامام ومن أدرك ركعة منها فقد أدركها وهى فى يوم العيد رخصة .

صـــلاة العيدين

هى ركعتان الأولى سبع تكبيرات قبل القراءة وفى الثانية خمس كذلك ويخطب بعدها ويستحب التجمل والخروج إلى خارج البلد ومخالفة الطريق والأكل قبل الخروج فى الفطر دون الأضحى ووقتها بعد ارتفاع الشمس قدر رمح إلى الزوال ولا أذان فيها ولا إقامة .

صـــلاة الخوف

قد صلاها رسول الله ﷺ على صفات مختلفة وكلها مجزأة وإذا اشتد الخوف والتحم القتال صلاها الراكب والراجل ولو إلى غير قبلة ولو بالإيماء .

صلاة الخوف قد وردت على أنحاء مختلفة قيل على ستة عشر وقيل على سبعة عشر وقيل أقل من ذلك وقد صح منها أنواع . فمنها أنه صلى بكل طائفة ركعتين فكان للنبى ﷺ أربع وللقوم ركعتان وهذه الصفة الثابتة فى الصحيحين من حديث جابر . ومنها أنه صلى بكل طائفة ركعة فكان له ركعتان وللقوم ركعة وهذه الصفة أخرجها النسائى باسناد رجاله ثقات . ومنها أنه صلى بهم جميعاً فكبر وكبروا وركع وركعوا ورفع ورفعوا ثم سجد وسجد معه الصف الذى يليه وقام الصف المؤخر فى نحر العدو فلما قضى النبى ﷺ السجود والصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر للسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم وفعلوا كالركعة الاولى ولكنه قد صار الصف المؤخر مقدماً والمقدم مؤخراً ثم سلم النبى ﷺ وسلموا جميعاً . وهذه الصفة ثابتة فى صحيح مسلم رحمه الله وغيره من حديث جابر وليرجع إلى كتب الفقه والحديث .

باب صـــلاة السفر

يجب القصر على من خرج من بلده قاصداً للسفر وإن كان دون بريد وإذا أقام ببلد متردداً قصر إلى عشرين يوماً وإذا عزم على إقامة أربع أتم بعدها وله الجمع تقديماً وتأخيرا وأذان وإقامتان ويرجع فى ذلك إلى كتب الفقه والسنة .

صـــلاة الكسوفين

هى سنة . وأصح ما ورد فى صفتها ركعتان فى كل ركعة ركوعان وورد ثلاثة وأربعة وخمسة يقرأ بين كل ركوعين . وورد فى كل ركعة ركوع وندب الدعاء والتكبير والتصدق والاستغفار .

صـــلاة الاستسقاء (١)

يسن عند الجدب ركعتان بعدهما خطبة تتضمن الذكر والترغيب فى الطاعة والزجر عن المعصية ويستكثر الامام ومن معه من الاستغفار والدعاء برفع الجدب ويحولون جميعاً أرديتهم .

(١) الدرارى المضية شرح الدرر البهية كلاهما للامام العلامة الفقيه المجتهد محمد بن على الشوكانى.

الزكاة
وأثرها

الزكاة وفوائدها — اعتراف الاجانب بفضلها لحل المشكلات الطائفية والعالمية — مراعاة الاسلام لوقت الزكاة ونصابها
تحريم الحيل فى ابطال فرائض الشريعة — الصدقات
(ملخص عن الزكاة - ما هى الزكاة - مصرف الزكاة - مانع الزكاة)

أصبحت مشكلة رأس المال والعمل الشغل الشاغل للمدنية الغربية. والاشتراكيون يزداد عددهم يوما فيوما بانتشار الفقر والعطالة. ويزيد فى حنق الفقراء على الاغنياء ما لهؤلاء من الاموال الطائلة وصرفها فى البذخ والترف. ونتج عن هذا العبث بالمال انحطاط فى الاخلاق. وفساد النفوس المتكاثر عند الطبقات الوسطى حجة بينة يحتج بها اشتراكيو هذا العصر فى مطاعنهم بعدم المساواة فى توزيع الارزاق. وقد سهل عليهم الادعاء بأن الاموال الوافرة فى هذه الايام اخذت فى الغالب خلسة من ألوف البائسين

كتّب الفيلسوف بواليه: « خلع الاقوياء العذار وجاروا على الضعفاء فأبادوا الامريكيين (البوروج): (سكان أمريكا أصحاب الجلود الحمراء)، وامتص الانجليز عظام الهنود ثم اقتسم الاوروبيون أفريقيا باسم الحضارة. والواقع أنهم لا يبحثون إلا عن أسواق ليبيعوا فيها سلعهم وقد أوجب ذلك حسداً لا مثيل له بين الدول. وما تهديد دول الاتفاق الثلاثى إيانا إلا عن طمع وقلق...

ضغائن وحسد فى الجمهور — عدم اكتراث وأثرة شديدة. وعبادة كثيرة للمال عند القادة — تطير عند المفكرين. هذه هى شعائر العصر الحاضر. فيجب أن تكون الامة وطيدة الاركان لتقاوم مثل هذه العلل المؤدية الى الانقراض. واننا نشك فى أنها تستطيع مقاومتها زمناً طويلا [1]

---

(١) كتاب روح الاشتراكية للدكتور جستاف لوبون. تعريب الاستاذ زعيتر ص ٢٤

يحمل الاسلام بين مبادئه الاصيلة صيانة الهيئة الاجتماعية اذا ما اعتصمت بها وهى الزكاة ، وهى حق معلوم للفقير فى مال الغنى

ورد فى الاثر ثلاث مهلكات : (١) شح مطاع (٢) وهوى متبع (٣) واعجاب المرء بنفسه . وقال تعالى ﴿ ومن يوقَ شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون(١) ﴾ وإنما تزول صفة البخل بتعود بذل المال ، فحب الشىء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتياداً . فالزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها من خبث البخل المهلك ، انما طهارته بقدر بذله ، وبقدر فرحه باخراجه ، واستبشاره بصرفه الى الله تعالى (٢) وتطهر الهيئة الاجتماعية من بغض الفقراء للاغنياء الذى ينجم عنه حرب الطبقات وتهديد السلام

الزكاة واجبة على المسلمين كوجوب الصلاة ، أوجبها الله عز وجل على عباده وقرنها بها فى غير ما آية من كتابه . فقال تعالى :﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة(٣) ﴾ وقال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة (٤) ﴾ وقال تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون(٥) ﴾ وقال تعالى ﴿ قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ﴾ (٦)

والزكاة احدى دعائم الاسلام الخمس . قال رسول الله ﷺ « بُنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله الا الله . واقام الصلاة . وايتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » وروى عنه ﷺ أنه قام فى الناس فقال : « يا أيها الناس انه أتانى آت من ربى فى المنام فقال لى يا محمد لا صلاة لمن لا زكاة له ولا زكاة لمن لا صلاة له ، مانع الزكاة فى النار والمتعدى فيها كمانعها » . وقد توعد الله فى غير ما آية من كتابه مانعها . فقال تعالى : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون (٧) ﴾ والماعون الزكاة فى قول أكثر أهل العلم . وقال تعالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله

---

(١) الحشر (٢) احياء علوم الدين . للامام الغزالى الجزء الاول (٣) المزمل
(٤) القيمة (٥) المؤمنون (٦) سورة الاعلى (٧) سورة الماعون

فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون[١] ﴾ والكنز هو المال الذى لا تؤدى زكاته وان لم يكن مدفوناً ، وما أدى زكاته من المال فليس بكنز وإن كان مدفوناً .

وقال تعالى ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم . سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة[٢] ﴾ معناه بخلوا بالزكاة الواجبة عليهم فيما آتاهم الله من فضله .

ومن جحد فرض الزكاة فهو كافر يستتاب فان تاب والا قتل كالمرتد . وقال ابن حبيب : ان تركها كفر وان كان مقراً بفرضها كالصلاة على مذهبه . وليس بصحيح . وأما من أقر بفرضيتها ومنعها فانه يضرب وتؤخذ منه كرهاً الا أن يمنع فى جماعة ويدفع بقوة فانهم يقاتلون عليها حتى تؤخذ منهم كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بأهل الردة حين شحوا بأداء الزكاة ، فقال : والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لجاهدتهم عليه . فقاتلهم وأمر بقتالهم ، وقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة[٣] .

الزكاة واجبة على كل مسلم حر ، ولا يشترط البلوغ بل تجب فى مال الصبى والمجنون . والزكاة تكون فى التجارة وقيمتها اثنان ونصف فى المائة أى ربع العشر وإذا زاد عن النصاب (أى إذا زاد عن عشرة جنيهات مصرية تقريباً) وقيمته ٢ر٥ ٪ أى ربع العشر . والزكاة تكون أيضاً فى الابل والبقر والغنم وفى كل مستنبت مقتات . ويرجع فى تفاصيل ذلك الى كتب الفقه .

والزكاة تؤدى كل سنة كما أمر رسول الله صلوات الله عليه « لازكاة فى مال حتى يحول عليه الحول » .

وزكاة الفطر وهى واجبة على لسان رسول الله ﷺ : على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر (العيد الصغير) وليلته صاع مما يقتات وهو

---

(١) التوبة .　　(٢) آل عمران .　　(٣) كتاب (المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات) للعلامة ابن رشد . الجزء الأول

(منوان وثلثا منّ) يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه ، ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو فى نفقته أعنى من تجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد .

قال تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ ٦٠ - سورة التوبة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بعث رسول الله ﷺ معاذاً الى اليمن فقال : « انك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله تعالى ، فاذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم أن الله تعالى فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فان هم أطاعوا لذلك فخذ منهم وتوقّ كرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » . أخرجه الخمسة .

راعى الاسلام فى الزكاة وقتها وقدرها ونصابها ومن تجب عليه ومصرفها ، وراعى مصلحة أرباب الأموال ومصلحة المساكين وجعلها الله سبحانه وتعالى طهرة للمال ولصاحبه ، وقيد النعمة به على الاغنياء فما زالت النعمة بالمال على من أدى زكاته بل يحفظه عليه وينميه له ويدفع عنه بها الآفات ، ويجعلها سوراً له وحصناً له وحارساً له . ثم انه جعلها فى أربعة أصناف من المال وهى أكثر الأموال دوراً بين الخلق وحاجتهم إليها ضرورية :

(١) الزرع والثمار .

(٢) بهيمة الانعام : الابل والبقر والغنم .

(٣) الجوهران اللذان بهما قوام العالم وهما الذهب والفضة .

(٤) أموال التجارة على اختلاف أنواعها .

أوجب الاسلام الزكاة مرة كل عام وجعل حول الزروع والثمار عند كمالها واستوائها وهذا أعدل ما يكون إذ وجوبها كل شهر أوكل جمعة يضر بأرباب الأموال ، ووجوبها

فى العمر مرة مما يضر بالمساكين فلم يكن أعدل من وجوبها كل عام مرة ، ثم إنه فاوت بين مقادير الواجب بحسب سعى أرباب الأموال فى تحصيلها وسهولة ذلك ومشقته فأوجب الخمس فيما صادفه الانسان مجموعا محصلا من الأموال وهو الركاز ، ولم يعتبر له حولا بل أوجب فيه الخمس متى ظفر به .

وأوجب نصف الخمس أو العشر فيما كانت مشقة تحصيله وتعبه وكلفته فوق ذلك وذلك فى الثمار والزروع التى يباشر حرث أرضها وسقيها وبذورها ، ويتولى الله سقيها من عنده بلا كلفة من العبد ولا شراء ماء ولا إثارة بئر ودولاب .

وأوجب نصف العشر فيما يتولى العبد سقيه بالكلفة والدوالى والنواضح وغيرها ، وأوجب نصف ذلك — وهو ربع العشر — فيما كان النماء فيه موقوفاً على عمل متصل من رب المال بالضرب فى الأرض تارة وبالادارة تارة وبالتربص تارة ، ولا ريب أن كلفة هذا أعظم من كلفة الزرع والثمار ، وأيضا فان نمو الزرع والثمار أظهر وأكثر من نمو التجارة فكان واجبها أكثر من واجب التجارة وظهور النمو فيما يسقى بالسماء والأنهار أكثر مما يسقى بالدوالى والنواضح وظهوره فيما وجد محصلا مجموعاً كالكنز أكثر وأظهر من الجميع . ثم إنه لما كان لا يحتمل المواساة كل مال وإن قل جعل للمال الذى يحتمل المواساة نصبا مقدرة المواساة فيها لا تجحف بأرباب الأموال وتقع موقعها من المساكين ، فجعل للورق مائتى درهم وللذهب عشرين مثقالا وللحبوب والثمار خمسة أوسق وهى خمسة أحمال من أحمال إبل العرب وللغنم أربعين شاة وللبقر ثلاثين وللابل خمسا لكن لما كان نصابها لا يحتمل المواساة من جنسها أوجب فيها شاة فاذا تكررت الخمس خمس مرات وصارت خمسا وعشرين احتمل نصابها واحداً منها فكان هو الواجب . ثم إنه لما قدر سن هذا الواجب فى الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها من ابن مخاض وبنت مخاض وفوقه ابن لبون وبنت لبون وفوقه الحق والحقة وفوقه الجذع والجذعة وكلما كثرت الابل زاد السن إلى أن يصل السن إلى منتهاه فحينئذ جعل زيادة عدد الواجب فى مقابلة زيادة عدد المال فاقتضت حكمته أن جعل فى الأموال قدرا يحتمل المواساة ولا يجحف بها ويكفى المساكين ولا يحتاجون معه إلى شىء ، ففرض فى أموال الأغنياء ما يكفى الفقراء فوقى الظلم من الطائفتين الغنى يمنع ما وجب عليه والآخذ

يأخذ مالا يستحقه فتولد من بين الطائفتين ضرر عظيم على المساكين وفاقة شديدة أوجبت لهم أنواع الحيل والالحاف فى المسألة، والرب سبحانه تولى قسمة الصدقة بنفسه وجزأها ثمانية أجزاء يجمعها صنفان من الناس أحدهما من يأخذ بحاجته فيأخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقراء والمساكين وفى الرقاب وابن السبيل، والثانى من يأخذ لمنفعته وهم العاملون والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة فى سبيل الله فان لم يكن الآخذ محتاجا ولا فيه منفعة للسلمين فلا سهم له فى الزكاة. وكان من هديه ﷺ إذا علم من الرجل أنه من أهل الزكاة أعطاه وإن سأله أحد من أهل الزكاة ولم يعرف حاله أعطاه بعد أن يخبره أنه لاحظ فيها لغنى ولا لقوى يكتسب، وكان يأخذها من أهلها ويضعها فى حقها. وكان من هديه تفريق الزكاة على المستحقين الذين فى بلد المال وما فضل عنهم منها حملت اليه ففرقها هو ﷺ ولذلك كان يبعث سعاته إلى البوادى ولم يكن يبعثهم إلى القرى، بل أمر معاذاً أن يأخذ الصدقة من أهل اليمن ويعطيها فقراءهم ولم يأمره بحملها اليه. ولم يكن من هديه أن يبعث سعاته إلى أهل الأموال الظاهرة من المواشى والزروع والثمار، وكان يبعث الخارص يخرص على أرباب النخيل تمر نخيلهم وينظر كم يجىء منه وسقا فيحسب عليهم من الزكاة بقدره وكان يأمر الخارص أن يدع لهم الثلث أو الربع فلا يخرصه عليهم لما يعرو النخيل من النوائب وكان هذا الخرص لكى تحصى الزكاة قبل أن تؤكل الثمار وتصرم ويتصرف فيها اربابها بما شاؤا ويضمنوا قدر الزكاة ولذلك كان يبعث الخارص الى من ساقاه من أهل خيبر وزارعه فيخرص عليهم الثمار والزروع ويضمنهم شطرها وكان يبعث اليهم عبد الله بن رواحة فإذا أرادوا أن يرشوه قال عبد الله تطعمونى السحت والله لقد جئتكم من عند احب الناس إلى ولأنتم أبغض إلى من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملنى بغضى لكم وحبى اياه أن لا أعدل عليكم فقالوا بهذا قامت السماوات والأرض. ولم يكن من هديه أخذ الزكاة من الخيل والرقيق ولا البغال ولا الحمير ولا الخضروات ولا الأباطح والمقاتى والفواكه التى لا تكال ولا تدخر إلا العنب والرطب فانه كان يأخذ الزكاة منه جملة ولم يفرق بين ما يبس وما لم ييبس[1].

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد للامام الحافظ ابى عبد الله بن قيم الجوزية الجزء الاول ص ٢٠٩

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا (العثرى : ما يشرب بعروقه . وكذلك البعل) العشر ، وفيما سق بالنضح نصف العشر » رواه البخارى ، ولأبى داود « إذا كان بعلا العشر ، وفيما سقى بالسوانى أو النضح نصف العشر » .

وللدارقطنى، عن معاذ رضى الله عنه قال : فأما القثاء والبطيخ والرمان والقصب فقد عفا عنه رسول الله ﷺ . واسناده ضعيف .

وعن سهل بن أبى حثمة رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ « إذا خرصتم فخذوا ودعوا الثلث ، فإن لم تدعوا الثلث فدعوا الربع » رواه الخمسة الا ابن ماجه . وصححه ابن حبان والحاكم .

وعن عتاب بن اسيد رضى الله عنه قال : أمر رسول الله ﷺ « أن يخرص العنب كما يخرص النخل ، وتؤخذ زكاته زبيباً » رواه الخمسة ، وفيه انقطاع .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهما : ان امرأة اتت النبى ﷺ ، ومعها ابنة لها ، وفى يد ابنتها مسكتان (المسكة الاسورة والخلاخيل) من ذهب فقال لها « اتعطين زكاة هذا ؟ » قالت لا . قال أيسرك ان يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار ؟ » فالقتهما (خلعتهما) رواه الثلاثة واسناده قوى . وصححه الحاكم من حديث عائشة .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا « أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع » رواه أبو داود ، واسناده لين .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « وفى الركاز (فى النهاية : الركاز عند أهل الحجاز كنوز الجاهلية المدفونة فى الأرض . وعند أهل العراق المعادن . والقولان تحتملهما اللغة ، لأن كلا منهما مركوز. والحديث انما جاء فى التفسير الأول وهو الكنز لكثرة نفعه وسهولة أخذه) الخمس » متفق عليه .

وعن بلال بن الحارث رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ من المعادن القبلية الصدقة . رواه أبو داود .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر ، صاعا

من تمر أو صاعا من شعير : على العبد والحر ، والذكر ، والانثى ، والصغير ، والكبير ، من المسلمين ، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة . متفق عليه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر « طهرة للصائم من اللغو ، والرفث ، وطعمة للمساكين ، فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » رواه أبو داود وابن ماجه . وصححه الحاكم .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل امرىء فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس » رواه ابن حبان والحاكم .

وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله » متفق عليه ، واللفظ للبخارى .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله أى الصدقة أفضل ؟ قال : « جهد المقل ، وابدأ بمن تعول » أخرجه احمد وابو داود وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تصدقوا » فقال رجل : يا رسول الله ، عندى دينار ؟ قال : « تصدق به على نفسك » قال : عندى آخر ، قال « تصدق به على ولدك » قال : عندى آخر . قال : «تصدق به على زوجتك » قال عندى آخر ، قال « تصدق به على خادمك » قال : عندى آخر ، قال « انت ابصر به » رواه ابو داود والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم .

وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : جاءت زينب امرأة ابن مسعود ، فقالت : يا رسول الله ، انك أمرت اليوم بالصدقة ، وكان عندى حلى لى ، فأردت ان أتصدق به ، فزعم ابن مسعود انه وولده أحق من أتصدق به عليهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « صدق ابن مسعود ، زوجك وولدك احق من تصدقت به عليهم » رواه البخارى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال الرجل

يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم «(المزعة القطعة. قال الخطابى: يحتمل ان يكون المراد يأتى ساقطاً لا قدر له ولا جاه أو يعذب فى وجهه حتى يسقط لحمه عقوبة له فى موضع الجناية لكونه أذله بالسؤال) . متفق عليه

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من يسأل الناس اموالهم تكثرا ، فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر » رواه مسلم .

وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لأن يأخذ احدكم حبله ، فيأتى بحزمة من الحطب على ظهره ، فيبيعها ، فيكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو منعوه » رواه البخارى .

وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة : لعامل عليها ، أو رجل اشتراها بماله ، أو غارم ، أو غاز فى سبيل الله ، أو مسكين تصدق عليه منها ، فأهدى منها لغنى » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ، وصححه الحاكم ، وأعلّ بالارسال .

وقد لخص الاستاذ مسنيون أدب الاسلام الاجتماعى تلخيصاً يثير الاعجاب فى قوله:

يمتاز الاسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة بمساهمة كل افراد الشعب بالعشر فى موارد الجماعة (الزكاة) . ومبادىء الاسلام تبذل التبادل غير المقيد كما تناوىء بالعداء الاموال الصرفية (الربا) والقروض الحكومية والضرائب غير المباشرة على ضروريات الحياة ، فى حين أنه شديد التمسك بحقوق الولد والزوج والملكية ورءوس الاموال التجارية ، فهو بذلك يقف موقفاً وسطا بين البورجوازية والرأسمالية والشيوعية (البلشفية) .

والاسلام مطالب كذلك بخدمة أخرى يسديها للانسانية فهو الى الشرق الحقيقى أقرب من أوربا اليه . وله ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها . وليس من مجتمع آخر له مثلا ما للاسلام من ماض كله نجاح فى جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة فى الحقوق والواجبات .

ولقد برهنت الطوائف الاسلامية الكبرى فى أفريقيا ، والهند ، والهند الشرقية ، والجماعات الصغيرة منهم فى الصين واليابان ، على أن الاسلام يستطيع أن يوفق بين

العناصر التى لا سبيل الى التوفيق بينها .

واذا ما أريد إحلال التعاون محل الخلاف بين المجتمعات فى الشرق والغرب فان وساطة الاسلام ضرورية لا غنى عنها . فهو وحده الكفيل بحل المشكلة التى تواجه أوروبا فى علاقتها مع الشرق . فاذا اتحدا عظم الأمل فى أن تكون النتيجة سلاما . أما ان رفضت أوروبا معاونة الاسلام وألقت بنفسها فى أحضان خصومه فان العاقبة لا يمكن أن تكون إلا نكبة لهما معاً [١] » .

تحريم الحيل فى ابطال فرائض الشريعة

لا تجوز الحيلة لمن أراد إبطال الزكاة وإسقاط فرضها عنه بالكلية بأن يملك ماله عند الحول لابنه أو امرأته أو أجنبى ساعة من زمان ثم يسترده منه . ويفعل هكذا كل عام فيبطل فرض الزكاة عنه أبداً لان مقصود الشارع الحكيم من ايجاب الزكاة سد خلة المساكين وذوى الحاجات وحصول المصالح لمن أرادها بتخصيص هذه الاوصاف من حماية المسلمين والذب عن حوزة الاسلام فاذا أسقطها بالتحيل فقد خالف مقصود الشارع وحصل مقصود المتحيل . والواجب الذى لا يجوز غيره أن يحصل مقصود الله ورسوله . ويبطل مقاصد المتحيلين المخادعين .

ومن الحيل الباطلة المحرمة أن يكون للمزكى على رجل مال وقد أفلس غريمه وأيس من أخذه منه وأراد أن يحسبه من الزكاة . فالحيلة أن يعطيه من الزكاة بقدر ما عليه فيصير مالكا للوفاء فيطالبه حينئذ بالوفاء . فاذا أوفاه برىء وسقطت الزكاة عن الدافع . وهذه حيلة باطلة . سواء شرط عليه الوفاء أو منعه من التصرف فيما دفعه اليه أو ملكه اياه بنية أن يستوفيه من دينه . فكل هذا لا يسقط عنه الزكاة ولا يعد مخرجا لها لا شرعاً ولا عرفاً كما لو أسقط دينه وحسبه من الزكاة .

قال مهنى : سألت أبا عبد الله عن رجل له على رجل دين برهن ، وليس عنده قضاؤه ، ولهذا الرجل زكاة مال ، قال يفرقه على المساكين فيدفع اليه رهنه . ويقول له : الدين الذى لى عليك هو لك ويحسبه من زكاة ماله . قال لا يجزئه ذلك . فقلت له

---

(١) كتاب اتجاه الاسلام لناشره الاستاذ جيب المستشرق الانجليزى .

فيدفع اليه زكاته فان رده اليه قضاه مما أخذه من ماله . قال نعم . وقال فى موضع آخر وقيل له فان أعطاه رده اليه . قال اذا كان بحيلة فلا يعجبنى . قيل له فان استقرض الذى عليه الدين دراهم فقضاه إياها ، ثم ردها عليه وحسبها من الزكاة !! قال إذا أراد بهذا إحياء ماله فلا يجوز . ومطلق كلامه ينصرف الى هذا المقيد . فينحصر من مذهبه ان دفع الزكاة الى الغريم جائز سواء دفعها ابتداء واستوفى حقه . ثم دفع ما استوفاه اليه . إلا أنه متى قصد بالدفع إحياء ماله ، واستيفاء دينه لم يجز ، لان الزكاة حق لله وللمستحق . فلا يجوز صرفها الى الدافع ويفوز بنفعها العاجل . ومما يوضح ذلك أن الشارع منعه من أخذها من المستحق بعوضها فقال لا تشترها ولا تعد فى صدقتك .

وجعل الشارع شارى الصدقة بثمنها عائداً فيها فكيف اذا دفعها اليه بنية أخذها منه . قال جابر بن عبد الله اذا جاء المصدق فادفع اليه صدقتك ولا تشترها فانهم كانوا يقولون ابتعها فأقول انما هي لله . وقال ابن عمر لا تشتر طهور مالك . وللمنع من شرائه علتان :

احداهما : أنه يتخذ ذريعة وحيلة الى استرجاع شىء منها ، لان الفقير يستحى منه فلا يماسكه فى ثمنها وربما رخصها ليطمع أن يدفع اليه صدقة أخرى . وربما علم أو توهم أنه ان لم يبعه اياها استرجعها منه فيقول ظفرى بهذا الثمن خير من الحرمان .

العلة الثانية : قطع طمع نفسه عن العود فى شىء أخرجه لله بكل طريق . فان النفس متى طمعت فى عوده بوجه ، فآمالها بعد متعلقة به فلم تطب به نفسا لله وهى متعلقة به فقطع عليها طمعها فى العود ولو بالثمن ليتمحض الاخراج لله . وهذا شأن النفوس الشريفة ذات الأقدار والهمم أنها اذا أعطت عطاء لم تسمح بالعود فيه بوجه ، لا بشراء ولا بغيره ، وتعد ذلك دناءة . ولهذا مثل النبى ﷺ العائد فى هبته بالكلب يعود فى قيئه لخسته ودناءة نفسه وشحه بما قاءه أن يفوته . فمن محاسن الشريعة منع المتصدق من شراء صدقته .

أوجب الله تعالى الواجبات ، وحرم المحرمات لما تتضمن من مصالح عباده فى معاشهم ومعادهم ، فالشريعة لقلوبهم بمنزلة الغذاء الذى لا بد لهم منه . والدواء الذى لا يندفع الداء الا به . فاذا احتال العبد على تحليل ما حرم الله ، واسقاط ما فرض الله وتعطيل ما شرع الله ، كان ساعياً فى دين الله بالفساد .

وقد وضع فى العهد الغابر كتاب للحيل قال فيه النضر بن شميل : فى كتاب الحيل ثلاثمائة وعشرون أو ثلاثون مسئلة كلها كفر . وقال ابن عبد الله قاضى الكوفة وذكر له كتاب الحيل : من يخادع الله يخدعه . وقال فيه حفص بن غياث : ينبغى أن يكتب عليه كتاب الفجور .

قال بعض أهل الحيل انا نحتال للناس منذ كذا وكذا سنة فى تحليل ما حرم الله عليهم ، قال احمد بن زهير بن مروان : كانت امرأة ههنا بمرو ، أرادت أن تختلع من زوجها عليها فقيل لها لو ارتددت عن الاسلام لبنت منه . ففعلت. فذكرت ذلك لعبد الله بن المبارك وهو من أعلم أهل زمانه فقال من وضع هذا الكتاب فهو كافر ، ومن سمع به ورضى به فهو كافر ، ومن حمله من كورة الى كورة (من بلد الى بلد) فهو كافر ، ومن كان عنده فرضى به فهو كافر .

قال العلامة ابن القيم : ان الحيل المحرمة فى الدين تقتضى رفع التحريم مع قيام موجبه ومقتضيه واسقاط الوجوب مع قيام سببه وذلك حرام من وجوه :

أحدها — استلزامها فعل المحرم وترك الواجب.

الثانى — ما يتضمنه من المكر والخداع والتلبيس .

الثالث — الاغراء بها والدلالة عليها وتعليمها من لا يحسنها .

الرابع — اضافتها الى الشارع وأن أصول شرعه ودينه تقتضيها .

الخامس — ان صاحبها لا يتوب منها ولا يعدها ذنبا .

السادس — أنه يخادع الله كما يخادع المخلوق .

السابع — أنه يسلط أعداء الدين على القدح فيه وسوء الظن به وبمن شرعه .

الثامن — أنه يعمل فكره واجتهاده فى نقض ما أبرمه الرسول وابطال ما أوجبه وتحليل ما حرمه .

التاسع — انه اعانة ظاهرة على الاثم والعدوان ، وانما اختلفت الطريق فهذا يعين عليه بحيلة ظاهرها صحيح مشروع ويتوصل بها اليه . وذلك يعين عليه بطريقه المفضية اليه بنفسها فكيف كان هذا معيناً على الاثم والعدوان والمتحيل المخادع يعين على البر والتقوى .

العاشر — ان هذا ظلم فى حق الله ، وحق رسوله ، وحق دينه ، وحق نفسه وحق العبد المعين وحقوق عموم المؤمنين ، فانه يغرى به ويعلمه ويدل عليه . والمتوصل اليه بطريق المعصية لا يظلم الا نفسه ومن تعلق به ظلمه من المعينين ، فانه لا يزعم أن ذلك دين وشرع ولا يقتدى به الناس ، فأين فساد أحدهما من الآخر وضرره من ضرره (١) .

الزكاة هى شكر نعمة المال فان لله عز وجل على عبده نعمة فى نفسه وماله .

فالعبادات البدنية شكر نعمة البدن ، والمالية شكر نعمة المال . وما أخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق عليه الرزق ، وأحوج اليه ، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال ، واحواج غيره اليه بربع العشر أو العشر من ماله .

فرضت الزكاة فى مال الاغنياء لا للبر والعطف على الفقراء فحسب بل لحماية الاغنياء أيضاً من خطر الجوع وألم الفاقة ، وشر المسغبة التى اذا ما هاج ثائرها لا تبق ولا تذر . وقد أبان عن نفسية المضطر أعرابى خرج من مقصبة بغتة للمأمون حينما كان راكباً يتنزه فنفرت دابته فألقته على الارض صريعاً فأمر بقتل ذلك الرجل فقال امهل على يا أمير المؤمنين حتى أكلمك . قال قل وأوجز قال : ان المضطر يركب الصعب من الامور وهو عالم بركوبه ، ويتجاوز الادب وهو كاره لتجاوزه . ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ، ولأنت على رد ما لم تفعل أقدر منى على رد ما قد فعلت !!

هذه القصة تمثل الغنى والفقير وموقف بعضهما إزاء البعض ، فاذا أحسن الاغنياء وأدوا ما افترضه الله تعالى عليهم فى أموالهم من زكاة الى الفقراء رأوا من هؤلاء ألسنة مادحة . وقلوباً مخلصة . وأيديا قوية تذب عنهم السوء ويصبح الفقير شريك الغنى يتمنى له الخير لانه مشاطره فيه ، وأما اذا بخل الغنى بماله وحرم الفقير حقه دب الحقد الى قلبه وملأ الغيظ فؤاده وتمنى له السوء ، واذا ما حلت به نازلة كان فيه من الشامتين ، واذا ما نزل به مكروه واحتاج الى المعونة كان الفقير

---

(١) اعلام الموقعين للعلامة ابن القيم الجزء الثالث .

عنه من المبعدين . والله يقول وهو أصدق القائلين ﴿ إنْ أحسنتمْ أحسنتم لانفسكم وان أسأتمْ فلها[١] ﴾ .

وربما كان كنز المال ، والتفاخر بالاموال الطائلة ، والكيفية التى تبذل فيها من أشد العوامل فى انتشار مبادىء الاشتراكية . قال المسيو (فاغيه) : « لا يتوجع المرء الا من سعادة غيره . وهذا هو شقاء الفقير » فالاشتراكيون يعلمون أن المساواة فى الرزق لا تتحقق . ولكنهم يرجون أن تتم المساواة فى الفقر على يدهم .

ولم تظهر الناشئة المترفة أيضاً بمظهر لائق تكون به قدوة لطبقات الناس . فهى تعمل على زعزعة جميع التقاليد الاخلاقية التى هى قوام الامم ، وترى أن مبادىء الواجب ، والوطنية ، والآباء اوهام باطلة . وقيود تستحق الهزء . واذا درّ عليها المال من مضاربة أو مكيدة أو زواج موسع أو ميراث فلا تبذله الا فى أحط اللذات والشهوات[٢] .

فالزكاة هى من أكبر الوسائل لمحاربة الفقر الذى هو جرثومة كل بلاء فردى واجتماعى ينشأ عنه كثير من الجرائم التى اذا ما انتشرت قضت على سلامة الهيئة الاجتماعية ويسرها . والفقر كما قال أحد الحكماء رأس كل بلاء . وجالب الى صاحبه كل مقت . ومعدن النميمة . والرجل اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا . وأساء به الظن من كان يظن به حسنا . فان أذنب غيره كان هو للتهمة موضعا . وليس من خلة هى للغنى مدح الا وهى للفقير ذم فان كان شجاعا قيل أهوج (أحمق طائش) . وان كان جوادا سمى مبذرا . وان كان حليما سمى ضعيفا . وان كان وقورا سمى بليدا ؛ وان الكريم لو كلف أن يدخل يده فى فم الأفعى فيخرج منه سما فيبتلعه كان أهون عليه وأحب اليه من مسألة البخيل اللئيم .

ان البلاء الذى يجتاح الهيئة الاجتماعية بالعطب والانحلال له انواع عدة ، منها ناحيتان مهمتان يجب أن لا يغفلا : احداهما الفقر وقد تكلمنا على أثره فى النفوس ، الثانية الحرص والشره على المال وعدم انفاقه فى وجوهه . وقد قيل ان الغنى الذى

---

(١) الاسراء .　　(٢) روح الاشتراكية ــ للدكتور جستاف لوبون ص ٢١ .

لا مروءة له يهان وان كان كثير المال : كالكلب لا يحفل به وان طوق وخلخل بالذهب . قال تعالى ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا [1] ﴾.

لا تصلح الافراد والجماعات الا اذا استقامت على الطريق التى سنها الله تعالى فى كتابه العزيز وادوا فرائضه وفقا لما أرشدهم به رسوله الكريم . وأن يحرصوا على اداء الزكاة حرصهم على بقية الفروض . وأن تخرج الزكاة من أجود المال واحبه وأجله وأطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا فقال عز وجل : ﴿ انفقوا من طيبات ما كسبتم [2] ﴾.

ويجب على المتصدقين أن لا يفسدوا صدقاتهم بالمنّ والأذى قال تعالى : ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى [3] ﴾ . واختلفوا فى حقيقة المن والاذى فقيل المن أن يذكرها والاذى أن يظهرها . وقال سفيان من منّ فسدت صدقته . فقيل له كيف المن ، فقال أن يذكره ويتحدث به . وقيل المنّ أن يستخدمه بالعطاء . والاذى ان يعيره بالفقر . وقد قيل لا يتم المعروف الا بثلاثة أمور : تصغيره ، وتعجيله . وستره

لو أخرج الاغنياء زكاة أموالهم المفروضة عليهم وتولى تنظيمها جماعة من أهل الرأى والسداد لامكن أن يخففوا من ويلات بؤس الناس وشقائهم . ويكفوهم عوز الحاجة ومرارتها فيمكن مثلا : —

١ — إقامة منشئات للصناعات الزراعية . يشتغل فيها فقراء الجهة المقام فيها كمعامل الزبدة وتربية النحل . والدجاج والارانب .

٢ — انشاء جماعات تعاونية لاستئجار حقول لزراعتها وأن تكون الزكاة عوناً لهم على استجلاب الآلات والبذور ودفع بعض الايجار كتأمين .

٣ — إقامة مصانع فى المدن وتشغيل العاطلين فيها والمحتاجين .

٤ — إنشاء ملاجىء للعجزة .

٥ — إنشاء مستشفيات للمرضى .

---

(١) الاسراء . (٢) البقرة . (٣) البقرة .

٦ ــ انشاء مستوصفات لعلاج الفقراء مجانا

٧ ــ انشاء جماعات تعاونية متعددة الانواع حسب ما تتطلبه حاجة الافراد والجهات .

قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا . وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هو يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبادِهِ ويَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ ورسوله والمؤمنونَ وَسَتُرَدُّونَ إلى عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهادةِ فَيُنَبِّئُكم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلونَ ﴾ (١٠٥) . سورة التوبة

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : ان النبى ﷺ بعث معاذا الى اليمن ـ فذكر الحديث ـ وفيه « إن الله قد افترض عليهم صدقة فى اموالهم تؤخذ من اغنيائهم، فترد فى فقرائهم » متفق عليه ، واللفظ للبخارى .

وعن انس أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كتب له : هذه فريضة الصدقة التى فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين ، والتى امر الله بها رسوله « فى كل أربع وعشرين من الابل فما دونها الغنم (اى تؤخذ الغنم فى زكاتها ، فى كل خمس شاة) فى كل خمس شاة ، فإذا بلغت خمسا وعشرين الى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض انثى (ما استكملت السنة الاولى ودخلت فى الثانيه) فإن لم تكن فابن لبون ذكر ، فإذا بلغت ستا وثلاثين الى خمس واربعين ففيها بنت لبون (ما استكملت الثانية ودخلت فى الثالثة) انثى فإذا بلغت ستا واربعين الى ستين ففيها حقة (ما استكملت الثالثة ودخلت فى الرابعة) طروقة الجمل ، فإذا بلغت واحدة وستين الى خمس وسبعين ففيها جذعة (التى اتى عليها اربع سنين ودخلت فى الخامسة) فإذا بلغت ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا لبون ، فإذا بلغت احدى وتسعين الى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل ، فإذا زادت على عشرين ومائة ففى كل اربعين بنت لبون ، وفى كل خمسين حقة ، ومن لم يكن معه الا اربع من الابل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها . وفى صدقة الغنم فى سائمتها إذا كانت اربعين الى عشرين ومائة شاة شاة ، فإذا زادت على عشرين ومائة الى مائتين ففيها شاتان ، فإذا زادت على مائتين الى ثلاثمائة ففيها ثلاث شياه ،

فإذا زادت على ثلاثمائة ففى كل مائة شاة. فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من اربعين شاة شاة واحدة فليس فيها صدقة، الا أن يشاء ربها، ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية ولا يخرج فى الصدقة هرمة (هى الكبيرة التى سقطت اسنانها) ولا ذات عوار (بفتح العين معيبة العين. وبضمها عوراء العين) ولا تيس إلا أن يشاء المصدق. وفى الرقة (الرقة: الفضة الخالصة) فى مائتى درهم ربع العشر (الدرهم قرشان مصريان وربع) فإن لم تكن الا تسعين ومائة فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها، ومن بلغت عنده من الابل صدقة الجذعة وليست عنده جذعة وعنده حقة، فإنها تقبل منه، ويجعل معها شاتين إن استيسرتا له أو عشرين درهما، ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده الحقة، وعنده الجذعة، فإنها تقبل منه الجذعة، ويعطيه المصدق عشرين درهما أو شاتين، رواه البخارى

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليس على المسلم فى عبده ولا فرسه صدقة» رواه البخارى، ولمسلم «ليس فى العبد صدقة إلا صدقة الفطر»

وعن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا كانت لك مائتا درهم - وحال عليها الحول - ففيها خمسة دراهم، وليس عليك شىء حتى يكون لك عشرون دينارا، وحال عليها الحول، ففيها نصف دينار، فما زاد فبحساب ذلك، وليس فى مال زكاة حتى يحول عليه الحول» رواه ابو داود، وهو حسن، وقد اختلف فى رفعه.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهو عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من ولى يتيما له مال فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة» رواه الترمذى والدارقطنى، واسناده ضعيف وله شاهد مرسل عند الشافعى.

وعن على أن العباس سأل النبى ﷺ فى تعجيل صدقته قبل أن تحل، فرخص له فى ذلك. رواه الترمذى والحاكم.

وعن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة» رواه مسلم.

وله من حديث ابى سعيد رضى الله عنه « ليس فيما دون خمسة اوسق من تمر ولا حب صدقة » وأصل حديث أبى سعيد متفق عليه .

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر» رواه البخارى، ولابى داود « إذا كان بعلا العشر ، وفيما سقى بالسوانى أو النضح نصف العشر » .

ملخص عن الزكاة

تجب الزكاة فى الأحوال التى ستأتى اذا كان المالك مكلفاً .

زكاة الحيوان : انما تجب منه فى النعم وهى الابل والبقر والغنم .

اذا بلغت الابل خمسا ففيها شاة ثم فى كل خمس شاة فاذا بلغت خمساً وعشرين ففيها ابنة مخاض (وهى ما بلغت الحول) أو ابن لبون وفى ست وثلاثين ابنة لبون (وهى ما بلغت حولين) وفى ست وأربعين (حقة) (وهى ما بلغت ثلاثة أعوام) وفى احدى وستين جذعة (وهى ما بلغت أربعة أعوام) وفى ست وسبعين بنتا لبون وفى احدى وتسعين حقتان الى مائة وعشرين فاذا زادت ففى كل اربعين ابنة لبون وفى كل خمسين حقة .

ويجب فى ثلاثين من البقر تبيع او تبيعة (وهى ذات الحول) وفى كل اربعين مسنة (وهى ذات الحولين) . ثم كذلك . يدل على ذلك ما اخرجه احمد واهل السنن وابن حبان والحاكم وصححاه من حديث معاذ بن جبل قال بعثنى رسول الله ﷺ الى اليمن وامرنى أن آخذ من كل ثلاثين من البقر تبيعا او تبيعة ومن كل اربعين مسنة فاذا زادت على الاربعين فلا شىء فى الزائد حتى تبلغ سبعين وفيها تبيع ومسنة الى ثمانين وفيها مسنتان ثم كذلك . قال ابن عبد البر فى الاستذكار لا خلاف بين العلماء ان السنة فى زكاة البقر على ما فى حديث معاذ وانه النصاب المجمع عليه .

ويجب فى اربعين من الغنم شاة الى مائة واحدى وعشرين وفيها شاتان الى مائتين وواحدة وفيها ثلاث شياه الى ثلثمائة وواحدة وفيها اربع ثم فى كل مائة شاة . وهذا التفصيل هو الثابت فى حديث انس وفى حديث ابن عمر وقد وقع الاجماع على ذلك .

ولا يجمع بين مفترق من الانعام ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة ولا شىء فيما

دون الفريضة ولا فى الأوقاص (١) وما كان من خليطين فيتراجعان بالسوية ولا تؤخذ هرمة ولا ذات عور ولا عيب ولا صغيرة ولا أكولة ولا رُبى (٢) ولا ماخض (٣)

زكاة الذهب والفضة

هى اذا حال على أحدهما الحول ربع العشر ، ونصاب الذهب عشرون دينارا ، ونصاب الفضة مائة درهم ولا شىء فيما دون ذلك ، ولا زكاة فى غيرهما من الجواهر وأموال التجارة والمستغلات .

ثبت عن رسول الله ﷺ فى الصحيح من حديث ابى هريرة : ليس على المسلم صدقة فى عبده ولا فرسه . وظاهر ذلك عدم وجود الزكاة فى جميع الاحوال . وقد نقل ابن المنذر الاجماع على زكاة التجارة وهـذا النقل ليس بصحيح وأول من يخالف فى ذلك الظاهرية وهم فرقة من فرق الاسلام ، واما عدم وجودها فى المستغلات كالدور التى يكريها مالكها وكذلك الدواب ونحوها فلعدم الدليل كما قدمنا .

زكاة النبات

يجب العشر فى الحنطة والشعير والذرة والتمر والزبيب وماكان يسق بالمثنى منها ففيه نصف العشر ونصابها خمسة أوسق ولا شىء فيما عدا ذلك كالخضروات وغيرها . ويجب فى العسل العشر . ويجوز تعجيل الزكاة وعلى الامام ان يرد صدقات اغنياء كل محل فى فقرائهم ، ويبرأ رب المال بدفعها الى السلطان وإن كان جائرا .

مصارف الزكاة

وهى ثمانية كما فى قوله تعالى ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ﴾ .

---

(١) الأوقاص (جمع وقص) : ما بين الفريضتين من نصب الزكاة مما لا زكاة فيه ، وهو فى البقر خاصة . والأشناق فى الابل

(٢) ربى : الشاة أو المعزى اذا ولدت

(٣) التى دنا ولادها وأخذها الطلق

وتحرم على بنى هاشم ومواليهم وعلى الأغنياء والأقوياء المكتسبين .

صـــدقة الفطر

هو صاع من القوت المعتاد عن كل فرد والوجوب على سيد العبد ومنفق الصغير ونحوه ، ويكون اخراجها قبل صلاة العيد . ومن لا يجد زيادة على قوت يومه وليلته فلا فطرة عليه ومصرفها مصرف الزكاة .

أما ما يجب فيما يغنم فى القتال وفى الركاز فهو الخمس ولا يجب فيما عدا ذلك ، ومصرفه قوله تعالى ﴿واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير﴾ .

الصـــوم

وأثره من نواحيه الطبية والفقهية والاجتماعية

كفل الاسلام حياة الانسان بأحسن الأنظمة الاجتماعية ليتحلى بمكارم الاخلاق، وبما وضعه من الخطط الحكيمة التى توصله الى سعادته فى معاشه ومعاده ، كما كفل حياة الجماعة بخير النظم وأقوم المبادىء . ومن ذلك الصوم وهو من فرائض الاسلام التى بنى عليها ، وقد كتب على القادرين من الاغنياء والفقراء والعلماء والجهلاء ، يتساوى فيه الجميع بالحرمان من الطعام والكف عن الشهوات من الفجر الى غروب الشمس شهرا كاملا وهو شهر رمضان من كل سنة هجرية .

شهر رمضان يتساوى فيه المعسر والموسر ، من التزام أمر الله تعالى باجتناب المأكل والمشرب فيشعر الغنى بمرارة الجوع فيعطف على أخيه الفقير فتزداد أواصر الاجتماع بالعطف ، وتقوى بالتوادد والبر .

الصوم عدة لأدب النفس على أن تسمو على شهواتها فتخضعها ، ووسيلة لتذيقها ألم الحرمان فيدعوها ذلك الى الرأفة والبذل للمحرومين والمعوزين ، فتسعد الهيئة الاجتماعية بتهذيب الاغنياء وسد حاجة الفقراء ، فما أجلّ الصوم ان عمل بأحكامه ، وقد فرض من حكيم خبير .

قال أحد فلاسفة الانكليز : لو قام بيننا مستبد طاغية يسلبنا أموالنا ، ويأمرنا بتعاطى مادة تحط من قدرنا ، وتنتزع صفات الانسانية من نفوسنا حتى نصير أشبه بالبهائم ، ثم تقضى على راحة بيوتنا ، وتبذر فينا بذور المرض والموت العاجل ، لأصبحنا وكلنا جماعات ساخطة تعقد ، ومظاهرات ضخمة تنظم ، وخطباء مفوهون للحرية ينتصرون ، وللخلاص مما ألم بهم من الظلم يطالبون ، مع أن هذا الحاكم المستبد مقيم بيننا ، لا تقوى عليه الجنود ولا تسقط جبروته الاصوات ، ونحن بالاذعان لسلطانه والنزول على حكمه راضون ، ذلك هو سلطان الشهوات .

ألا لا سبيل إلى انزال هذا الطاغية عن عرش جبروته إلا بالوسائل الأدبية ، أى بتهذيب النفس ورياضتها، ومراعاة حرمتها وضبطها. وكل وسيلة غير هذه للخلاص

من استبداد الشهوات عديمة الجدوى . وليس تهذيب القوانين ، ولا تحسين طرق الانتخاب ، ولا اصلاح الحكومات ، ولا التعليم المدرسى برافعة من أخلاق قوم ينهمكون فى الملاهى بمحض رغبتهم . والانهاك فى الملاهى غير الشريفة يدعو لا محالة الى نقص السعادة الحقة . لانه يقضى على الآداب ويضعف الهمم . ويذهب برجولة الافراد وصحتهم وسلامة الامم وعظمتها (١) . أليس الصوم من كبرى الوسائل لضبط النفس وكبح شهواتها ولو الى حين ؟ !

أمر الله المسلمين البالغين القادرين كافة ذكورا واناثا شيوخاً وشباناً بصيام شهر رمضان ، ويعد هذا الشهر شهر الرياضة الحقة للنفس ، والعبادة الصادقة ، لأنه ليس على الصائم رقيب غير نفسه وربه . قال تعالى ﴿ يأيها الذينَ آمنوا كُتب عليكم الصيامُ كما كُتب على الذينَ من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدوداتٍ فمَن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيام أخر ، وعلى الذين يُطيقونه فدْية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خيرٌ له ، وأن تصوموا خيرٌ لكم ان كنتم تعلمون ، شهرُ رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناسِ وبَيِّنات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمهُ . ومن كان مريضا أو على سفر فعدةٌ من أيام أخر ، يريد الله بكم اليُسرَ ولا يريدُ بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون (٢) ﴾ .

ذكر الاستاذ الأمام الشيخ محمد عبده أن الصيام يعد نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى ، ويظهر ذلك من وجوه كثيرة : أعظمها شأنا وأنصعها برهانا وأظهرها أثرا وأعلاها خطرا ، أنه أمر موكول إلى نفس الصائم ، لا رقيب عليه فيه الا الله تعالى ، وسر بين العبد وربه ، لا يشرف عليه أحد غيره سبحانه . فاذا ترك الإنسان شهواته ولذاته التى تعرض له فى عامة الأوقات لمجرد الامتثال لامر ربه والخضوع لارشاد دينه مدة شهر كامل فى السنة ملاحظاً عند عروض كل رغيبة له من أكل نفيس وشراب عذب بارد وفاكهة يانعة وغير ذلك أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها ، وهو فى أشد التوق لها ، لاجرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة

---

(١) كتاب الأخلاق لصمول سميلز تعريب الاستاذ محمد صادق حسين. (٢) سورة البقرة .

المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهاه. وفى هذه المراقبة من كمال الايمان بالله تعالى والاستغراق فى تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لسعادة الآخرة. وكما تؤهل هذه المراقبة النفوس المتحلية بها لسعادة الآخرة تؤهلها لسعادة الدنيا أيضا، انظر هل يقدم من تلابس هذه المراقبة قلبه على غش الناس ومخادعتهم؟ هل يسهل عليه أن يراه الله آكلا لاموالهم بالباطل؟ هل يحتال على الله تعالى فى منع الزكاة وهدم هذا الركن الركين من أركان دينه؟ هل يحتال على أكل الربا؟ هل يقترف المنكرات جهارا، هل يجترح السيئات ويسدل بينه وبين الله ستارا؟ كلا ان صاحب هذه المراقبة لا يسترسل فى المعاصى اذ لا يطول أمد غفلته عن الله تعالى. واذا نسى وألم بشىء منها يكون سريع التذكر، قريب الفىء والرجوع بالتوبة الصحيحة ﴿٧ : ٢٠١ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون (١) ﴾.

فالصيام أعظم مرب للارادة وكابح لجماح الاهواء، فأجدر بالصائم أن يكون حرا يعمل ما يعتقد أنه خير لا عبدا للشهوات.

ومن وجوه اعداد الصوم للتقوى أن الصائم عند ما يجوع يتذكر من لا يجد قوتاً فيحمله التذكر على الرأفة والرحمة الداعيتين الى البذل والصدقة. وقد وصف الله تعالى نبيه بأنه رؤوف رحيم ويرتضى لعباده ما ارتضاه لنبيه ﷺ، ولذلك أمرهم بالتأسى به بل وصف المؤمنين بقوله ﴿ رحماء بينهم (٢) ﴾ (٣).

والصوم كما قال أمير الشعراء شوقى: هو «حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع. ولكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة. يستثير الشفقة ويحض على الصدقة، ويكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وحرم المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، والجوع كيف ألمه اذا لذع».

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف. قال الله تعالى إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة

---

(١) سورة الاعراف. (٢) سورة الفتح. (٣) تفسير المنار. الجزء الثانى

عند لقاء ربه ، ولخلوف (تغيير ريح) فم الصائم (من ترك الاكل والشرب) أطيب عند الله من ريح المسك . وفى رواية : الصيام جنة (وقاية) فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب (الضجة والجلبة) فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل : انى صائم ، انى صائم (أخرجه الستة) .

وذكر الامام الغزالى أن الصوم ثلاث درجات : (١) صوم العموم (٢) وصوم الخصوص (٣) وصوم خصوص الخصوص .

١ — أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

٢ — وصوم الخصوص فهو الكف المذكور ، مع كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

٣ — وصوم خصوص الخصوص فهو ما ذكر ، مع صوم القلب عن الهمم الدنيئة والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية . ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر ، وبالفكر فى الدنيا ، الا دنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة ، وليس من الدنيا ، وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين

الصوم والعافية

فرض الله سبحانه وتعالى صوم شهر فى السنة ، وفى ذلك من الفوائد الكثيرة ما لا يخفى على بصير خبير . نذكر بعضا منها :

ان الاسترسال فى شهوة البطن مما يفضى فى كثير من الاحيان الى مرض الجسم بشتى الامراض . والصوم هو من أكبر الوسائل فى تخفيف حدة النهم ، وذلك مما يدعو الى راحة المعدة وصحة الجسم .

يقول الدكتور هيج ان أسباب الامراض هى الحوامض السامة التى تنضاف الى الدم من سوء التغذية . أكبرها خطرا حمض البوليك (اسيد اوريك) وحمض الاوكساليك والنطرون . وصرح بأن لا سبب للنوراستنيا وهو مرض ضعف الاعصاب الذى ينتشر اليوم انتشارا مريعا بين جميع الطبقات إلا حمض البوليك . وكذلك هو من الأسباب للاصابة بالنقطة والروماتيزم وألم الرأس والصداع والجنون وضعف

القلب ووقوفه والربو والتهاب الشعب وسوء الهضم والبول السكرى وأمراض القلب

ليس هيج أول من عرف ضرر حمض البوليك ، ولكنه أول من حدد دائرة نفوذه الضار من الوجهة المرضية .

قال هيج وهذا القول أساس مذهبه : إن السميات التى تتخلف من المواد الغذائية تثبت فى تفرعات الاوعية الدموية وتسد الاوعية الشعرية ، فتقل قوة سريان الدم ويشتد ضغطه على القلب ، ويكون سببا لضعف عام للبنية ولاختلال جميع الاعضاء . ومتى اشتد الضغط على القلب يحدث له مرض ثم تنتشر سموم الأغذية بتوالى تواردها على سائر الأعضاء فتمرضها أيضا . فيشكو صاحبها العوارض المختلفة . ويعرض نفسه على الأطباء فيشخصه كل منهم على ما تسمح به نظرياته ، فتارة ينصحونه بتعاطى المقويات ، وأخرى بأخذ المنوعات ، ومرة يأمرونه بالسياحة ، وأخرى بالراحة ، وحينا يمزقون جلده بابر الحقن . وهم فى ذلك كله بعيدون عن حقيقة الداء . فلو علموا أنه ناشىء عن سموم الاغذية وعنوا بمعرفة مقادير السموم منها وأشاروا بحمية صحية لشفى المصاب [١] .

حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندى وروى وعراق وسوادى وقال : ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لا داء فيه .

فقال الهندى : الدواء الذى لا داء فيه عندى هو الاهليلج الأسود .

وقال العراق : هو حب الرشاد الابيض .

وقال الرومى : هو عندى الماء الحار .

وقال السوادى وكان أعلمهم : الاهليلج الاسود يعفص المعدة وهذا داء ، وحب الرشاد يزلق المعدة وهو داء ، والماء الحار يرخى المعدة وهذا داء . قالوا فما عندك ، فقال الدواء الذى لا داء معه عندى أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه . فقالوا صدقت .

وقد قيل البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء . وعودوا كل جسم ما اعتاد .

---

(١) دستور التغذية للاستاذ محمد فريد وجدى .

وفى الأثر : صوموا تصحوا . فنى الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الاجسام من الاسقام ، وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما .

الصوم والخلق

الصوم أداة لتهذيب الخلق ورفع مستوى النفس الى مكارم الأخلاق والبعد عن القبائح والمعاصى وسفاسف الأمور .

وقد ذكر الامام الغزالى أن صوم الصالحين يتم بستة أمور [1] :

الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله ، ويجب أن يبتعد الصائم عن الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة ، والنظر بشهوة .

الثانى : حفظ اللسان عن الهذيان والفحش والجفاء والخصومة والمراء ، والزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه تعالى وتلاوة القرآن والاشتغال بما هو نافع ، فهذا صوم اللسان . وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم . وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام : الغيبة والكذب .

الثالث : كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لأن ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ، ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾ وقد ورد فى الأثر : المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم .

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل . ومن المكاره . وكف البطن عن الشهوات وقت الافطار . فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا . وقد ورد فى الاثر كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش . فقيل هو الذى يفطر على الحرام وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام . وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام .

---

(١) احياء علوم الدين للامام الغزالى . الجزء الاول والثانى

الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلىء جوفه ، فما من وعاء أبغض الى الله عز وجل من بطن ملىء من حلال . وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره ؟ ومن الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ، ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم فى كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده .

السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء ، إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من الممقوتين . وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال : ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته . فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا . فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون . أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته . أى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب ، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك

قيل للاحنف بن قيس : انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك . فقال : انى أعده لسفر طويل . والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه .

كان الحسن رحمة الله عليه اذا تلا قوله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ﴾ . قال : عرضها على السماوات السبع الطباق والطرائق التى زينها بالنجوم فقال لها سبحانه وتعالى : هل تحملين الامانة بما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت . وإن أسأت عوقبت . فقالت لا . ثم عرضها على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها : هل تحملين الأمانة بما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة ، فقالت لا ، ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه . فقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فماذا صنعوا فيها !؟ وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم . واسمنوا براذينهم ، وأهزلوا دينهم . وأتعبوا أنفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان

يتعرضون للبلاء وهم من الله فى عافية . يقول أحدهم : تبيعنى أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا . يتكىء على شماله ويأكل من غير ماله . حديثه سخرة وماله حرام . حتى اذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتنى بشىء أهضم به طعامى . يا لكع اطعامك تهضم ؟ انما دينك تهضم . أين الفقير ؟ أين الارملة ؟ أين المسكين !؟ أين اليتيم ؟ الذين أمرك الله تعالى بالبر اليهم والعطف عليهم .

الصيام زكاة للنفس ، ورياضة للجسم ، وداع للبر ، فهو للانسان وقاية ، وللجماعة صيانة ، وللرحمة بالانسانية دعاية .

فى جوع الجسم صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة . لان الشبع يورث البلادة ، ويعمى القلب ، ويكثر البخار فى الدماغ فيتبلد الذهن . والصبى اذا ما كثر أكله بطل حفظه ، وفسد ذهنه ، وصار بطىء الفهم والادراك ، وقد قيل : أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق .

وقال أيضا : من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه .

يفيد الصوم وقلة الأكل الجسم صحة ، ويدفع الامراض التى تسبب من كثرة وزيادة الشبع كما قدمنا . ثم ان المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش .

اذا ما أحس الانسان بألم الجوع تذكر بلاء الله وعذابه ، فتذكر أهل البلاء فيعطف عليهم ويبرهم ويسد باب الثورات الاجتماعية التى كثيرا ما تحدث من حرمان الطبقات الفقيرة من حاجياتهم الضرورية .

قال الدكتور غوستاف لوبون : زادت حاجات البشر فى العصر الحاضر على الوسائل اللازمة لقضائها زيادة عظيمة ، فقد أثبت رجال الاحصاء أن الترف لم يبلغ فى زمان ما بلغه الآن ، وان الحاجات لم تكن ذات صولة كما هى اليوم . . . وأخذ أكثر الناس يندبون سوء حظهم ويسعون فى تحطيم الحواجز التى تحجب المال عنهم ، وبذلك ازدادت عندهم الاثرة الذاتية التى لا وازع لها ، وصاروا لا يبالون بالمصالح العامة والمبادىء ، وأصبح المال الغاية الوحيدة التى يجرون وراءها ، تلك الغاية أنستهم جميع الغايات .

نتج عن التهافت على تحصيل المال انحطاط عام فى الاخلاق وكل ما يتفرع عن هذا الانحطاط من العواقب .

وتنج عن العبث بالمال وعن فساد الاخلاق المتكاثر عند الطبقات الوسطى حجة بينة يحتج بها اشتراكيو هذا العصر فى مطاعنهم لعدم المساواة فى توزيع الارزاق . وها قد سهل عليهم الادعاء بأن الاموال الوافرة فى هذه الايام أخذت فى الغالب خلسة من ألوف من البائسين . . .

ولذلك نادى الاشتراكيون بتغيير النظم الحالية وقلبها رأسا على عقب واستبدالها بنظم أخرى يكون الحكم فيها للعمال وللطبقات الفقيرة [١] .

ولو أن الاسلام انتشر فى أوربا والعالم وأخذت الامم بتعاليمه لما وجدت تعاليم الاشتراكية أرضا صالحة ولا أنصارا ، ولقام المجتمع الانسانى على تضامن الفقير والغنى يعملون لغاية واحدة وهى الخير العام ، لان من صفات المسلم وواجباته العطف على الفقير ، وان العبادات الاسلامية ترمى الى توحيد الله والبر بالمجتمع والانسانية فما ذكرت الصلاة إلا وذكرت الزكاة ، وما ذكر الايمان الا وذكر معه صالح الاعمال ، وما ذكر الصوم إلا وذكرت الصدقة . انظر الى صفة المسلم التقى الناجى فى قوله تعالى :

﴿ إنَّ المسلمينَ والمسلمات وَالمؤمنينَ وَالمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ ، والصادقينَ والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعينَ والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدَّ اللهُ لهم مغفرة وأجراً عظيما [٢] ﴾ .

---

(١) روح الاشتراكية للدكتور جوستاف لوبون . ص ٢٠ — ٢١

(٢) سورة الاحزاب .

بعض الاحاديث

التى وردت عن النبى ﷺ فى الصيام

فرض الصوم

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شىء ، فكان يعجبنا ان يجىء الرجل العاقل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ، اتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك . قال صدق . قال فمن خلق السماء . قال الله . قال فمن خلق الارض . قال الله . قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ماجعل . قال الله . قال : فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله ارسلك ؟ قال نعم . قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا . قال صدق . قال فبالذى ارسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم . قال وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا . قال صدق . قال فبالذى ارسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم . قال وزعم رسولك أن علينا صوم رمضان فى سنتنا . قال صدق . قال فبالذى ارسلك آلله أمرك بهذا . قال نعم . قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا . قال صدق . قال ثم ولى وقال : والذى بعثك بالحق لا ازيد عليهن ولا أنقص منهن . فقال النبى ﷺ : لئن صدق ليدخلن الجنة . وزاد فى رواية فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : اتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم . وتغل فيه مردة الشياطين . لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم . رواه النسائى والبيهقى .

وعن النضر بن شيبان رضى الله عنه قال : قلت لابى سلمة بن عبد الرحمن حدثنى بشىء سمعته من أبيك سمعه أبوك من رسول الله ﷺ ليس بين أبيك وبين رسول الله

ﷺ أحد فى شهر رمضان . قال نعم حدثنى أبى قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضان عليكم وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . رواه النسائى وأحمد .

أدب الصوم

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ يقول : قال الله تعالى كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لى وأنا أجزى به . والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب . فان سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم . والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، واذا لقى ربه فرح بصومه . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

وفى رواية : كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى

وعنه عن النبى ﷺ قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين . رواه الخمسة إلا أبا داود . ولفظ الترمذى إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادى مناد : يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر . ولله عتقاء من النار . وذلك كل ليلة . وعنه عن النبى ﷺ قال من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه . رواه الخمسة البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وأحمد وزاد : وما تأخر .

وعن سهل رضى عنه عن النبى ﷺ قال : إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال ابن الصائمون فيدخلون منه فاذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد . رواه الشيخان البخارى ومسلم والنسائى .

عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال عمر من يحفظ حديث النبى ﷺ فى الفتنة ؟ قال حذيفة : أنا سمعته يقول فتنة الرجل فى أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة . قال ليس أسأل عن ذه انما أسأل عن التى تموج كما يموج البحر . قال إن دون

ذلك بابا مغلقا. قال فيفتح أو يكسر قال يكسر. قال ذاك أجدر ألا يغلق الى يوم القيامة فقلنا لمسروق سله أكان عمر يعلم من الباب فسأله فقال نعم كما يعلم أن دون غد الليلة. رواه البخارى ومسلم والترمذى.

عن جابر رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى ﷺ فقال: أرأيت اذا صليت الصلوات المكتوبات وصمت رمضان واحللت الحلال وحرمت الحرام ولم ازد على ذلك شيئا أأدخل الجنة. قال نعم. قال والله لا أزيد على ذلك شيئا رواه مسلم. وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: كنت مع النبى ﷺ فى سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار قال: لقد سألتنى عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل شعار الصالحين. قال ثم تلا ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ حتى بلغ يعملون ثم قال: الا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه. قلت بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: الا أخبرك بملاك ذلك كله. قلت بلى يا نبى الله. فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا. فقلت يانبى الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به. فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد السنتهم. رواه الترمذى فى الايمان وصححه.

وعن أبى أمامة رضى الله عنه. قلت يا رسول الله مرنى بأمر ينفعنى الله به. قال عليك بالصيام فانه لا مثل له. رواه النسائى والحاكم وصححه.

أوقات الصوم

وعن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال اذا أقبل الليل وأدبر النهار وغابت الشمس فقد أفطر الصائم. روى هذه الثلاثة الاصول الخمسة (البخارى ومسلم وأبو دواد والترمذى والنسائى) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان للنبى ﷺ مؤذنان بلال وابن أم مكتوم الأعمى فقال رسول الله ﷺ ان بلالا لا يؤذن بليل فكلوا

واشربوا حتى يؤذن ابن مكتوم . قال ولم يكن بينهما الا أن ينزل هذا ويرقى هذا . رواه الشيخان (البخارى ومسلم) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له . رواه الخمسة (البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى) . ولفظ الترمذى لا تصوموا قبل رمضان صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان حالت دونه غيابة فأكملوا ثلاثين يوما . وللبخارى : فان غم عليكم فأكملوا عـــدة شعبان ثلاثين . وفى رواية فان غم عليكم فصوموا ثلاثين يوما . وعنه عن النبى ﷺ قال إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تسحروا فان فى السحور بركة » متفق عليه .

وعن سليمان بن عامر الضبى عن النبى ﷺ قال « اذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر ، فان لم يجد فليفطر على ماء ، فانه طهور » رواه الخمسة ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه : نهى رسول الله ﷺ عن الوصال ، فقال رجل من المسلمين : فانك تواصل يا رسول الله ؟ فقال « وأيكم مثلى ؟ إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى » فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ، ثم يوما ، ثم رأوا الهلال فقال « لو تأخر الهلال لزدتكم » كالمنكل لهم حين ابوا أن ينتهوا . متفق عليه .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل ، فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه » رواه البخارى وابو داود ، واللفظ له .

أحكام فى الصيام

حكم من أكل أو شرب ناسيا

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من نسى وهو صائم ، فأكل أو شرب ، فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه » متفق عليه .

وللحاكم « من أفطر فى رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة » وهو صحيح .

حكم من ذرعه القىء

وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله ﷺ « من ذرعه القىء فلا قضاء عليه ، ومن استقاء فعليه القضاء » رواه الخمسة ، وأعله احمد ، وقواه الدارقطنى .

الصيام فى السفر

وعن حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله ، انى أجد فىّ قوة الصيام فى السفر فهل على جناح ؟ فقال رسول الله ﷺ « هى رخصة من الله ، فمن اخذ بها فحسن ومن احب أن يصوم فلا جناح عليه » رواه مسلم . وأصله فى المتفق عليه من حديث عائشة أن حمزة بن عمرو سأل .

حكم الشيخوخة فى الصيام

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « رخص للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا ، ولا قضاء عليه » رواه الدارقطنى والحاكم وصححاه .

أحكام عامة فى الصيام

الوطء — الجنابة

وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجل الى النبى ﷺ فقال : هلكت يا رسول الله . قال « وما أهلكك ؟ » قال وقعت على امرأتى فى رمضان . فقال « هل تجد ما تعتق رقبة ؟ » قال لا . قال « فهل تستطيع ان تصوم شهرين

متتابعين؟ » قال لا ، قال فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟ » قال لا ، ثم جلس « فأتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر . فقال « تصدق بهذا » فقال أعلى أفقر منا ؟ فما بين لابتيها أهل بيت أحوج اليه منا ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه . ثم قال « اذهب فأطعمه أهلك » رواه السبعة واللفظ لمسلم .

وعن عائشة وام سلمة رضى الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ كان يصبح جنبا من جماع . ثم يغتسل ويصوم . متفق عليه . وزاد مسلم فى حديث ام سلمة ولا يقضى .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبي ﷺ قال « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » متفق عليه

وعن ابى قتاده الانصارى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عرفة . فقال « يكفر السنة الماضية والباقية » وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال « يكفر السنة الماضية » وسئل عن صوم يوم الاثنين فقال « ذلك يوم ولدت فيه وبعثت فيه وانزل علىّ فيه » رواه مسلم .

صوم النافلة

وعن ابى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر » رواه مسلم .

وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « ما من عبد يصوم يوما فى سبيل الله الا باعد الله بذلك اليوم عن وجهه النار سبعين خريفا » متفق عليه واللفظ لمسلم .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط الا رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان . متفق عليه . واللفظ لمسلم .

وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ « أن نصوم من

الشهر ثلاثة أيام ثلاث عشرة، واربع عشرة، وخمس عشرة، رواه النسائى والترمذى، وصححه ابن حبان

لا تصوم المرأة المتزوجة الا باذن زوجها فيما يختص بالنفل

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه، ان رسول الله ﷺ قال «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد الا بإذنه، متفق عليه واللفظ للبخارى، زاد أبو داود (غير رمضان).

صيام العيدين

وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه: ان رسول الله ﷺ نهى عن صيام يومين يوم الفطر ويوم النحر. متفق عليه

الحج وأثره

من نواحية التعبدية والاجتماعية والعملية

وضع الاسلام نظام الحياة الفردية من القصد فى المعيشة والتحلى بمكارم الاخلاق ، حتى تقوم الجماعة على أمتن الاسس وأقواها ، من التضامن فى صالح الاعمال ، وتوحيد غايتها فى رضاء الله ، والتقرب اليه بعمل الخير واسداء البر لاهله . قال تعالى : ﴿ الذين يوفونَ بعهدِ الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يَصلون ما أمر اللهُ به أن يوصل ويخشونَ ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربِّهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية ويَدرأون بالحسنةِ السيئة أولئك لهم عقبى الدار[1] ﴾

فرض الله الصلاة ليتصل العبد بربه بالاقرار بعبوديته ، وليصل الانسان أخاه الانسان بالرحمة والعطف امتثالا لامره ، كما فرض عليه الزكاة تطهيراً لماله ، ولبذلها للفقراء من اخوانه وأبناء جنسه . واذا ما اشتد ساعد الجماعة وشبت على خير الاخلاق وأزكى مثل الفضيلة احتاجت الى تعارف اخوانها من الجماعات الاخرى لتزداد أواصر الانسانية احكاما فقال تعالى :

﴿ يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عندَ اللهِ أتقاكم[2] ﴾

وكما فرض الله تعالى صلاة الجماعة لتعارف أهل الجهة والقرى فقد فرض الحج ليتم التعارف بين أهل البلاد والمدن والممالك ، وبذلك يتم بناء الانسانية ، وتبادل المنافع بين أبنائها . قال تعالى :

﴿ وأذّنْ فى الناسِ بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتينَ من كلّ فجٍ عميق ليشهدوا منافعَ لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير[3] ﴾

والحج فى اللغة القصد مرة بعد أخرى ، فقيل حج البيت لان الناس يأتونه فى كل

---

(١) سورة الرعد (٢) سورة الحجرات (٣) سورة الحج

سنة . فقال تعالى ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس(١) ﴾ أى مرجعاً يأتونه فى كل سنة ثم يرجعون اليه فلا يقضون منه وطراً ، أى لا يدعــه الناس اذا أتوا اليه أن يعودوا اليه ثانية .

وحج البيت فى الشرع قصده على ما هو فى اللغة ، الا أنه قصد على صفة معينة ، فى وقت معين ، اقترنت به أفعال معينة .

وحج البيت الحرام (ومقره مكة) فريضة كفريضة الصلاة والصيام والزكاة ، قال الله عز وجــل :

﴿ ولله على الناس حجُّ البيتِ من استطاعَ اليه سبيلا (٢) ﴾

أمر الله تعالى ابراهيم واسماعيل أن يبنيا البيت ، فصدعا بالامر وبنيا الكعبة ، فى مكة . ولما تم بناؤها أمر الله تعالى ابراهيم أن يعلم الناس بأنه بنى بيتا لعبادة الله تعالى وأن عليهم أن يقصدوه للنسك . وطلب ابراهيم واسماعيل من الله تعالى أن يريهما المناسك التى ينسكانها .

والكعبة أول بيت وضع للنـاس لعبادة الله تعالى ، فى حين أن بقية الشعوب والقبائل فى سائر أنحاء الارض كانوا يبنون البيوت لعبادة الاصنام والتماثيل. قال تعالى:

﴿ ان أولَ بيت وُضعَ للناس للذى ببكةَ مباركا وهُدى للعالمين(٣) ﴾

﴿ وعَهِدْنا الى ابراهيمَ واسماعيلَ أن طَهّرا بيتىَ للطائفينَ والعــاكفين والرُّكع السجود (٤) ﴾

﴿ واذ يرفعُ ابراهيمُ القواعـد من البيت واسماعيل . ربّنا تقبّلْ منـا انك أنتَ السميع العليم . ربنا واجعلنَا مُسلمين لك ومن ذريّتنا أمة مسلمةً لك وأرِنا مناسكنا وَتب علينا أنكَ أنت التّوابُ الرحيم . ربّنا وابعَثْ فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلمهمُ الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك أنت العزيزُ الحكيم(٤) ﴾

وقد ذكر الله تعالى كيفية الحج فى كتابه بمناسكه ومشاعره واحكامه ووقت ادائه وما يحل فيه وما يحرم ، وبين رسول الله ﷺ كل ما أجمل الله عز وجل فى كتابه من أمر الحج ، فوقت المواقيت لأهل الآفاق ، وبين عدد الطواف بالبيت والسعى

---

(١) سورة البقرة (٢) سورة آل عمران (٣) سورة آل عمران (٤) سورة البقرة

بين الصفا والمروة ، وما يبدأ به من ذلك وكيف يصنع فيه ، ووقت الوقوف بعرفة والمزدلفة والجمع بين الصلاتين بهما وصفة رمى الجمار والنحر ، وما يجب فى ذلك كله وما لا يجب قولا وعملا ، فى حجته التى حجها بالناس .

وفرائض الحج أربعة : النية ، والوقوف بعرفة ، والطواف بالبيت ، والسعى بين الصفا والمروة (١)

اثر الحج

ان ذهاب عشرات الآلاف من مسلمى العالم على اختلاف بلادهم وأجناسهم وألوانهم ولغاتهم الى مكة لاداء فريضة الحج له أثر بالغ فى تربية النفس ، وذلك باحتمال مشقة السفر ووعث الطريق فى سبيل تحقيق المبدأ . وهذا رياضة الوجدان على طاعة الرحمن .

اجتماع الألوف المؤلفة من مختلف الاجناس البشرية الاسلامية من بقاع الكرة الارضية بين فقير مقل وغنى كبير الثراء : الابيض والاسود والاصفر والاسمر ، وعالم وجاهل ، وأمير ورفيع ، وصغير ووضيع فى صعيد واحد بلباس واحد فى وقت واحد تنفيذا لامر الله الواحد ، وطلبا لغفرانه ومرضاته من أكبر الاسباب فى تحقيق المساواة .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ ما يلبس المحرم (الحاج والمعتمر) قال : لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة ولا البرنس (كل ثوب رأسه منه) ولا السراويل ولا ثوبا مسه وَرْس (ثوب مصبوغ له لون أحمر يضرب الى الصفرة) ولا زعفران ولا الخفين الا أن لا يجد نعلين فليقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين . أخرجه الستة . وهذا لفظ الشيخين وزاد البخارى ولا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين (١).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من لم يجد ازارا

---

(١) يراجع في ذلك كتب الفقه

فليلبس سراويل ، ومن لم يجد نعلين فليلبس خفين (أى وليقطعهما ، كما فى الحديث السابق) . أخرجه الخمسة .

وقد جمع الحج العوامل الاربعة التالية التى تعتبر أساسا لظواهر اجتماعية راقية يشيد عليها بناء الجامعة الاسلامية والرابطة الانسانية :

١ - الاتصال بين أفراد الشعوب وهو أساس المجاملة والتعارف والى ما هنالك من درجات التفكهة .

٢ - التقليد أساس التطور الاقتصادى فى الصناعات والمعاملات الخ

٣ - التساهل أساس تقرير العدالة وتطور القضاء .

٤ - التحالف والتعاون أساس النظامات السياسية والاقتصادية والدفاعية الحربية . ونشر السلام العام .

قال الفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزى « متى وجدت العلاقة بين الناس تشابهوا لا محالة وان تفاوتوا فى الثروة وقسموا فى طبقات » .

كان من الاعمال الكبرى لامام المسلمين اقامة حجهم . وكان الحج معتبرا فى نظر الخلفاء الراشدين موسما عاما يجتمع فيه أمراء الجهات ليدلوا الى الخليفة بما عندهم من الاحوال فى بلادهم : ولتسمع شكوى من يشكوهم من رعيتهم ، وكان الخلفاء يلونه بأنفسهم ، وقلما يتخلفون ، وكان أكثرهم توليا لأمر الحج بنفسه عمر بن الخطاب فانه حج سنيه كلها لم يتخلف فى واحدة منها إلا أنه حصل خلاف فى السنة الاولى من حكمه فقيل انه أناب عنه عبد الرحمن بن عوف .

كان الاهتمام بأمر الحج قد جعل له مظهرا كبيرا عظيما ، وفائدة كبرى فى تعارف المسلمين بعضهم ببعض ، وكان الخلفاء يجيئهم به من الاخبار مالا يمكن أن يصل اليهم بواسطة الولاة (١)

حج الاستاذ الحاج ناصر الدين دينه المستشرق الفرنسى والمصور المشهور الى بيت الله الحرام سنة ١٩٢٩ وألف فى ذلك كتابا يشمل جميع ذكرياته يقع فى مقدمة

---

(١) تاريخ الاسلام : الخلفاء الراشدون . للاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٤٩٩

وسبعة فصول وخاتمة وملحق ذى فصلين فى أكثر من مائتى صفحة . قال المؤلف فى خاتمة كتابه :

لقد استرعت أنظارنا بصفة خاصة أثناء رحلتنا أمور ثلاثة على جانب عظيم من الاهمية بالنسبة للمستقبل وهى :

أولا ـ قوة الحياة الكامنة فى اللغة العربية .

ثانيا ـ قوة العقيدة الاسلامية .

ثالثا ـ اصرار أوربا فى عداوتها للاسلام إصراراً ظاهرا .

ولنذكر باختصار رأيه فى هذه الامور الثلاثة :

أولا ـ قوة الحياة الكامنة فى اللغة العربية .

وهناك الالوف من الحجاج الاعاجم (غير العرب) الذين يقبلون على تعلم اللغة العربية بشغف زائد ليتسنى لهم قراءة القرآن واستيعاب معانيه . والكثيرون منهم يقدرون على التعبير بها من غير ما خطأ بالرغم من سقم فطنتهم . ولقد تسنى لنا محادثة بعض الجاوبين والهنود والفارسيين والخراسانيين وأهالى البوسنة والاتراك والالبانيين وأهل القوقاز والسنغال والسودان من غير أن تصادفنا صعوبة تذكر .

ويجد الانسان فى دراسة تلك اللغة العجيبة ميزة خاصة بها ، فانها من بين جميع اللغات القديمة اللغة الوحيدة التى لا تزال حية للآن ، ولو عاد اليوم أحد معاصرى النبى ﷺ لما وجد أية صعوبة فى التفاهم مع جميع الناطقين بالضاد ، على حين أنه لو عاد أحد معاصرى قيصر لما تأتى له إلا ان يتكلم مع بعض الاساتذة المدرسين ، ومع ذلك فمن المشكوك فيه أن يتسنى له أن يفهمهم كل الفهم . كما أن أحد معاصرى فرنسوا الاول لو عاد لوجد صعوبة تامة فى التخاطب مع فرنسى اليوم الخ .

ثانيا ـ قوة العقيدة الاسلامية ... لا حاجة بنا الى تكرار ما رأيناه من المعجزات التى تجلت لنا من جراء فعل هذه العقيدة بالنفوس . . .

لو كان الاسلام الحقيقى معروفا فى أوروبا لكان من المحتمل أن ينال أكثر من أى دين آخر من العطف والتأييد من جراء روح التدين التى نجمت عن الحرب الكبرى ، فانه والحق يقال يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم ، فهو ببساطته المتناهية كما يذهب اليه المعتزلة وباشتماله على روح التصوف كما يذهب اليه

أهل الصوفية يهدى علماء أوروبا وآسيا الى الطريق المستقيم ، ويجـــدون فيه تعزية وسلوى من غير أن يحول بينهم وبين حريتهم التامـة فى آرائهم وأفكارهم ، كما أنه هدى وتعزية لزنوج السودان الذين ينتزعهم من أحضان أوهامهم الوثنية ، ويرقى بروح ذلك التاجر الانكليزى رجل العمل الذى يعتبر الوقت من ذهب كما يرقى بروح الفيلسوف المتدين ، ويسمو بنفس الشرقي المفكر ذى التأملات والخيالات ، كما يسمو بنفس الغربى الشغوف بالشعر ، بل هو يسحر لب الطبيب العصرى بما قرره من الوضوء المتكرر كل يوم ، وبما فى الصلاة من حركات منتظمة تفيد الجسم والروح معاً - وفى وسع حر الفكر - وهو ليس ملحدا حتما - أن يعتبر أن الوحى الاسلامى عمل من أعمال تلك القوة الخفية التى نسميها « الالهام » ، وأن يعتقد به من غير أية صعوبة بما أنه لا يحتوى على أسرار خفية لا يسيغها العقل .

ثالثا - عداوة أوربا للاسلام . . . يوجد اليوم جماعة من المستشرقين لا غرض لهم من دراسة اللغة العربية والبحث فى الدين الاسلامى سوى تشويههما والطعن فيهما . . .

لقد اعترف مسيو مونتيه أحد العلماء المنصفين أن القرآن ربمـــا كان الكتاب الوحيد الذى قرر نظرية التوحيد ، ولذلك أخذ بعض المستشرقين على عاتقهم محاربة هذه الميزة التى امتاز بها الاسلام (١)

يرى البصير الفطن أن الاسلام فى مبادئه ووسائله يدعو الى الوحدة والارتباط بين الافراد بعضها ببعض وبين الشعوب المسلمة من ناحية وغـــير المسلمة من ناحية أخرى ما دامت قائمة بحق الجوار والمحافظة على العهود .

الاسلام فى أصوله ومراميه دين سلم وخير ورحمة للعالم كافة ، انظر فى قوله تعالى :

﴿ وَمَن أحسنُ قولاً ممن دعا الى الله وعَمِل صالحاً وقال إنَّنى من المسلمين . ولا تستَوى الحسنةُ ولا السيئةُ ، ادفع بالتى هى احسَنُ فاذا الذى بَيْنك

---

(١) كتاب الحج الى البيت الحرام تأليف الحاج ناصر الدين دينه والحاج سليمان بن ابراهيم . وراجع مجلة الشبان المسلمين المجلد الثانى ص ٢٨ — ٢٩

وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم . وما يلقّاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم (١) ﴾

وقد دعا الله تعالى المسلمين الى السلام فى غير ما آية حتى يتفرغوا لشئونهم ويعملوا ما فيه صالح دنياهم وآخرتهم فقال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة (٢) ﴾ وقال ﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات (٣) ﴾

والسلام الذى دعا اليه القرآن الكريم يجب أن يقوم على العزة والمنعة لا على الاستسلام والعبودية وضياع الحقوق والتفريط فى الواجبات ولذلك دعا الله تعالى الى الجهاد فى سبيل الدفاع عن الحق والنفس والمال والعرض واعلاء كلمة الدين حتى يقف المعتدى عند حده ويعود الى رشده ، وحذر الله تعالى من العدوان وتخطى الحدود حتى لا تكون فتنة وحتى يعود السلام الى نصابه فقال تعالى :

﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ، فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين . وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين (٤) ﴾

قال المستر روبرت ل . بيكر فى مقال تحت عنوان الاسلام فى سبيل الوحدة : ـ
وللمادية الغربية والتعليم والآراء والافكار الاجتماعية أيضا أثرها العميق على المعاهد الاسلامية . وهناك أخيرا كثرة المذاهب وتعددها وهى تقسيم الاسلام حتى فى المسائل الدينية البحتة فى كل النقط ما عدا أركان الدين الخمسة وهذه العناصر الخمسة

---

(١) سورة فصلت (٢) سورة البقرة (٣) سورة البقرة (٤) سورة البقرة

الجامعة هى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . واقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله من استطاع اليه سبيلا .

والاسلام فى صورته الاولية كالمسيحية فى صورتها الأولى . فكرة شاسعة عن مهمته فى الدنيا ، فلا القرآن ولا الأحاديث النبوية ولا أقوال الصحابة تفرق بين الأجناس أو اللغات أو الألوان .

وعلى أساس هذه العالمية قامت نظرية وحدة سياسية وهى وحدة وان لم تتحقق عمليا ابدا إلا أن المتمسكين بالدين بقوا على مر القرون مؤمنين بأن تحقيقها رهن بوجود ظروف أصلح ووجود خلفاء أقوى (١)

وان الجامعة الاسلامية بين جميع الأمم الاسلامية والرابطة الانسانية بين المسلمين وغير المسلمين هى رهن اعتصام المسلمين بالتمسك بأوامر دينهم والمحافظة عليها ومعاملة الامم الاخرى لهم معاملة النظير للنظير وان يسود حسن التفاهم والوئام بين الجميع .

(١) الاسلام فى سبيل الوحدة . بقلم روبرت ل . بيكر في مجلة كارنت هستورى . راجع جريدة السياسة ٩ أغسطس سنة ١٩٣٣

بعض الاحاديث
التى وردت عن الحج وأحكامه

فريضة الحج مرة واحدة — حج البدل فى الشيخوخة والوفاة
حج العبد والأجير — حج الاسير — أشهر الحج — لباس الحج فى الاحرام
ما يحرم من الصيد

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال « أيها الناس ، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت . حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ « لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم » ثم قال « ذرونى ما تركتكم ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فاذا أمرتكم بشىء فائتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه » . رواه مسلم والنسائى والترمذى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الاقرع بن حابس رضى الله عنه قال : يا رسول الله الحج فى كل سنة أو مرة واحدة ؟ قال « بل مرة واحدة ، فمن زاد فهو تطوع » رواه ابو داود والنسائى وأحمد والحاكم وصححه .

وعنه عن النبى ﷺ قال ، من أراد الحج فليتعجل » . رواه أبو داود وأحمد وزاد « فانه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة » .

عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » . وذلك لقول الله فى كتابه : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين﴾

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاءت امرأة من خثعم (اسم قبيلة) فقالت : يا رسول الله ان فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة . أفأحج عنه ؟ قال : نعم . وذلك فى حجة الوداع . رواه الخمسة (البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى)

وعنه قال سمعت النبي ﷺ يخطب . يقول « لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم » فقام رجل فقال : يا رسول الله إن امرأتى خرجت حاجة ، وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا قال « انطلق فحج مع امرأتك » . رواه الأربعة

وعن بريدة رضى الله عنه قال جاءت امرأة الى النبي ﷺ فقالت : إن امى ماتت ولم تحج ، افأحج عنها ؟ قال « نعم حجى عنها » . رواه الترمذى ومسلم

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا اتى النبي ﷺ فقال : إن ابى مات وعليه حجة الاسلام ، افأحج عنه ؟ قال ارأيت لو أن اباك ترك دينا عليه أتقضيه عنه ؟ قال : نعم . قال « فاحجج عن أبيك » رواه النسائى والشافعى

وعنه قال : رفعت امرأة صبيا لها فقالت : يا رسول الله ألهذا حج ! قال « نعم ، ولك أجر » رواه مسلم والترمذى .

وقال السائب بن يزيد : حج بى مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين . رواه الترمذى بسند صحيح

وعن أبى أمامة التيمى رضى الله عنه قال : كنت رجلا اكرى فى هـذا الوجه (أى أؤجر) . وكان ناس يقولون إنه ليس لك حج . فلقيت ابن عمر فسألته ، فقال أليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمى الجمار ؟ قلت بلى . قال فإن لك حجا : وسأل رجل رسول الله ﷺ عن ذلك فسكت عنه ، حتى نزلت هذه الآية ﴿ ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ فارسل اليه وقرأها عليه وقال : لك حج . رواه أبو داود بسند صالح

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة . رواه البخارى

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا قال : يا رسول الله ما يلبس المحرم من الثياب ؟ قال : لا يلبس القمص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف ، إلا أحد لم يجد نعلين فليلبس خفين وليقطعهما اسفل من الكعبين . ولا تلبسوا من الثياب شيئا مسه زعفران أو وَرْس (الورس كالورد نبات أصفر باليمن

طيب الرائحة يصبغ به ، ولونه بين الصفرة والحمرة) وفى رواية من لم يجد نعلين فليلبس خفين ومن لم يجد ازاراً فليلبس سراويل .

وقال الله تعالى ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً . واتقوا الله الذى اليه تحشرون ﴾

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أهدى الصعب بن جثامة إلى النبى ﷺ حماراً وحشيا وهو محرم ، فرده عليه وقال: لولا أنا محرمون لقبلناه منك . وفى رواية أهدى له عضو من لحم صيد فرده وقال : إنا لا نأكله . إنا حرم . رواه الخمسة

وعن حفصة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال « خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن : الغراب ، والحدأة ، والفأرة ، والعقرب ، والكلب العقور » وفى رواية « خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم . الحية ، والغراب الأبقع ، والفأرة ، والكلب العقور ، والحدايا » رواه الخمسة

وعن أبان بن عثمان رضى الله عنهما قال سمعت أبى يقول : قال رسول الله ﷺ « لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب » رواه الخمسة إلا البخارى

كيف حج رسول الله ﷺ

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ حج فخرجنا معه ، حتى إذا أتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس (هى امرأة ابى بكر الصديق رضى الله عنهما ، ولدت له محمداً) فقال « اغتسلى ، واستثفرى بثوب (هو جعله كثفر الدابة ، تشد على وسطها شيئا ثم تأخذ خرقة عريضة تشد طرفيها من ورائها وقدامها) ، وأحرمى » . وصلى رسول الله ﷺ فى المسجد . ثم ركب القصواء (لقب ناقة النبى ﷺ) حتى اذا استوت به على البيداء ، أهلَّ بالتوحيد : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » ، حتى اذا أتينا البيت استلم الركن (أى الحجر الأسود) ، فرمل (أى هرول مسرعا فى نشاط وقوة) ثلاثا ومشى أربعا ، ثم أتى مقام ابراهيم فصلى ، ثم رجع الى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب الى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ . « أبدأ بما بدأ الله به » ، فرقى الصفا ، حتى رأى البيت فاستقبل القبلة ، فوحد الله وكبره وقال « لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير . لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده » ، ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة ، حتى اذا انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى ، حتى اذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا ـ وذكر الحديث وفيه : فلما كان يوم التروية (هو الثامن من ذى الحجة سمى بذلك لانهم يملئون فيه قربهم لعرفة) توجهوا الى منى ، وركب النبى ﷺ فصلى بها الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، فأجاز حتى أتى عرفة . فوجد القبة قد ضربت له بنمرة (موضع) فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس أمر بالقصواء ، فرحلت له ، فأتى بطن الوادى ، فخطب الناس ، ثم أذن ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئا ، ثم ركب حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات ، وجعل حبل المشاة (أى طريقهم الذى يسلكونه فى الرمل . وقيل أراد صفهم ومجتمعهم فى مشيهم تشبيها بحبل الرمل) بين يديه ، واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلا

حتى غاب القرص ، ودفع ، وقد شنق للقصواء الزمام حتى ان رأسها ليصيب مورك رحله ، ويقول بيده اليمنى : « يا أيها الناس ، السكينة السكينة » . وكلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد . حتى أتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء ، بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا ، ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر ، حتى تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب حتى اتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعا ، وكبر ، وهلل ، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، حتى أتى بطن محسر (سمى بذلك لان فيل أصحاب الفيل حسر فيه) فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة منها ، كل حصاة مثل حصى الخذف ، رمى من بطن الوادى ثم انصرف الى المنحر ، ثم ركب رسول الله ﷺ ، فأفاض الى البيت ، فصلى بمكة الظهر . رواه مسلم مطولا .

كيف تحج ؟

الاستعداد للسفر : ما يجب ان يأخذ الحاج من الملبوسات واللوازم

أولا : من عزم على أداء فريضة الحج يجب أن يتقدم الى مأمور المركز أو القسم الذى يقطنه فى دائرة اختصاصه ليستطيع أن يقيد اسمه ضمن الذين يريدون أداء فريضة الحج ، وبذلك يسهل له أمر السفر براً وبحراً ، ويكتب طلبا بذلك متعهدا بدفع الرسوم المطلوبة . ذاكرا نوع الدرجة التى يسافر بها (الأولى او الثانية او الثالثة) وتوجد استمارات تملأها لهذا الغرض ، وبعد دفع الرسوم يتوجه الحاج الى مكتب الصحة التابع لها لعمل الحقن اللازمة والتطعيم قبل السفر

ويعد عدته بالآتى : ـ

شنطة جلد كبيرة أو خرج سفر توضع لوازمه فيه ، وأهمها ما يأتى :

جلبابان أو بيجامتان صيفيتان أو مثلهما شتويتان . ملابس داخلية لتغيرتين أو ثلاث . بشكيران للاحرام كأزار ورداء . كمر جلد ذو جيوب لحفظ النقود والمفاتيح . فوطة وصابونة وابريق زنك وفرشاة للاسنان أو مسواك . إسعافات ضرورية

(كلينات واسبرين وفينيك) بطارية كهربائية صغيرة باليد . فرش النوم يكون مؤلفا من سجاد وبطانية ووسادة على حسب المقدرة . شنطة جلد صغيرة لوضع النقود والمصحف والاوراق حين الاحرام . شمسية لاتقاء حرارة الجو تكون من قماش أبيض ثقيل . بالطو أو عباءة .

أما ملابس السيدات للاحرام فهى كالعادة ، وغطاء للرأس يستعمل فى غير وقت الاحرام لاتقاء الحر

ملحوظة : يجب أن لا تكثر من حمل الامتعة والملابس ، ولا تكلف نفسك بحمل الفواكه والعيش والسجاير ، ولا تأخذ إلا الضرورى من الأدوية ، وهناك كل ما يلزمك .

فاذا تيسر لك ذلك كله فسافر على بركة الله لأداء هذه الفريضة

واذا وصلت الى ميقات الاحرام (وهى ميناء رابغ عند المصريين) وهنا تطلق السفينة صفارتها ايذانا بالاحرام . فأحرم بنية الحج أو العمرة ان شئت اوهما معا ، قائلا : اللهم إنى نويت الاحرام لحج بيتك المعظم فيسره لى وتقبله منى . ويسن الاغتسال وتقليم الأظافر وحلق ما شعث تحت البطن « العانة » . وتسريح الشعر ، وصلاة ركعتين ينوى بهما سنة الاحرام

كيفية الاحرام : أن يتجرد الرجل من مخيط الثياب . ويلبس ازارا معه رداء إن تيسر له ذلك . أما المرأة فتلبس ملابسها . وتكشف وجهها إن لم تخش الفتنة . ثم تلبى قائلا :

التلبية : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك .

ولا تزال تكرر التلبية من وقت إلى آخر حتى تدخل مكة :

دخول مكة والطواف : يستحب الاغتسال لدخول مكة ، فقد كان النبى ﷺ يغتسل له وكان يبيت بذى طوى وهو موضع عند الآبار التى يقال لها آبار الزاهر فمن تيسر له المبيت فيه والاغتسال فقد أصاب السنة والافضل دخول مكة نهارا وأن يقصد المسجد الحرام توا والافضل أن يدخل من باب بنى شيبة (بـــاب السلام)

وروى فى حديث ضعيف أن النبى ﷺ كان يقول اذا رأى البيت (اى الكعبة المعظمة) : « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه وعن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا » وروى أن عمر رضى الله عنه كان إذا نظر إلى البيت قال : اللهم انت السلام ومنك السلام ، فحينا ربنا بالسلام

واعلم أن ما يذكر فى المناسك من الدعاء والثناء وما يلقنه المطوفون للحجاج قلما يصح فيه حديث مرفوع إلى النبى ﷺ ومنه ما هو من أقوال الصحابة وغيرهم من سلف الأمة

وقد كان النبى ﷺ يسمع أصحابه يدعون الله تعالى ويثنون عليه فى النسك بما يلهمهم الله تعالى فيقرهم على ذلك . فعلم من ذلك أن ما لم يصح عن النبى ﷺ من ذلك لا يكلفه أحد ولا يمنع منه . والشعائر لا تثبت الا بنص الشارع . والظاهر أن الشارع ترك هذا الامر للناس ليدعو كل منهم ويثنى بما يلهمه الله ويخشع له قلبه . ويسن أن يصلى بعد الطواف ركعتين

طواف القدوم : والثابت أن النبى ﷺ كان اذا دخل المسجد الحرام يبدأ بالطواف . والطواف الاول من الحاج أو المعتمر يسمى طواف القدوم ، وهو واجب عند المالكية وسنة عند الائمة الثلاثة

شروط الطواف : يراعى فى الطواف شروط الصلاة كالوضوء وطهارة البدن والثياب وستر العورة ، لما رواه الترمذى والشافعى من حديث ابن عباس مرفوعا الى النبى ﷺ « الطواف بالبيت مثل الصلاة ، الا انكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير » ووردت آثار فى النهى عن كثرة الكلام فى الطواف اى وإن كان بخير لم تمس اليه الحاجة ، لأنه يشغل القلب عن الخشوع فى هذه العبادة

الحائض والنفساء : ولما كانت الطهارة شرطا لصحة الطواف امتنع الطواف على الحائض والنفساء . فهى تؤدى جميع أعمال الحج سواه ، فتتربص به الى أن تطهر

كيفية الطواف : يبدأ الانسان من الحجر الأسود ، يستقبله ويستلمه ويقبله ان أمكن من غير ايذاء نفسه أو ايذاء أحد بالزاحمة ، والا اكتفى باستلامه بيده (أى مسحه بها) وتقبيلها فان لم يكن أشار اليه بيده . ثم يشرع فى الطواف فيجعل البيت

عن يساره ليطوف سبعة أشواط أى مرات . ويستلم من الاركان الركنين اليمانيين لأنهما على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام دون الشاميين لانهما فى داخل البيت

والركنان اليمانيان هما الجنوبيان ويسمى الذى فيه الحجر الأسود منهما الركن الاسود اذا ذكر وحده واذا ذكر الآخر وحده قيل الركن اليمانى . والشاميان هما الشماليان فاذا ذكر كل منهما وحده قيل الركن الشامى وهو المقابل لبلاد الشام والركن العراقى وهو المقابل لبلاد العراق وانما يقال فى تثنيتهما اليمانيان والشاميان من باب التغليب .

أنواع الطواف : ان فى الحج ثلاثة أطوفة :

(١) طواف القدوم الذى ذكرناه

(٢) طواف الافاضة . وهو ركن من أركان الحج باتفاق الأئمة ، ووقته بعد الوقوف بعرفة

(٣) طواف الوداع . وهو واجب عند الجمهور ومندوب عند المالكية ، ووقته قبل مغادرة مكة

وللحاج أن يكثر من طواف التطوع ما استطاع

أدعية مأثورة تقال عند دخول مكة والحرم : اذا دخلت مكة قل : اللهم ان هذا الحرم حرمك والأمن أمنك والعبد عبدك . اللهم إنى جئتك من بلاد بعيدة بذنوب كثيرة راجيا أن تستقبلنى بمحض عفوك وكرمك ، وأن تحرم جسدى على النار . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دخول الحرم

اذا جئت الى الحرم فادخل من باب السلام قائلا : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا بالسلام وأدخلنا الجنة دار السلام بفضلك يا ذا الجلال والاكرام . ثم سر نحو البيت من جهة الشرق قائلا : اللهم ان هذا الحرم حرمك وهذ الامن امنك . اللهم حرم جسمى على النار . فاذا وقع بصرك على الكعبة فقل بسم الله والله اكبر (ثلاثاً) لا اله الا الله وحده

لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . وادخل من باب بنى شيبة قائلا رب أدخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا . وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا . فاذا اتيت الحجر الأسود فاستقبله وقل بسم الله ، الله أكبر ولله الحمد . اللهم اغفر لى ذنبى وطهر لى قلبى واشرح لى صدرى وعافنى برحمتك فيمن تعافى . ثم استلمه بيمينك وقبله (ان امكنك) أو أشر اليه بيمينك وانو الطواف قائلا : اللهم انى نويت طواف بيتك المعظم سبعة أشواط لوجهك الكريم ، اللهم يسرها لى وتقبلها منى . ثم انطلق فى طوافك قائلا :

فى الشوط الاول :

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ اشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ، اللهم انى اسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار . ويقول بين الركنين اليمانيين فى كل شوط : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وادخلنا الجنة مع الابرار يا عزيز يا غفار .

دعاء الشوط الثانى :

اللهم ان هذا البيت بيتك والحرم حرمك والامن امنك والعبد عبدك وأنا عبدك وابن عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار فحرم لحومنا وبشرتنا على النار . اللهم حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك ، اللهم ادخلنى الجنة بغير حساب .

دعاء الشوط الثالث :

اللهم انى أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة اللهم اظلنى تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، واسقنى من كأس نبيك محمد ﷺ شربة هنيئة لا أظمأ بعدها أبدا .

دعاء الشوط الرابع :

اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وعملا صالحا مقبولا وتجارة لن تبور يا عالم ما فى الصدور اخرجنى يا الله من الظلمات الى النور . اللهم انى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار . رب قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما أعطيتنى واخلفنى فى كل غائبة لى منك بخير .

دعاء الشوط الخامس :

اللهم اظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ولا باقى الا وجهك . اللهم انى أسألك من خير ما سألك منه نبيك سيدنا محمد ﷺ ، واعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ . اللهم انى أسألك الجنة ونعيمها وما يقربنى اليها من قول أو عمل ، واعوذ بك من النار وما يقربنى اليها من قول أو عمل .

دعاء الشوط السادس : اللهم ان لك على حقوقا كثيرة فيما بينى وبينك ، وحقوقا كثيرة فيما بينى وبين خلقك . اللهم ما كان لك منها فاغفره لى وما كان لخلقك فتحمله عنى وأغننى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك يا واسع المغفرة . اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت يا الله حليم كريم عظيم تحب العفو فاعف عنى .

دعاء الشوط السابع : اللهم انى أسألك ايمانا كاملا ويقينا صادقا ورزقا واسعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وحلالا طيبا وتوبة نصوحا وتوبة قبل الموت وراحة عند الموت ومغفرة ورحمة بعد الموت والعفو عند الحساب والفوز بالجنة والنجاة من النار برحمتك يا عزيز يا غفار ، رب زدنى علما وألحقنى بالصالحين .

وكلما قربت من الحجر الاسود قل : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . فاذا حاذيته فقل مستلماً ان امكنك أو مشيراً عليه بيمينك من بعد : بسم الله الله أكبر . ثم ادع الله تعالى بما تشاء من الادعية السابقة أو بما يحضرك من غيرها ، والا فحسبك الذكر والتوحيد والاستغفار ويجمعها قولك سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ويسن الاضطباع فى طواف القدوم وهو اخراج الذراع الأيمن فوق الرداء الذى تشتمل به . وكذلك يسن فيه الرمل (اى الجرى بخطى ضيقة) اشارة الى ان الجسم ممتلىء قوة وشهامة ولم تؤثر فيه عوامل مشقة السفر فى سبيل الله ، وبعد طوافك سبعة اشواط على هذا النظام توجه خلف مقام ابراهيم وصل ركعتين سنة الطواف ثم قل : اللهم انك دعوت عبادك الى بيتك الحرام وقد جئت طائعا لامرك فاغفر لى وارحمنى . اللهم اغفر لى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا . اللهم اغفر لى ولجميع المؤمنين والمؤمنات . ثم اقصد الملتزم والصق صدرك به وافرد ذارعيك عليه وادع بالدعاء الآتى : اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقابنا ورقاب آبائنا وامهاتنا وأخواتنا واولادنا من النار ، ياذا الجود والكرم والفضل والمن والعطاء والاحسان . اللهم أحسن عاقبتنا فى الامور كلها واجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . اللهم انى عبدك وابن عبدك واقف تحت بابك ملتزم باعتابك متذلل بين يديك ارجو رحمتك واخشى عذابك يا قديم الاحسان . اللهم انى اسألك ان ترفع ذكرى وتضع وزرى وتصلح أمرى وتطهر قلبى وتنور لى فى قبرى وتغفر لى ذنبى ، وأسالك الدرجات العلى من الجنة آمين . ثم اذهب الى بئر زمزم فاشرب منها هنيئا مريئا ثم توجه الى المسعى .

السعى بين الصفا والمروة : السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة عند الجمهور ، وعند الحنفية واجب غير ركن . ويشترط ان يكون بعد الطواف . وعند المالكية يجب ذلك وليس بشرط . ويجب عندهم الموالاة بينه وبين الطواف . وقال الجمهور إنه سنة لا واجب . ويطلق على السعى اسم الطواف والتطوف كما ثبت فى القرآن والاحاديث واختار الفقهاء اسم السعى للتفرقة بينه وبين الطواف بالبيت .

كيف تسعى : وكيفيته ان يبدأ بالصفا فيصعد اليه ويستقبل البيت (الكعبة) فيهلل ويكبر ويدعو الله تعالى ثم ينزل ويذهب الى المروة فاذا انتهى اليها توجه الى المسعى ليكون مستقبلا للبيت ويدعو الله تعالى كما دعاه عند الصفا فهذه مرة ، ثم يعود الى الصفا ثم الى المروة الى أن يتم سبعة أشواط يرمل فى ثلاثة منهن بين الميلين الاخضرين وهما عمودان فى جدار الحرم . والرمل سرعة فى السعى ولا يشترط فى

السعى ما يشترط فى الطواف من الطهارة ، ولكن يستحب . ويجوز السعى راكبا وماشيا والمشى افضل للقادر عليه .

روى مسلم وغيره من حديث جابر ان النبى ﷺ لما دنا من الصفا قرأ ﴿ ان الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ وقال « أبدأ بما بدا الله به » وفى حديث عن النسائى (ابدءوا بما بدأ الله به) فبدأ بالصفا فرقى عليه ، حتى اذا رأى البيت استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده . ثم دعا بعد ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة : الحديث . وفيه انه فعل فى المروة كما فى الصفا فينبغى ان يحفظ هذا وأن يدعو الساعى بعده بما يفتح الله به عليه لنفسه وأهله واخوانه وأمته .

ومن الادعية المأثورة للسعى بين الصفا والمروة لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير . لا إله الا الله ولا نعبد الا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . اللهم إنى أعوذ بك من عضال الداء وخيبة الرجاء وشماتة الاعداء وزوال النعمة ونزول النقمة ، وتهرول بين الميلين الاخضرين (وهما عمودان مبنيان فى جدار الحرم . واحد بجوار باب القبلة والآخر بجوار باب على والمسافة بينهما سبعون مترا) قائلا : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك أنت الأعز الأكرم ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار يا عزيز يا غفار يا أرحم الراحمين . ثم ادع الله بما شئت . ثم اذا كنت متمتعا (محرماً بالعمرة) حلقت أو قصرت بعد سبعة أشواط وتحللت وفككت إحرامك حتى اذا كان يوم التروية (اليوم الذى قبل يوم عرفة) احرمت للحج .

أما إذا كنت قارنا (أعنى محرما بالحج والعمرة معا) او مفردا (محرما بالحج فقط) بقيت باحرامك فى مكة الى يوم التروية ثم تتوجه إلى عرفة .

الوقوف بعرفة

يخرج الحجاج من مكة يوم التروية أى اليوم الثامن من ذى الحجة (وهو الذى قبل عرفة ويسميه العوام بمصر والشام يوم العرفة ويسمون يوم عرفة يوم الوقفة) محرمين . اما من كان متمتعا فانه يحرم فى ذلك اليوم كاحرامه من الميقات . والسنة ان يحرم كل واحد من المكان الذى هو نازل فيه وله أن يحرم من خارج مكة ان كان غير مكى فان المكى انما يحرم من أهله . والسنة أن يبيتوا بمنى ولا يخرجوا منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبى ﷺ ، وان يسيروا منها الى « نمرة » من موضع (ضب) عن يمين الطريق وهو موضع فى حدود عرفة ببطن عرنة فيقيموا فيها إلى الزوال ثم يسيروا منها إلى بطن الوادى وهو الذى صلى النبى ﷺ فيه الظهر والعصر قصرا وجمعا وخطب ، فيصليها الحجاج كذلك ، ويخطب بهم الامام . وهناك مسجد يقال له مسجد ابراهيم بنى فى أول دولة بنى العباس ، ثم يذهبون إلى عرفات . والعدول عن هذه الطريق الى طريق المأزم ودخول عرفة قبل الزوال كلاهما مخالف للسنة ، ولكن لا يجب به شىء لأنه ليس تركا لشىء من واجبات الاحرام .

ويقفون بعرفات إلى غروب الشمس فاذا غربت خرجوا من بين العلمين أو من جانبيهما ، ويجتهد الحاج فى الذكر والدعاء فى هذه العشية فهى افضل الاوقات وأرجاها للمغفرة والرحمة ، ولم يعين النبى ﷺ لعرفة دعاء ولا ذكرا فيجتهد كل انسان فى ذلك بقدر معرفته فيهلل ويكبر ويدعو ما شاء الله من الادعية الشرعية . ويسن الغسل يوم عرفة ولا يسن الصعود الى الجبل الذى هناك ويسمى جبل الرحمة ولا دخول القبة التى فوقه ويقال لها قبة آدم ولا الصلاة فيها ، والسنة ان يفيضوا من عرفات عند الخروج على طريق المأزمين فان النبى ﷺ خرج منها على هذا الطريق لأنه دخلها عن طريق ضب . فسنته فى المناسك كسنته فى الاعمال والمواسم إذا جاء من طريق رجع من أخرى كما كان يدخل المسجد من باب بنى شيبة ويخرج بعد الوداع من باب حزورة

ويكفى الوقوف بعرفة لحظة من اليوم التاسع وليلة العاشر ، ولو فاتك الوقوف فقد فاتك الحج من عامك فتحلل بعمرة وعليك قضاؤه فى العام القادم ولو كان حجك نفلا . ويسن الجمع وتقديم العصر مع الظهر مع الامام بعرفة

فاذا افاض الامام أو نائبه من عرفة فانفر معه الى المزدلفة ، وان كنت مالكيا فحسبك من اقامتك بها مقدار ما تجمع فيه جمارك وهى تسع وأربعون حصاة فى حجم الفولة تقريبا . وان كنت شافعيا فحسبك الاقامة فيها جزءا من نصف الليل الثانى . وان كنت حنفيا فبت بها وانزل بعد صلاة الصبح الى منى وارم جمرة العقبة بسبع حصيات تقول فى اثنائها : بسم الله والله أكبر رجما للشيطان وحزبه . اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك وخليلك عليهما الصلاة والسلام . ثم اذبح ان كان عليك هدى . ثم احلق أو قصر وقل : الحمد لله الذى قضى عنى نسكى . اللهم زدنى ايمانا ويقينا . وهنالك يحل لك ما حرم عليك فى الاحرام الا النساء والطيب . وفى اليوم الثانى ارم جمرة العقبة ثم ارم الجمرة الثانية ثم الثالثة بسبع حصيات فى كل جمرة وكذلك تفعل فى اليوم الثالث ، ثم انزل الى مكة وطف طواف الافاضة ، ومن الناس من ينزل فى عاشر ذى الحجة الى مكة . حتى إذا طاف طواف الافاضة وسعى إن كان عليه سعى ، عاد من يومه الى منى ونزل منها الى مكة بعد زوال اليوم الثالث عشر ، وبهذا ينتهى الحج

المبيت بمزدلفة
ورمى الجمار

يسن المبيت بمزدلفة بعد عرفة فهى المشعر الحرام الذى قال الله فيه ﴿ فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ . والوقوف عند جبل قزح أفضل . ثم يفيضون من المزدلفة بعد صلاة الفجر فاذا اتوا منى رموا جمرة العقبة بسبع حصيات ولا يرمون يوم النحر غيرها . وكيفية الرمى ان يستقبل الجمرة بحيث يكون البيت عن يساره ومنى عن يمينه ويرفع يديه بالرمى ويكبر مع كل حصاة . وان شاء قال مع ذلك : اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا . ويستحب تكرار التلبية بين المشاعر كالذهاب من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى . ولم يصح فى السنة التلبية فى عرفة ولا مزدلفة . فاذا شرع فى رمى الجمرة استبدل

التكبير بالتلبية أى جعل التكبير للعيد بدلا من التلبية للحج لانه حينئذ يشرع فى التحلل الذى تنتهى به المناسك ومتى رمى جمرة العقبة نحر هديه ان كان معه هدى ، وكل ما سيق من الانعام من الحل الى الحرم فهو هدى بالاتفاق ، ويسمى اضحية أيضا . واما ما يذبح يوم النحر فى الحل فانه اضحية وليس بهدى ، واما ما يشترى فى منى أو غيرها من أرض الحرم ويذبح فيها فهو ليس بهدى عند المالكية وعند الائمة الثلاثة يسمى هديا . ويقول عند نحر الابل وذبح غيرها : بسم الله والله أكبر . اللهم منك ولك . اللهم تقبل منى كما تقبلت من ابراهيم خليلك .

الحلق والتقصير : بعد رمى جمرة العقبة يحلق الرجل شعر رأسه أو يقصره بان يقص منه مقدار الانملة أو أقل أو أكثر . وتقص المرأة ولا تحلق ولا تزيد على قدر الانملة . والحلق أو التقصير ركن من أركان الحج لا يتم الا به فى مذهب الشافعى ، وعند الجمهور واجب لا ركن ، وبالحلق والتقصير يكون التحلل الاول من الاحرام فيحل به للمحرم ما كان محرما عليه فى الاحرام الا النساء .

وبعد هذا يأتى الحاج مكة فيطوف طواف الافاضة كما تقدم ، فاذا طاف هذا الطواف حل له كل شىء مما ذكر حتى النساء .

ثم يرجع الى منى فيرمى بقية الجمرات ، والافضل ان يرميها فى أيام التشريق الثلاثة وله أن يرميها فى يومين لقوله تعالى ﴿ واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى ﴾

ويكون رمى الجمار بعد الزوال ، وأن يبدأ بالأولى وأن يكبر مع كل حصاة ويدعو فيطيل الدعاء ، واذا قال فى دعائه اللهم اجعله حجا مبروراً وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا فهو حسن .

طواف الوداع

تقدم حكمه . وينبغى أن يكون هذا الطواف آخر عهد حجاج الآفاق بمكة ليكون مسك الختام .

محرمات الاحرام

يحرم على المحرم لبس المخيط وتغطية الرأس وازالة شعره بنتف أو حلق فان فعل شيئا من ذلك متعمدا أو ناسيا فعليه الفدية (بذبح شاة) الا إذا كان الشعر الذى ازيل منه يسيراً فعليه أن يتصدق بحفنة من بر ، ويحرم عليه أيضا تقليم أظافره وعليه الفدية ان فعل . الا إذا كان ظفرا أو ظفرين فعليه أن يتصدق بمد أو مدين ، ويحرم عليه الطيب فى بدنه أو ثوبه أو فراشه أو اكله أو شربه ، ويجب عليه به الفدية . ويحرم عليه صيد الحيوان أو قتله أو تنفيره أو ازعاجه ، كما يحرم عليه قطع حشيش الحرم وشجره وعليه به دم ، ويحرم عليه الجماع وبه يفسد الحج .

واذا فات الحاج شىء من أركان الحج أو العمرة أو شروطهما ـ سهوا أو عمدا ـ بطل حجه وعمرته . وان فاته شىء من الواجبات وجب عليه دم لكل واجب تركه ، وذلك بأن يذبح شاة فى الحرم ، فان عجز عن الذبح صام ثلاثة أيام فى الحج من وقت احرامه الى يوم النحر وسبعة إذا رجع الى بلده . هذا إذا كان ترك شيئا منها قبل الوقوف بعرفة ، أما ان تركه بعده فله صوم العشرة الايام بعد عودته الى وطنه ، وان فاته شىء من السنن أو المندوبات فعليه أن يتصدق .

ملاحظة

الركن : مالا يتحقق الشىء إلا به كالقيام والنية فى الصلاة

الواجب : ما ثبت وجوده لدليل فيه ظنى

المندوب : ما فعل عن طريق الندب والاستحسان دون الحتم ، وفعله أولى من تركه

الشرط : هو ما يتوقف وجود المشروط على وجوده كالطهارة للصلاة وهو أمر خارج عن المشروط

جدول مناسك الحج على المذاهب الاربعة

	الحنفى	الشافعى	المالكى	الحنبلى
الاحرام للعمرة	ركن	ركن	ركن	شرط (١)
طواف العمرة	»	»	»	ركن
السعى فى العمرة	»	»	»	واجب
الاحرام للحج وهو نية الدخول فيه	»	»	»	شرط
التلبية مع الاحرام واعادتها بعد السعى	سنة	سنة	واجب	سنة
الاحرام من الميقات	واجب	واجب	»	واجب
طواف القدوم	سنة	سنة	»	سنة
البدء بالحجر فى الطواف	شرط	شرط	»	واجب
ستر العورة فى الطواف	»	»	شرط	»
الطهارة فى الطواف من الحدثين	»	»	»	»
ركعتا الطواف	سنة	سنة	واجب	»
وقوع السعى بعد الطواف	شرط	شرط	»	شرط
عدم الفصل بين السعى والطواف	سنة	سنة	»	سنة
البدء فى السعى من الصفا	شرط	شرط	شرط	واجب
المشى فى الطواف والسعى مع القدرة	سنة	سنة	واجب	»
موالاة الاشواط فى الطواف والسعى	شرط	»	»	سنة
الوقوف بعرفة نهارا	ركن	ركن	»	ركن
» » ليلا	واجب	واجب	ركن	واجب

(١) وقيل انه ركن

تابع جدول مناسك الحج

مناسك الحج	الحنفى	الشافعى	المالكى	الحنبلى
الدفع من عرفة مع الامام (النفرة)	سنة	سنة	واجب	واجب
الوقوف بمزدلفة	واجب	واجب	«	«
تأخير جمع المغرب والعشاء بمزدلفة	سنة	سنة	سنة	«
المبيت بمنى ليالى أيام التشريق	واجب	واجب	واجب	سنة
رمى الجمار	«	«	«	واجب
عدم تأخير الرمى الى الليل	سنة	سنة	«	سنة
الحلق أو التقصير	واجب	ركن	«	واجب
الترتيب بين الرمى والذبح والحلق	سنة	سنة	سنة	«
الحلق بالحرم وتوقيته بايام النحر	«	«	«	«
طواف الافاضة	ركن	ركن	ركن	ركن
« السبعة الأشواط	شرط	شرط	شرط	واجب (١)
الطواف من وراء الحجر والشاذروان	«	«	«	«
تأخير طواف الافاضة عن الرمى	سنة	سنة	واجب	سنة
فعل طواف الافاضة فى ايام النحر	سنة	سنة	« (٢)	واجب
السعى فى الحج	ركن	ركن	ركن	«
طواف الوداع	واجب	واجب	مندوب	«

خاتمة

هذا ما استطعنا جمعه بعد التمحيص والتدقيق من فروض الحج وسننه وشروح العلماء الصالحين والفقهاء المبرزين ، فان كنا وفقنا إلى الصواب فذلك فضل الله وهدايته وان فاتنا شيء فنرجو العفو والمغفرة من الله . والله نسأل الهداية والتوفيق والرضاء .

(١) الركن عنده أربعة اشواط فقط (٢) الى آخر شهر ذى الحجة

القدر

القَـدَر شغل الناس الشاغل لنفوسهم المحرج لهم تارة والمفرج لهم تارة أخرى اذا ما أزمواكانت الاقدار موضع سخط الساخطين . وهدف الصاخبين . وحجة العاجزين وسخرية الساخرين .

القدر لا يذكر غالبا الا فى حالة نزول البلاء . وحلول الشقاء . وتغيير الحال من نعماء الى ضراء .

القـدر أكثر الاشياء ذكراً . وأقلها فهما . وأكبرها وضوحاً وأشدها خفاءً وأعصاها اتّباعا .

القدر ميزان الله الاكبر الدال على واسع علمه وعظم سلطـانه وقدرته البـالغة ورحمته الشاملة وعدله الكامل .

القدر معناه أن الله عز وجل لا تصدر عنه أعمال الا بحساب دقيق ونظـام محكم وسير معروف أوله ، معلوم نهايته .

الله تعـالت عظمته لم يخلق الاشياء جزافا واعتباطا . ولم يدعهـا هملا وفوضى بل قـدر كل شىء تقديراً قال تعـالى : ﴿ وخلق كل شىء فقدره تقديرا [١] ﴾ وقـال أيضا : ﴿ إنّا كل شىء خلقناه بقدر [٢] ﴾ وقال أيضا : ﴿ وانْ من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزّله الا بقدر معلوم [٣] ﴾ .

وان اختلاف الناس فى الحجم واللون وتفاوتهم فى العقول والافهام والنفوس وتنوع أعمالهم وغاياتهم ومقاصدهم كل ذلك يدعو الى اختلافهم فى الارزاق والمعيشة وفى اليسار والاقتار والصحة والمرض. هذا الاختلاف هو مثار الشك والنقمة للناقين كما أنه موضع الرضى للمؤمنين العارفين .

فالعـالم الذى نعيش فيـه له نظـام محكم غاية فى الدقة يخضع لسلطان الله القاهر

---

(١) سورة الفرقان (٢) سورة القمر (٣) سورة الحجر

العادل فنحن نرى أكبر الافلاك جرما ومشاهدة وهى الشمس خاضعة لسير معين دقيق تظهر وتغرب فى أوقات معينة تعد بالثوانى بل بما هو أقل من ذلك وكذلك القمر . وعلى مثل هذا النظام تسير الافلاك الاخرى التى لم تشاهدها العين الباصرة وهى أكبر من الافلاك الدنيوية بكثير .

والانسان وهو أحد العوالم لهذا العالم يسير بنظام محكم دقيق وله خط سير معين لابد من أن يسلكه .

فالانسان قبل أن يُولد قـدر له رزقه وأجله وعمله . هذا هو خط السير للانسان يعتبر كدار الأفلاك بالنسبة للكواكب ، وكما لهذه بروج تنزل فيها فكذلك الانسان بروج ، وهى كثيرة نذكر منها الصحة والمرض واليسار والاقتار ، والمنع والعطاء والرفعة والضعة والظهور والخمول والسعادة والشقاء ثم الموت والحياة . وهذه المقادير تجرى على كافة الخلق ملوكا وصعاليك علماء وجهلاء أغنياء وفقراء أفراداً وشعوباً . وهذه موضع امتحان الانسان لأن فى هذه المنازل التى ينزلها يعرف المرء نفسه ومبلغ قوة إيمانه أو ضعفه .

قال تعالى ﴿ تبارك الذى بيده الملك وَهُوَ على كل شىء قديرٌ ، الذى خلق الموتَ والحياة ليبلوَكم (يختبركم) أيُّكمْ أحسنُ عملا (١) ﴾ .

فى هذه المنازل التى ينزلها الانسان فى الحياة الدنيا قد تطيش الافهام عند ما تصادف ما لا تهوى وغير ما تحب ، فترمى القدر بوابل من السباب وتثير زوابع من الغضب والسخط فى النفس ، وهذا دليل العجز وسقم الفهم وان الانسان لم يفهم الحياة على وجهها الصحيح . وكثيراً ما يتبين للانسان أن فيما يكره خيراً كثيراً كما أن فيما يحب شراً مستطيراً .

واجب على كل من يريد أن يعيش عيشة راضية هنيئة فى هذه الحياة القصيرة الأجل أن يعرف أن الله عز وجل ما خلقه إلا لعبادته والعمل بأوامره ونهيه ، وهذه العبادة تتضمن عمله والاخلاص فيه وأداءه حسب جهد المستطاع قال تعالى ﴿ وما

---

(١) سورة الملك

خَلقتُ الجنَّ والانس إلا ليعبُدون ، ما أريدُ منهم من رزق وما أريدُ أن يُطعمون ، إنّ الله هو الرزاقُ ذو القوة المتين (١) » وقال تعالى « قل انّ صلاتى ونُسكى ومحياىَ ومماتى لله ربّ العالمين (٢) » وان من تكاليف العبادة الشكر على النعماء ، والصبر على البلاء ، والرضاء بالقضاء .

حكى فى زمان النبوة الأولى أن بعض من يوحى اليه من المتقدمين فكر فى أمر التكليف والبلوى ولم يتجه له وجه الحكمة فى ذلك وقد أمره الله بالتفكر فى عبادته . فأخذ يناجى ربه فى خلوته بسره ولسانه فقال يا رب خلقتنى ولم تستأمرنى ثم تميتنى ولا تستشيرنى ، وأمرتنى ونهيتنى ولم تخيّرنى ، وسلطت علىّ هوى مرديا ، وشيطانا مُغويا ، وركبت فى نفسى شهوات مركوزة . وجعلت بين عينى دنيا مزينة ثم خوفتنى وزجرتنى بوعيد وتهديد ، وقلت استقم كما أمرت ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيلى ، واحذر الشيطان أن يقربك والدنيا أن تغرك ، وتجنب شهواتك لئلاّ ترديك ، وآمالك وأمانيك ألا تلهيك ، وأوصيك بأبناء جنسك فدارهم ، ومعيشتك فاطلبها من وجه حلال فانك مسئول عنها ان لم تطلبها ومسئول عنها ان طلبتها من غير وجهها ، ولا تنس الآخرة كما لم تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، ولا تعرض عن الآخرة فتخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

فقد حصلتُ يارب بين أمور متضادة وقوى متجاذبة وأحوال متقابلة فلا أدرى كيف أعمل ؟ ! ولا أهتدى أى شىء أصنع ؟ وقد تحيرت فى أمورى ! ! وضللت عن حلتى ، فأدركنى يا رب وخذ بيدى ودلنى على سبيل نجاتى وإلا هلكت . ! !

فأوحى الله عز وجل اليه يا عبدى ما أمرتك بشىء تعاوننى فيه . ولا نهيتك عن شىء كان يضرنى ان فعلته . بل انما أمرتك لتعلم أن لك رباً وإلها هو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشيك وحافظك ، وصاحبك وناصرك ومعينك ، ولتعلم بأنك محتاج فى جميع ما أمرتك الى معاونتى وتوبتى وهدايتى وتيسيرى وعنايتى ولتعلم أيضاً

---

(١) سورة الذاريات . (٢) سورة الانعام .

بأنك محتاج فى جميع ما نهيتك عنه الى عصمتى وحفظى ورعايتى . وانك الىّ محتاج فى جميع تصرفاتك وأحوالك فى جميع أوقاتك من أمور دنياك وآخرتك ليلا ونهارا، وانه لا يخفى علىّ من أمورك صغير ولا كبير سرآ وعلانية . وليتبين لك وتعرف انك مفتقر ومحتاج الى ولا بد منى . فعند ذلك لا تعرض عنى ولا تتشاغل عنى ولا تنسانى ولا تشتغل بغيرى . بل تكون فى دائم الاوقات فى ذكرى وفى جميع أحوالك وجميع حوائجك تسألنى . وفى جميع تصرفاتك تخاطبنى . وفى جميع خلواتك تناجينى . وتشاهدنى وتراقبنى وتكون منقطعاً الىّ من جميع خلق ومتصلا بى دونهم . وتعلم أنى معك حيث ما تكون أراك ولم ترنى . فاذا أردت هذه كلها وتيقنت وبان لك حقيقة ما قلتُ وصحة ما وصفتُ تركت كل شىء وراءك واتصلت بى وحدك فعند ذلك أقربك منى وأوصلك الىّ وأرفعك عندى . وتكون من أوليائى وأصفيائى وأهل جنتى فى جوارى مع ملائكتى مكرما مفضلا مسروراً فرحاً منعما ملذذا آمنا مبقى سرمداً أبدا دائما .

فلا تظن بى يا عبدى ظن السوء ولا تتوهم على غير ما يقتضيه كرمى وجودى . واذكر سالف أنعامى عليك . وقديم احسانى اليك . وجميل آلائى لديك . اذ خلقتك ولم تك شيئاً مذكوراً خلقاً سوياً . وجعلت لك سمعا لطيفا وبصراً حاداً وحواس دراكة . وقلبا ذكيا . وفهما ثاقبا . وذهنا صافيا . وفكرا لطيفا . ولسانا فصيحا . وعقلا رصينا وبنية تامة . وصورة حسنة وأعضاء صحيحة . وأدوات كاملة وجوارح طائعة ثم ألهمتك الكلام والمقال وعرفتك المنافع والمضار وكيفية التصرف فى الافعال . والصنائع والاعمال . وكشفت الحجب عن بصرك وفتحت عينيك لتنظر الى ملكوتى ، وترى مجارى الليل والنهار والافلاك الدوارة ، والكواكب السيارة ، وعلمتك حساب الاوقات والازمان والشهور والاعوام والايام ، وسخرت لك ما فى البر والبحر من المعادن والنباتات والحيوان تتصرف فيها تصرف الملاك وتتحكم فيها تحكم الارباب .

فلما رأيتك متعديا جائرا باغيا خائنا ظالما طاغيا متجاوزا الحدود والمقدار . عرفتك الحدود والاحكام ، والمقياس والمقدار ، والانصاف والحق والصواب والخير

والمعروف والسيرة العادلة ، ليدوم لك الفضل والنعم ويصرف عنك العذاب والنقم [١]

لما نزلت الآية الكريمة ﴿ فمنهم شقى وسعيد ﴾ قال عمر : يا نبى الله علام نعمل ؟ على أمر فرغ منه أو لم يفرغ منه ؟ قال لا ، على أمر قد فرغ منه قد جرت به الاقلام ولكن كل ميسر لما خلق له ﴿ أما من أعطى واتقى ٥ وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ٥ وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى [٢] ﴾ وقد اتفقت الاحاديث على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه ، بل يوجب الجد والاجتهاد ، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال ما كنت أشد اجتهاداً منى حتى الآن . وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة افهامهم وصحة علومهم فان النبى ﷺ أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب فان العبد ، ينال ما قدر له بالسبب الذى أقدر عليه ومُكن منه وهيء له ، فاذا اتى بالسبب أوصله الى القدر الذى سبق له فى أم الكتاب ، وكلما زاد اجتهاداً فى تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى اليه ، وهذا كما اذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه فانه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه . وإذا قدر له أن يرزق الولد لم ينل ذلك إلا بالنكاح . وقد فطر الله سبحانه وتعالى عباده على الحرص على الاسباب التى بها قوام معاشهم ومصالحهم الدنيوية بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات ، فكذا الأسباب التى بها مصالحهم الاخروية فى معادهم فانه سبحانه رب الدنيا والآخرة وهو الحكيم بما نصبه من الاسباب فى المعاش والمعاد ، وقد يسر كلاً من خلقه لما خلقه له فى الدنيا والآخرة فهو مهيأ له ميسر له [٣] .

رمت طائفة من الافرنجة الملحدين الاسلام بالوهن والضعف لأن المسلمين اتكلوا على القدر فقادهم الى الكسل والخمول فالضعف فالاستعباد والذل . وأن صلاحهم لا يأتى إلا عن تركهم إيمانهم بالقدر أى تركهم لدينهم ! !

وقد وهم القائلون فيما ادعوا ، وأرجف الملحدون فيما زعموا . لأن مسألة القدر

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربى . الجزء الرابع (٢) سورة الليل .

(٣) كتاب شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر وحكمة التنزيل لابن قيم الجوزية (ص ٢٥) .

على وجهها الصحيح من أكبر مفاخر الدين الاسلامى ، وقد وضع حداً لمشكلة الفوضى الفكرية والفلسفة الجامحة والنظريات الطائشة . فالدين الاسلامى بما أبانه فى تعاليمه فى القدر يقول لنا فى إيجاز وحسن بيان وفى برهان واضح :

(١) ان هذا العالم لم يخلق عبثاً بل وفق برنامج محكم الوضع حسن الصنع، وأن خالق الكون أحاط علمه بما فى السماوات والارض ودوّن ذلك فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها قال تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ، ان ذلك فى كتاب ، إن ذلك على الله يسير(١) ﴾

(٢) جعل العمل فريضة لازمة على الانسان وأنه مجزىّ بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر فقال تعالى ﴿ وأنْ ليْسَ للإنسانِ إلاّ ما سَعىَ وأنَّ سَعْيَهُ سوف يُرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى(٢) ﴾ ، ﴿ ومن يعمل مثقال ذرةٍ خيرا يَرَهُ ومن يعمل مثقال ذرَّةٍ شراً يره(٣) ﴾

(٣) جعل السعادة والعزة والامن لمن آمن وعمل صالحاً فقال تعالى : ﴿ فمن آمن وأصْلح فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون(٤) ﴾

(٤) جعل سيادة الامة رهن أعمالها ، والقيام بكافة وسائل الاصلاح التى يتطلبها الزمان والمكان قال تعالى : ﴿ ولقد كَتَبْنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادِيَ الصالحون ، إن فى هذا لبلاغاً لقومٍ عابدين ﴾ فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص بزبور داود ، والذكر أم الكتاب الذى عند الله ، والارض الدنيا والصالحون الذين يقومون بما فرضه الله عليهم من صحيح الايمان وصالح الاعمال لمعاشهم ومعادهم وما تقتضيه ظروف الزمان والمكان .

(٥) أعلم الله تعالى الانسان بأن عليه رقابة شديدة وأن كافة أقواله وأعماله محصاة عليه مجزىٌ بها حتى يكون على بينة من أمره فقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلمُ ما توَسْوِس به نفسه ونحن أقربُ اليه من حبل الوَرِيد ◦ إذ يتلق المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ◦ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد(٥) ﴾

---

(١) سورة الحج (٢) سورة النجم (٣) سورة الزلزال (٤) سورة الانعام (٥) سورة ق

(حاضر) أى مع الانسان حفظة من الملائكة تدوّن كل أعماله وأقواله

فهل أتى العلم الحديث والفلسفة الحديثة بمبادىء أوفى من هذه لرقى الامة ، وسعادة الافراد ؟ ! ألم يكن نظام المدنية الغربية قائما على هذه المبادىء فى معاملها ومتاجرها ومزارعها الخ .

نقرأ القرآن من أوله الى آخره ونعيده تكراراً ومراراً فلا نرى آية تدعو الى الايمان من غير أن تقرر أن شرط صحة الايمان القيام بصالح الأعمال . فلا إيمان لمن ترك العمل ، ولا سعادة لمن أخلد إلى الكسل . وهذا هو نظام القدر الذى أبان فى وضوح أن لهذا الكون نظما دقيقة يجب أن نفهمها على وجهها الصحيح ، ونسير وفق ما يطلبه منا خالقنا وبارئنا عز وجل .

وان سبب تدهور المسلمين وانحطاطهم ليس اتكالهم على القضاء والقدر كما يقولون وإنما عدم فهمهم لهذه المسألة ، وجهلهم بأوامر قرآنهم ، وخلودهم الى شهواتهم وملذاتهم لجرى عليهم القدر بما أعده لمن حاد عن سننه من سوء الحال . لأن قوانين الله خالدة ثابتة من عرفها وتبعها فاز وسعد ومن حاد عنها ضل وشقى ، ولا عبرة بالأسماء والألقاب فالمسلمون يحملون اسم الاسلام ولا يعملون بأوامره ولا ينتهون بنواهيه لجزاهم الله تعالى جزاء العاصين الناكبين عن طريقه المستقيم .

النزاع القائم بين الانسان والقدر ناشىء عن عدم رضائه بما قسم له ، وهذا النزاع يفسد على الانسان معاشه ويجعله فى خصومة دائمة مع ربه ومع الناس .

هذا النزاع يزيده الاستسلام الى الشهوة الجامحة والمطامع الطائشة . وليس هناك من دواء ناجع إلا أن يروض الانسان نفسه على الرضاء بالمقدور والعمل فى غير يأس ولا قنوط فى تهذيب نفسه والعمل فى جد واستمرار للأخذ بالأحسن حتى يرقى ويسعد وسنة التبديل والتغيير هى من نظام القدر وهذا مما يجعل الانسان غير قانط ولا يائس ما دام يسلك الطريق المستقيم .

علم الله تعالى بما تفعل وستفعل لا يخليك عن المسئولية ، ولا يجبرك على ما أنت فاعل

يقول كثير من الناس اذا كان الله يعلم ما نحن عليه قادمون وفاعلون ، ففيم الجزاء ، وفيم العقوبة ؟ ولنختصر الطريق بضرب المثل الآتى : لك خادم ضعيف فى خلقه

وأنت تعلم ذلك منه ، ولكنك عرّفته مواضع الضعف ، وأرشدته إلى كل الوسائل التى يحمى بها نفسه ، وقلت له : اننى معك أينما كنت ، أمدّك بعونى إذا طلبته ، وأمرته أنْ يذهب الى السوق ليشترى لك بعض الحاجات ، وفى هـذا السوق كثير من المغريات : المرأة الجميلة الفاتنة ، والمال الكثير ، والسلع الآخذة بالأبصار ، وفيها المحتال والدّجال ، فهل اذا وقع فى شرك هؤلاء ونسى ما أمرته به وأتى ما نهيته عنه تعفيه من العقوبة ؟ ! وهل علمك بما يرتكبه من التحذير والانذار يخليه من تحمل الجزاء الذى أعددته له وأعلمته به ؟ ! وما أنت فاعل معه اذا عصاك وضرب بأوامرك عرض الحائط واستجاب لشهواته مؤثرا إياها على طاعتك : يأكل خيرك ، ويطيع غيرك . تأمره فلا يأتمر ، وتنهاه فيأتى ما نهيته عنه ؟ ! فهل اذا أوقعت عليه العقوبة بعد التحذير والانذار تكون ظالما له ، أم أن العقوبة تكون عدلا وحقا ؟

كان أحـد العلماء فى الأمم الغابرة يروض نفسه بأن علق فى عنقه وصايا إلهية يذكّر بها نفسه بين آونة وأخرى وينزل على حكم ربه . نذكر من هذه الوصايا :

(١) يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحتُ قلبك وبدنك وأنت محمود وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركض فيها ركض الوحش فى البرية ثم وعزتى وجلالى لا تنال منها إلا ما قدرت لك وأنت مذموم

(٢) يا ابن آدم كل يريدك له وأنا أريدك لك وأنت تفر منى

(٣) يا ابن آدم ما تنصفنى ، يا ابن آدم خلقتك من تراب ثم من نطفة ولم يُعيِينى خلقك أفيُعيِينى رغيف أسوقه إليك فى حينه

(٤) يا ابن آدم انى وحقى لك محب فبحقى عليك كن لى محباً

(٥) يا ابن آدم خلقتك من أجلى . وخلقت الاشياء من أجلك . فلا تهتك ما خلقت من أجلى فيما خلقت من أجلك

(٦) يا ابن آدم كما لا أطالبك بعمل غد لا تطالبنى برزق غد

(٧) يا ابن آدم لى عليك فريضة ولك علىّ رزق إن خنتنى فى فريضتى لم أخنك فى رزقك على ما كان منك

(٨) يا ابن آدم لا تخافن فوت الرزق ما دامت خزائنى مملوءة . وخزائنى مملوءة لا تنفد أبداً

(٩) يا ابن آدم لا تخافن من ذى سلطان ما دام سلطانى باقياً . وسلطانى باق لا ينفد أبداً

(١٠) يا ابن آدم لا تأمن مكرى حتى تجوز على الصراط

لو أن الانسان راض نفسه على اتباع أمر ربه وقنع بما قسمه الله له وعمل فى جد وحزم لأداء واجبه على وجهه الأكمل لحال بينه وبين وساوس كثيرة تشغله وتلهيه وكثيراً ما تؤذيه وترديه كما يخفف عنه أزمات كثيرة بينه وبين الناس تذكيها المطامع وتؤجج من نارها الشهوات والنزوات .

وقد أبان رسول الله ﷺ عن نظام القدر ، وكشف عن الطريق الواضحة فيما يجب أن يسلكه الانسان فى حياته ليبقى عزيزاً كريماً . مجداً عاملا . قال ﷺ :

« احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك . وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذى .

وفى رواية أخرى : « احفظ الله تجده أمامك . تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك . وفى آخر : واعلم أن النصر مع الصبر . وأن الفرج مع الكرب . وأن مع العسر يسراً »

روى الامام أحمد بن حنبل فى مسنده : قال النبى ﷺ : « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مسلماً . وأحب لأخيك ما تحبه لنفسك تكن مؤمناً » .

كان القدر موضع فتنة بين المسلمين ، وهو كما قال اللالكائى فى شرح السنة عن الاوزاعى « اول من نطق فى القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهنى وأخذ غيلان عن معبد » .

والقول بالقدر قديم شاع فى أيام الصحابة . قال ابن عباس « لما كثرت القدرية بالبصرة خربت البصرة » . أو لفظ هذا معناه [١] .

وأورد أبو القاسم بن حبيب فى تفسيره بأسناده أن على بن ابى طالب سأله سائل عن القدر فقال : طريق دقيق لا تمش فيه . فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ؟ فقال : بحر عميق لا تخض فيه . فقال : يا أمير المؤمنين اخبرنى عن القـدر . فقال : سر خفى لا تفشه . فقال : يا أمير المؤمنين اخبرنى عن القدر . فقال رضى الله عنه : يا سائل إن الله تعالى خلقك كما يشاء أو كما شئت ؟ فقال : كما شاء . قال إن الله يبعثك يوم القيامة كما شئت أو كما يشاء ؟ فقال كما يشاء . فقال: ياسائل لك مشيئة مع الله أو فوق مشيئته أو دون مشيئته ؟ فان قلت مع مشيئته ادعيت الشرك معه . وان قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته . وان قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته [٢] » .

وخلاصة القول كما جاء عن الكتاب والسنة أن الله تعالى « حكيم عادل لا يجوز أن يضاف اليه شر وظلم . ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ويحكم عليهم ثم يجازيهم عليه . فالعبد هو الفاعل للخير والشر . والايمان والكفر والطاعة والمعصية [٣] » وكل انسان مجزى بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر قال تعالى ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ سورة الزلزال

---

(١) التبصير فى الدين للاسفرايينى ص ٥٨ (٢) عنه ص ٨٥

(٣) الملل والنحل للشهرستانى على هامش كتاب الفصل لابن حزم ص ٥٤

الموت....!

«الموت اول امتحان يؤدى إما الى فرحة باقية، وإما الى حسرة دائمة»

لعل أروع الحوادث فى هذا العالم هو الموت ، ولعل الموت هو أكبر المصائب فى هذه الحياة الدنيا . إذ قد يرجى الشفاء من المرض ، وقد يؤمل فى عودة المسافر الذى طال غيابه ، وقد يصلح المعوج ، وقد يذهب المال ويرجع . ولكن لا يعود الميت الى حياته الدنيا . فالموت فراق لا رجعة فيه ، ووداع لا أوبة بعده ، وبلاء نازل بالأمير والحقير ، والكبير والصغير ، وبالغنى والفقير ، والعالم والجاهل ، ولا مفر منه فقال تعالى ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت (١) ﴾ وقال أيضاً ﴿ قل إن الموت الذى تفرّون منه فانه ملاقيكم ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون(٢) ﴾

وما هو هذا الموت ؟ يقولون انه حالة انتقال . . وفيما هذا الجزع ؟ لان المتوفى لا يعلم مصيره . . !

وفيما هذا الخوف من الموت ؟

لأن الكثيرين قد عمروا دنياهم بفساد آخرتهم فهم يكرهون أن ينتقلوا من العمار الى الخراب

لا شك فى أن الدنيا متصلة بالآخرة وبينهما حجاب مستور . والموت احدى الوسائل للدخول من هذا الباب فاما إلى نعيم مقيم ، أو عذاب مستديم . وذلك حسب عمل الانسان واستعداده وما كان عليه فى الحياة الدنيا . فالموت إن هو الا أن يخلع الانسان ثوبه المادى (الجسم) ويعود الى حالته الاثيرية النورانية . الا أن هذه الحالة الجديدة تكون متأثرة بما فعله الانسان فى الحياة الدنيا : من جميل الافعال وحميد الخصال أو قبيح الاعمال وسوء الاخلاق فيلقى جزاءهما حسب ما قدمت يداه . والله تعالى يصف لنا هذا فى ايجاز وحسن بيان قال جل شأنه :

---

(١) سورة النساء (٢) سورة الجمعة

﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ۞ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ۞ ...... فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ۞ انما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بهـا خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ۞ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ۞ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ۞ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ۞ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ۞ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ۞ ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ۞ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها. إنا من المجرمين منتقمون [1] ﴾

ومثل الموت والعذاب والنعيم ، مثل السلطان الذى أرسل طالبـين الى أوربا ليتعلما ويحصلا على الدرجات العلمية المطلوبة وهما تحت رقابة شديدة لايعلمانها . فأما أحدهما فقد ألهته مباهج المدنية وزخرفها فانصرف الى الاستمتاع بها ، وغفل عن مهمته الأصيلة وهى الكد والتحصيل وإرضاء مليكه عليه ، وسار سيراً معوجـاً فلا يأبه بوعد أو وعيد ، وبينما هو غارق فى هذه الحـالة السوءى ونسى مولاه وأوامره ونواهيه إذا برسول السلطان يضع يديه على كتفيه ويقول له أنت طلبة الملك ! وأد ما عليك وقدم حسابك فى أداء مهمتك ؟!

فكيف يكون حال هذا الطالب ؟!

وكيف يكون قدومه على مولاه وهو لم يعمل بما أمر به ، وصحيفته مملوءة بالآثام والأوزار ؟!

لا شك فى أن مثل هذا الطالب اللاهى الساهى لا يريد الرجوع الى سلطانه ، ولا يريد أن يلقى مولاه وهو بهذه الحالة المزرية المعيبة !!

---

(١) سورة السجدة

فاذا ما وقف بين يدى مولاه كان العقاب نصيبه ، والعذاب مآله . وأما الطالب الآخر فقد جد واجتهد ولم تشغله الملاذ ولم ينصرف الى الشهوات بل وصل ليله بنهاره فى التحصيل وانجاز المهمة التى حضر من أجلها ، وهو دائم لذكر مولاه متتبعا أوامره منتهياً عن نواهيه . وبينما هو على هذه الحالة إذا برسول السلطان يقول له فى رفق وهوادة هلم الى ملاقاة مليكك فهو فى شوق اليك كما كنت مشتاقا اليه . وهو يريد أن يجزيك الجزاء الأوفى على ما قدمته من حسن العمل والمواظبة على طاعته ! !

لا شك أن مثل هذا الطالب يكون فرحا مسروراً مبتهجا بلقاء مولاه يحاسب فى يسر ، وينعم بأجر المجتهدين المخلصين ، ويكون عند سيده من الأبرار المقربين الذين ينعمون بالنعيم المقيم

فالدنيا مزرعة الآخرة . فن جد وجد ومن زرع حصد . ومن غرس وأحسن الغرس جنى شهى الثمر . ومن أهمل وتوانى أضاع نفسه . ومن بذر الاهمال لا يجنى إلا الخيبة والفشل ، ولاقى الموت وهو فى أشد حالات الفزع ونزل به ريب المنون وهو فى غاية الجزع ، فلا خل يدفع عنه ولا صاحب يواسيه ، ولا ولد يفاديه ولا والد يحميه

فالموت آخر مراحل الدنيا وأول درجات الآخرة . مثله كمثل ربان السفينة ينقل الناس من شاطىء الى شاطىء ومن مملكة الى مملكة ومن قارة الى قارة ومن عالم الى عالم آخر والكل حلقات متصل بعضها ببعض والكل مجموع ليوم لا ريب فيه ذلك يوم البعث ، قال تعالى :

﴿ كل نفس ذائقةُ الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ (١)

﴿ الذى خلق الموتَ والحياة ليبلوكمْ أيُّكم أحسَنُ عَمَلاً وهو العزيز الغفور (٢) ﴾

أخرج ابن ماجه والبيهق عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : تحضر الملائكة (عند المحتضر) فاذا كان الرجل صالحاً قال (ملك الموت) : اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب . اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض

---

(١) سورة الانبياء (٢) سورة الملك

غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان ابن فلان . فيقال مرحباً بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى الى السماء السابعة . فاذا كان الرجل السوء قال اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث . اخرجى ذميمة . وابشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج . فلا يزال يقال لها حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء . فيستفتح لها . فيقال من هذا ؟ ؟ فيقال : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث . ارجعى ذميمة فانها لا تفتح أبواب السماء . فترسل من السماء ثم تصير الى القبر

لو علم الانسان أن هذه الحياة الدنيا فيها الرقابة الدقيقة على حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله لكان له مسلك آخر . إلا أنه غفل وانحدر فى شهواته فطمست بصيرته وما أغنى عنه بصره ولا سمعه ولا فؤاده

ملائكة تحصى على الانسان الصغيرة والكبيرة وجوارح تشهد على ما فعلت وجو يرصد حركات الانسان وأفعاله وألفاظه وأقواله . ورب عليم قدير بصير يرقب كل ذلك عن كثب ولا تخفى عليه خافية . لقد أحيط بالانسان من كل مكان وفى كل زمان . فاين المفر

اقرأ كلام الله عز وجل وهو يحدث عن عجيب صنعه . وكامل قدرته . وجبروت عزته قال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ۝ إذ يتَلقَّى المتلقيانِ عن اليمين وعن الشمال قعيد (اى عن يمينه وشماله ملائكة تكتب) ۝ مَا يَلفِظُ من قولٍ إلاَّ لديهِ رقيب عتيد (حاضر) ۝ وجاءت سكرةُ الموت بالحق ذلك ما كنت منه تَحيد ۝ ونُفخَ فى الصور ذلك يوم الوعيد ۝ وجاءت كل نفس معها سائقٌ وشهيدٌ ۝ لقد كنتَ فى غفلة من هذا فكشفنا عنكَ غطاءكَ فبصرُكَ اليومَ حديد ۝ وقال قرينه هذا ما لدىَّ عتيدٌ ۝ ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد ۝ مناع للخير معتد مريب ۝ . . . وأزلفتِ الجنَّةُ للمتقينِ غير بعيد ۝ هذا

ما توعدون لكل أواب حفيظ ، من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ، ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (١) ﴾ وقال أيضا :

﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (٢) ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون ، حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شىء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم . ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ، وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم اردا كم فأصبحتم من الخاسرين (٣) ﴾

وكما يموت الانسان بمفرده كذلك تموت الجماعات بل والأمم التى انتهى أجلها وقد تؤخذ على غرة بعد إنذار ووعيد . وهذه تكون أمعنت فى الفساد ولجت فى الطغيان ، وأسرفت فى الشهوات ، وعم ظلمها ، وعز اصلاحها وهدايتها . ويكون مصير هذه الجماعات كمصير الأفراد . موت وحساب فعقاب . انظر الى عمل فرعون وجماعته مع موسى عليه السلام وقد قص الله تعالى قصته فى أسلوب طريف حكيم حيث ألزمه الحجة وأقام عليه الدليل . ثم بعد ذلك أخذه وجماعته اخذ عزيز مقتدر فأهلكه ثم قذف به فى النار مع من معه من الأشياع والأتباع والجنود . ولم تغن عنهم أموالهم ولا قوتهم

قال تعالى :

﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ، الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ، فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا فى ضلال . وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد ، وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾

---

(١) سورة ق . (٢) سورة يس (٣) سورة فصلت

﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ، يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا ، قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾

﴿وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ، وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ، ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضلل الله من هو مسرف مرتاب ، الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان آتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾

﴿وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وانى لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب﴾

﴿وقال الذى آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ، ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ، تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ، لا جرم انما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم أصحاب النار ، فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد ، فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون أشد العذاب﴾ سورة غافر

أشد العذاب هو اغراقهم جماعة فى البحر ثم عذابهم فى القبر ثم مصيرهم إلى جهنم جزاء عصيانهم وطغيانهم على أوامر الله تعالى . وعذاب القبر صريح فى الآية التالية . ولا يخلى ضعفاء النفوس من العذاب ضعفهم وتبعيتهم لقوادهم ولزعمائهم فكل

إنسان مجزى بعمله سواء كان هذا العمل من تلقاء نفسه أو فعله تقليداً وطاعة لرئيسه فانه : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » وقد أقام الحجة مؤمن آل فرعون على حاشية فرعون وأتباعه ببراهين دامغة حتى لا يكون لهم عند الله معذرة قال تعالى يصف جزاء عنادهم وظلمهم :

﴿النارُ يعرضونَ عليها غدُواً وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ۝ وإذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل انتم مُغنون عنا نصيبًا من النار ؟ قال الذين استكبروا إنا كلٌّ فيها ان الله قد حكم بين العباد ۝ وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ۝ قالوا ألم تكُ تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ۝ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ۝ يوم لا ينفعُ الظالمين معذرتُهم ولهمُ اللعنة ولهم سوء الدار (١)﴾

روى ابن حاتم عن زهير بن محمد قال قيل : يا رسول الله ملك الموت واحد والزحفان (الجيشان) يلتقيان من المشرق والمغرب وما بين ذلك من السقط والهلاك ؟ فقال : ان الله حوى الدنيا لملك الموت حتى جعلها كالطست بين يدى أحدكم فهل يفوته منها شىء

وروح الانسان بعد خروجها من الجسم تنعم أو تعذب بأعمالها وصفاتها حسب ما كانت عليه فى الدنيا . وهى رهينة بما كسبت حتى يفصل فى أمرها نهائياً يوم القيامة يوم تجمع جميع الخلائق من بدء الدنيا حتى نهايتها

روى البخارى ومسلم عن أنس أن النبى ﷺ وقف على قتلى بدر فقال : يا فلان ويا فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فانى وجدت ما وعدنى ربى حقاً ؟ فقال عمر : يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟

فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا

وأخرج الشيخان (البخارى ومسلم) عن أبى سعيد الخدرى . قال : قال رسول الله ﷺ إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فان كانت صالحة قالت

---

(١) سورة غافر

قدموني . وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلتي أين تذهبون بي . يسمع صوتها كل شيء إلا الانسان . فلو سمعه الانسان لصعق

(وأخرج) ابن أبي الدنيا في القبور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . ما من ميت يوضع على سريره فيخطى به ثلاث خطوات إلا تكلم بكلام يسمعه من شاء إلا الثقلين (الانس والجن) يقول : يا اخوتاه يا حملة نعشاه لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بي . خلفت ما تركت لورثتي والديان يوم القيامة يخاصمني ويحاسبني وأنتم تشيعوني وتدعوني »

وأخرج الشيخان وغيرهما من طريق قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه يسمع قرع نعالهم قال يأتيه ملكان فيقعدان فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل . وعند ابن مردويه ما كنت تقول في هذا الرجل الذي كان بين أظهركم الذي يقال له محمد . قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له انظر الي مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال النبي ﷺ فيراهما جميعا . قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا . وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري ، كنت أقول ما يقوله الناس . فيقال لا دريت ولا تليت . ويضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين

فالموت أول مراحل الآخرة يشهد الانسان ما كان خافيا عليه . من عالم كان يحيط به احاطة السوار بالمعصم . ويرى نتائج أعماله في دنيا لاهية صاخبة اغتر بأمانيها الكاذبة ، ودعاويها الباطلة

فاذا أراد الانسان أن يعرف ماله عند الله ، فلينظر ما لله عنده وعلاقته مع ربه . فعلى هذه العلاقة يكون اللقاء ويكون الحساب . وقد ورد في الحديث المرفوع عن النبي ﷺ : ليس الايمان بالتمني وانما ما وقر في الصدر وصدقه العمل . وان قوماً ألهتهم الأماني وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله . كذبوا . لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل

زيارة المريض

عن البراء بن عازب رضى عنهما قال : أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، وابرار المقسم ، ونصر المظلوم ، وإجابة الداعى ، وافشاء السلام . متفق عليه

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » متفق عليه

وعنه قال رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدنى . قال : يا رب كيف اعودك وأنت رب العالمين . قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده . يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى . قال : يا رب كيف أطعمك وانت رب العالمين . قال أما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى . يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى . قال يا رب كيف أسقيك وانت رب العالمين . قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى » . رواه مسلم

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « عودوا المريض ، واطعموا الجائع ، وفكوا العانى » رواه البخارى . (العانى) : الاسير

ما يقول من ايس من حياته

عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت النبى ﷺ وهو مستند إلى يقول « اللهم اغفر لى ، وارحمنى ، والحقنى بالرفيق الأعلى » رواه البخارى ومسلم

وعنها قالت : رايت رسول الله ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول « اللهم أعنى على غمرات الموت وسكرات الموت » رواه الترمذى

استحباب وصية اهل المريض ومن يخدمه بالاحسان اليه واحتماله الصبر على ما يشق من امره وكذلك الوصية بمن قرب سبب موته بحد أو قصاص ونحوهما

عن عمران بن الحصين رضى الله عنهما أن امرأة من جهينة أتت النبي ﷺ وهى حبلى من الزنا فقالت : يا رسول الله أصبت حداً فاقمه على . فدعا رسول الله ﷺ وليها فقال احسن اليها فإذا وضعت فأتني بها ففعل ، فأمر بها النبي ﷺ فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها . رواه مسلم

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضج ناس من أهله قال « لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » ثم قال « اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له فى قبره ونور له فيه » رواه مسلم

ما يقال عند الميت وما يقوله من مات له ميت

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » قالت فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات . قال « قولى : اللهم اغفر لى وله ، وأعقبنى منه عقبى حسنة » فقلت ، فاعقبنى الله من هو خير لى منه محمد ﷺ . رواه مسلم هكذا : اذا حضرتم المريض -أو الميت- على الشك . ورواه أبو داود وغيره « الميت » بلا شك

وعنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا اليه راجعون ، اللهم آجرنى من مصيبتى واخلف لى خيراً منها ، إلا آجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خيراً منها » قالت فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله ﷺ ، فاخلف الله لى خيراً منه : رسول الله ﷺ . رواه مسلم

وعن ابي موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدى . فيقولون نعم . فيقول قبضتم ثمرة فؤاده . فيقولون نعم . فيقول فماذا قال عبدى . فيقولون حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد » رواه الترمذى وقال حديث حسن

وعن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله تعالى : ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » رواه البخارى

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : ارسلت احدى بنات النبى ﷺ اليه تدعوه وتخبره أن صبيا لها أو ابنا فى الموت ، فقال للرسول « ارجع اليها فأخبرها أن لله تعالى ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده باجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب » وذكر تمام الحديث . رواه البخارى ومسلم

خروج الروح

عن ابي هريرة رضى الله عنه قال إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعد انها . قال حماد رضى الله عنه فذكر لنا من طيب ريحها والمسك ويقول اهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الارض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه . فينطلق به الى ربه عز وجل ثم يقول انطلقوا به الى آخر الأجل قال وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنا ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الارض . قال فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل . قال ورد رسول الله ﷺ ربطة كانت عليه على أنفه هكذا . رواه مسلم .

عن البراء رضى الله عنه قال خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الارض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر (مرتين أو ثلاثا) ثم قال إن المؤمن إذا وضع فى قبره وتولى عنه اصحابه وهو يسمع خفق نعالهم يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الإسلام فيقولان له من هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو

رسول الله ﷺ فيقولان وما يد ريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فذلك قول الله تعالى ﴿ يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ فينادى منادٍ من السماء أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة . قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفتح له فيه مد بصره (يوسع قبره حتى يكون بقدر ما يبصر) . وإن الكافر أو المنافق إذا وضع فى قبره وعادت روحه فى جسده يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هَاهْ هَاهْ لا أدرى (هاه هاه بسكون الهاء فيهما كلمة يقولها المتحير الذى لا يدرى ما يقول) فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى . فيقولان من هذا الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى . قال فينادى مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار . قال فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ثم يقيض له (اى يسخر له من الزبانية) اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح . رواه ابو داود والنسائى .

عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا قبر الميت — أو قال أحدكم — اتاه ملكان اسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله اشهد أن لا إله إلا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله . فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ثم ينور له فيه ويقال له نم فيقول ارجع إلى أهلى فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدرى فيقولون قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها اضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

عن انس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « ما من حافظين — وهما ملكان عن اليمين وعن الشمال يكتبان أعماله — رفعا إلى الله ما حفظا من ليل أو نهار فيجد الله فى اول الصحيفة وفى آخر الصحيفه خيراً إلا قال الله تعالى اشهدكم انى غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة » . رواه الترمذى فى الجنائز .

عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى ﷺ : قال الكيس (العاقل) من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى . رواه الترمذى واحمد والحاكم .

عن ابى سعيد رضى الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناسا كانهم يكتشرون (من الكشر وهو ظهور الاسنان من الضحك) فقال أما إنكم لو اكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وانا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا واهلا أما إن كنت لا حب من يمشى على ظهرى إلى فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب الجنة . وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر فقال له القبر لا مرحبا ولا اهلا أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهرى إلى فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك قال فيلتئم عليه حتى تلتقى عليه وتختلف اضلاعه قال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض قال ويقيض الله له سبعين تنينا (ثعبانا) لو أن واحداً منها نفخ فى الارض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به الى الحساب . قال وقال رسول الله ﷺ إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . رواه الترمذى .

باب تلقين المحتضر لا اله الا الله

عن معاذ رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » . ورواه ابو داود والحاكم وقال صحيح الاسناد (وعن) ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لقنوا موتاكم لا اله الا الله) رواه مسلم

باب ما يقوله الانسان بعد تغميض الميت

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فاغمضه ثم قال ان الروح اذا قبض تبعه البصر . فضج ناس من اهله قال لا تدعوا على انفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون . ثم قال : اللهم اغفر لأبى

سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنـــا وله يا رب العالمين وافسح فى قبره ونور له فيه (رواه مسلم)

باب ما يقال عند الميت وما يقوله من مات له ميت

عن ام سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ اذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون . قالت فلما مات ابو سلمة اتيت النبى ﷺ فقلت يا رسول الله ان ابا سلمة قد مات قال قولى اللهم اغفر لى وله واعقبنى منه عقبى حسنة فقلت فاعقبنى الله من هو خير لى منه محمد ﷺ . رواه مسلم هكذا اذا حضرتم المريض أو الميت على الشك ورواه ابو داود وغيره الميت بلا شك (وعنها) قالت سمعنا رسول الله ﷺ يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره الله تعالى فى مصيبته واخلف له خيرا منها . قالت فلما توفى ابو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله ﷺ فاخلف الله لى خيرا منه رسول الله ﷺ (رواه مسلم) . وعن ابى موسى رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول فماذا قال عبدى فيقولون حمـــدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد . وقال حديث حسن . وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال يقول الله تعالى ما لعبدى المؤمن من جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة . رواه البخارى . وعن اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال ارسلت احدى بنات النبى ﷺ اليه تدعوه وتخبره ان صبيا لها او ابنا فى الموت فقال للرسول ارجع اليها فاخبرها ان لله تعالى ما اخذ وله ما اعطى وكل شىء عنده باجل مسمى فرهـا فلتصبر ولتحتسب وذكر تمام الحديث (متفق عليه)

باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة

أما النياحة فحرام ، وقد تقدم بيان ذلك فى هـــذا الكتاب . واما البــكاء فجاءت احاديث بالنهى عنه وان الميت يعذب لبكاء اهله وهى متأولة محمولة على من أوصى به والنهى انما هو عن البكاء الذى فيه ندب او نياحة والدليل على جواز البكاء

بغير ندب ولا نياحة احاديث كثيرة منها عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وعبد الله ابن مسعود رضى الله عنهم فبكى رسول الله ﷺ فلما راى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال الا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا او يرحم واشار الى لسانه (متفق عليه) . وعن اسامة بن زيد رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ رفع اليه ابن ابنته وهو فى الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد ما هذا يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء . وعن انس رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ دخل على ابنه ابراهيم رضى الله عنه وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف وانت يا رسول الله ؟ فقال يا ابن عوف انها رحمة ثم أتبعها باخرى فقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون رواه البخارى وروى بعضه مسلم والاحاديث فى الباب كثيرة فى الصحيح مشهورة والله اعلم

باب الكف عن ما يرى من الميت من مكروه

عن ابى رافع اسلم مولى رسول الله ﷺ قال من غسل ميتا فكتم عليه غفر الله له اربعين مرة . رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

باب الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من شهد الجنازة حتى يصلى عليه فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قيل مثل الجبلين العظيمين . وعنه ان رسول الله ﷺ قال من اتبع جنازة مسلم ايمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فانه يرجع من الاجر بقيراطين كل قيراط مثل احد ومن صلى عليها ثم رجع قبل ان تدفن فانه يرجع بقيراط (رواه البخارى) وعن ام عطية رضى الله عنها قالت نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا . معناه ولم يشدد فى النهى كما يشدد فى المحرمات

باب استحباب تكثير المصلين على الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثا فاكثر

عن عائشة رضى الله عنها قالت ما من ميت يصلى عليه امة من المسلمين يبلغون

مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه (رواه مسلم) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه (رواه مسلم) وعن مرثد بن عبد الله اليزنى قال كان مالك بن هبيرة رضى الله عنه اذا صلى على الجنازة فتقالّ الناس عليها جزأهم عليها ثلاثة اجزاء ثم قال قال رسول الله ﷺ من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد اوجب . رواه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن

باب ما يقرأ فى صلاة الجنازة

يكبر اربع تكبيرات يتعوذ بعد الأولى ثم يقرأ فاتحة الكتاب ثم يكبر الثانية ثم يصلى على النبى ﷺ فيقول : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد . والافضل ان يتممه بقول كما صليت على ابراهيم الى قوله حميد مجيد . ولا يقول ما يفعله كثير من العوام من قراءتهم ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية فانه لا تصح صلاته اذا اقتصر عليه ثم يكبر الثالثة ويدعو للميت وللمسلمين ثم يكبر الرابعة ويدعو ، ومن احسنه : اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله

والمختار أن يطول الدعاء فى الرابعة خلاف ما يعتاده اكثر الناس لحديث ابن ابى اوفى .

واما الادعية المأثورة بعد التكبيرة الثالثة فمنها عن ابى عبد الرحمن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار ، حتى تمنيت ان اكون انا ذلك الميت (رواه مسلم)

وعن أبى هريرة وابى قتادة وابى ابراهيم الاشهلى عن أبيه وأبوه صحابى رضى الله عنهم عن النبى ﷺ انه صلى على جنازة فقال اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من احييته منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده : رواه الترمذى من رواية ابى هريرة والأشهلى ورواه ابو داود من رواية ابى هريرة وابى قتادة قال

الحاكم حديث ابى هريرة صحيح على شرط البخارى ومسلم قال الترمذى قال البخارى اصح روايات هذا الحديث رواية الاشهلى قال البخارى واصح شىء فى هذا الباب حديث عوف بن مالك . وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء رواه ابو داود وعنه عن النبى ﷺ فى الصلاة على الجنازة اللهم انت ربها وانت خلقتها وانت هديتها للاسلام وانت قبضت روحها وانت اعلم بسرها وعلانيتها وقد جئناك شفعاء له فاغفر له . رواه ابو داود . وعن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان ابن فلان فى ذمتك وصل جوارك فقه فتنة القبر وعذاب النار وانت اهل الوفاء والحمد ، اللهم فاغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم . رواه ابو داود . وعن عبد الله بن ابى اوفى رضى الله عنهما انه كبر على جنازة ابنة له اربع تكبيرات فقام بعد الرابعة كقدر ما بين التكبيرتين يستغفر لها ويدعو ثم قال كان رسول الله ﷺ يصنع هكذا وفى رواية كبر اربعا فمكث ساعة حتى ظننت انه سيكبر خمسا ثم سلم عن يمينه وعن شماله فلما انصرف قلت له ما هذا فقال انى لا ازيدكم على ما رايت رسول الله ﷺ يصنع ، او هكذا صنع رسول الله ﷺ رواه الحاكم وقال حديث صحيح

باب الاسراع بالجنازة

وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال اسرعوا بالجنازة فان تك صالحة فخير تقدمونها اليه وان تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم . متفق عليه . وفى رواية لمسلم فخير تقدمونها عليه . وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان النبى ﷺ يقول اذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت صالحة قالت قدمونى وان كانت غير صالحة قالت لاهلها يا ويلها اين تذهبون بها يسمع صوتها كل شىء الا الانسان ولو سمع الانسان لصعق

باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة الى تجهيزه الا ان يموت فجأة فيترك حتى يتيقن موته

عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه رواه الترمذى وقال حديث حسن . وعن حصين بن وحوح رضى الله عنه

ان طلحة بن البراء بن عازب رضى الله عنهما مرض فاتاه النبي ﷺ يعوده فقال انى لا ارى طلحة الا قد حدث فيه الموت فآذنونى به وعجلوا به فانه لا ينبغى لجيفة مسلم ان تحبس بين ظهرانى أهله . رواه ابوداود .

باب الموعظة عند القبر

عن على رضى الله عنه قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فاتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكث بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة . فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له وذكر تمام الحديث متفق عليه (١)

باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء والاستغفار والقراءة

عن ابى عمرو وقيل ابو عبد الله وقيل ابو ليلى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال كان النبى ﷺ اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لا خيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسال رواه ابو داود . وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال اذا دفنتمونى فاقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم واعلم ماذا اراجع به رسل ربى . رواه مسلم وقد سبق بطوله . قال الشافعى رحمه الله ويستحب ان يقرأ عنده شيء من القرآن وان ختم القرآن كله كان حسنا

باب الصدقة على الميت والدعاء له

قال الله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا قال للنبى ﷺ ان امى افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لها من اجر ان تصدقت عنها قال نعم متفق عليه . وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له رواه مسلم

باب ثناء الناس على الميت

عن انس رضى الله عنه قال مروا بجنازة فاثنوا عليها خيرا فقال النبى ﷺ وجبت ثم مروا باخرى فاثنوا عليها شرا فقال النبى ﷺ وجبت فقال عمر بن

---

(١) كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين تأليف العالم العارف بالله محي الدين ابى زكريا يحيى بن شرف النووى ص ٣٣٣ وما بعدها

الخطاب رضى الله عنه ما وجبت فقال هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم شهداء الله فى الأرض (متفق عليه) . وعن ابى الاسود قال قدمت المدينة فجلست الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمرت بهم جنازة فاثنى على صاحبها خيرا فقال عمر وجبت ثم مر باخرى فاثنى على صاحبها خيرا فقال عمر وجبت ثم مر بالثالثة فاثنى على صاحبها شرا فقال عمر وجبت قال ابو الاسود فقلت وما وجبت يا أمير المؤمنين قال قلت كما قال النبى ﷺ أيما مسلم شهد له اربعة بخير ادخله الله الجنة فقلنا وثلاثة قال وثلاثة فقال واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد . رواه البخارى

باب فضل من مات له اولاد صغار

عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث الا ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم (متفق عليه) . وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار الا تحلة القسم متفق عليه وتحلة القسم : وان منكم الا واردها والورود هو العبور على الصراط وهو جسر منصوب على ظهر جهنم عافانا الله منها . وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جاءت امراة الى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله قال اجتمعن يوم كذا وكذا فاجتمعن فأتاهن النبى ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد الا كانوا لها حجابا من النار ، فقالت امرأة واثنين فقال رسول الله ﷺ واثنين (متفق عليه)

باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم
واظهار الافتقار الى الله تعالى والتحذير من الغفلة

عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال لاصحابه ـ يعنى لما وصلوا الحجر ديار ثمود ـ لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما اصابهم . متفق عليه

وفى رواية قال لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع رسول الله ﷺ راسه واسرع السير حتى اجاز الوادى

ملخص عما يجب نحو المريض والميت

حالة المرض والموت : من السنة عيادة المريض . وتلقين المحتضر الشهادتين وتوجيهه نحو القبلة وتغميضه اذا مات . وقراءة يس عليه . والمبادرة بتجهيزه الا لتجويز حياته والقضاء لدينه وتسجيته . ويجوز تقبيله . وعلى المريض ان يحسن الظن بربه ويتوب اليه ويتخلص من كل ما عليه

الغسل : ويجب غسل الميت المسلم على الاحياء . والقريب اولى بالقريب اذا كان من جنسه واحد الزوجين بالآخر . ويكون الغسل ثلاثا او خمسا او اكثر بماء وسدر وفى الآخرة كافورا وتقدم الميامن . ولا يغسل الشهيد

الكفن ويجب تكفينه (١) بما يستره ولو لم يملك غيره ، ولا بأس بالزيادة مع التمكن من غير مغالاة ، ويكفى الشهيد ملابسه التى قتل فيها وندب تطييب بدن الميت وكفنه

الصلاة على الميت . وتجب الصلاة على الميت . ويقوم الامام حذاء رأس الرجل ووسط المرأة . ويكبر اربعا أو خمسا ويقرأ بعد التكبيرة الاولى الفاتحة وسورة ـ ويدعو بين التكبيرات بالادعية المأثورة . ولا يصلى على الغال وقاتل نفسه والكافر والشهيد . ويصلى على القبر وعلى الغائب

الجنازة : ويكون المشى بالجنازة سريعا . والمشى معها والحمل لها سنة . والمتقدم عليها والمتأخر عنها سواء . ويكره الركوب . ويحرم النعى والنياحة واتباعها بالنار ، وشق الجيب والدعاء بالويل والثبور . ولا يقعد المتبع لها حتى توضع . والقيام مسموح

دفن الميت والقبر . زيارة القبور يجب دفن الميت فى حفرة تمنعه من السباع ولا بأس بالضرح . واللحد اولى . ويدخل الميت من مؤخرة القبر ويوضع على جنبه الايمن مستقبلا . ويستحب حثو التراب من كل من حضر ثلاث حثيات . ولا يرفع القبر زيادة على شبر ـ والزيارة للموتى مشروعة . ويقف الزائر مستقبلا للقبلة . ويحرم اتخاذ القبور مساجد وزخرفتها وتسريجها والقعود عليها . وسب الاموات . والتعزية مشروعة . وكذلك اهداء الطعام لاهل الميت (٢)

(١) الاصل في التكفين التشبه بحال النائم المسجى بثوبه : اكمله فى الرجال ازار وقيص وملحفة او حلة . وفي المرأة هذه مع زيادة ما لانها يناسبها زيادة الستر

(٢) كتاب الدرارى المضية شرح الدرر البهية كلاهما للامام العلامة الفقيه المجتهد محمد بن على الشوكانى قدس الله سره جزء اول ص ٢١٨ وما بعدها الى ٢٢٥

البعث

البعث بعد الموت ، وحياة الآخرة بعد الحيـاة الاولى ، والحساب الذى يلقاه الخارج من دنياه الى آخرته فاما شقاء واما نعيم ، واما جنة واما جحيم . كل هذا موضع الجدل والنزاع بين التصديق والتكذيب ، والاقرار والانكار ، ومن أكبر الفوارق بين المسلمين والكفار .

فأما المنكرون فقد غلبوا على أمرهم . وأضلهم هواهم ، واستسلموا لشهواتهم وأطلقوا لها العنان وقالوا : وما الحياة الدنيا الا أرحام تدفع وأرض تبلع ومـا يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين .

وقبل أن ندلل على صحة البعث يجب أن نبرهن على قدرة الباعث . قال اللورد افـبرى :

هب ان خلقا قُدر لهم أن يولدوا ويعيشوا فى أحشاء الارض على أوفر ما يكون من السعة والبحبوحة والرفاهية فى قصور فخمة حافلة بالنُّصب والتماثيل فى فسيحاتها وعرصاتها ، وبالرسوم والنقوش والزخارف والرياش فى أبهائها وقاعاتها ، وانهم يعلمون ما يعلمون ، ويسمعون بوجود إله خفىّ الأسرار ، عظيم الاقتدار . . . بحين يوم تُزلزلُ الارض زلزالها ، وتخرج أثقالها ، فيُتاح لسكان جوفها أن يظهروا على ظهرها فى بقعة مأهولة معمورة . واذا بهم يشاهدون أرضاً مترامية الاطراف ، وخضمًا متسع النطاق ، وفضاء لا نهاية له ، وغيوما متلبدة ، وسحابا ممطرا ، ورياحا عاصفة ، وبروقاً وامضة ، ورعوداً قاصفة . فتحين منهم التفاتة الى مليكة النهار فيأخذهم سناؤها ، ويذهلهم جمالها ، وترهبهم عظمتها ، طالعة من أفق الشروق ، فصاعدة فى قبة الفضاء ، فمائلة الى أفق الغروب . اذ يعجبون لها ، مصباح واحد ينير الفضاء على اتساعه ثم تنسدل سجوف الظلام وتتراخى عليهم ستائره وحجبه فيعروهم ذهول المنتظر المبهوت الجاهل ما سيكون . واذا بنجوم وأقمار ظاهرة بعد الخفاء ، بادية بعد الاحتجاب ، تطلع وتغيب ، وتسفر وتحتجب ، متنقلة فى أبراجها جادة فى سيرها حسبما تشاء نظاماتهـا ونواميسها الابدية . أقول : لا مراء أنهم يوقنون

لساعتهم بوجود إله ، ويؤمنون وطيداً ، ويعتقدون أكيداً أن ما رأوه انما صنعته يد ذلك الاله الخفى الاسرار ، العظيم الاقتدار ، الذى كان قد أتاهم نبأه من قبل (١) »

لو دقق الانسان النظر فيما حوله لرأى أن الكائنات التى يراها تسير وفق قوانين محكمة ، وقواعد مقررة . فالكون شيء حقيق منتظم خاضع لنواميس يجرى بموجبها . وعناصر أبعد نجم منا مثل عناصر أقرب نجم ، ومثل عناصر الشمس والارض . ونواميس حركات معروفة جارية على سنن واحدة . حتى لقد عرف بعض العلماء مما رآه من التأثير فى حركات بعض السيارات أن وراءها سيارا غير منظور (٢) ، وعرف مقداره وموقعه من تأثيره فيها قبلما رآه أحد فرصد فى المكان الذى عينه فوُجد فيه

وعليه فالعالم منتظم انتظاما يدل على أن حكمة سامية نظمته ، وحركاته جارية حسب قوانين ثابتة لا مجازفة فيها . قال تشالس داروين : « اننا اذا التفتنا الى العالم كله أبى العقل أن يسلم بأنه وجد صدفة » قال الدكتور فزدك الواعظ الامريكى المشهور فى حديث له :

اذا بحثنا فى طبائع الكائنات رأينا أنها تتدرج من البسيط الى المركب ، ومن الادنى الى الاعلى . من غبار تتألف منه النجوم الى الارض الكثيرة التركيب . ومن الجماد الى النبات والحيوان . ومن أدنى طوائف الحيوان الى الانسان العاقل وهو أرقاها . فالكون متجه فى نظامه الارتقائى الى تكون العقل أو النفس : فاذا كان العقل أو النفس هو الغرض الاسمى الذى ترتقى اليه المخلوقات فهل يعقل أن الخالق يصل الى هذه الدرجة السامية فى ترقية مخلوقاته ، ومتى وصل اليها يلاشيها ! ! ؟؟ أيعقل أن الجهاد الذى جاهدته المخلوقات مدى الملايين الكثيرة من السنين يذهب هباء منثورا كأن خالقها يلهو بها ! ! ومتى وصلت الى أعظم غاية يمكن الوصول اليها فى هذه الدنيا يطرحها من يده كأنها سقط المتاع ! ! ؟ فكر داروين فى ذلك فقال « أى عاقل يستطيع أن يسلم بأن الانسان وكل الحيوانات التى فيها شيء من الشعور معرضة للملاشاة بعد أن ارتقت هذا الارتقاء البطيء المستمر ؟ ! ؟ » .

(١) محاسن الطبيعة وعجائب الكون تأليف اللورد أفبرى . تعريب وديع البستانى ص ١١ و ١٢

(٢) هو السيار نبتون الذى أثبت وجوده جون ادمس الانكليزى ، ولافوازيه الفلكى الفرنسوى فى وقت واحد تقريبا قبل أن يراه احد .

اذا سلمنا بما يقره العلم وهو أن نظام الكون يدل على وجود الحكمة فى تنظيمه اضطررنا أن نسلم بوجود الخالق المنظم . واذا سلمنا بوجوده تعذر علينا أن نعتقد بفناء اسمى مخلوقاته أى ذاتية الانسان أو عقل الانسان فذواتنا ليست أجسامنا ، ولا عقولنا . وما أجسامنا وعقولنا سوى آلات لها أوهى صقالة تقام ليبنى بها بناء عظيم . ومتى تم البناء أزيلت وبقى البناء !

ولقائل أن يقول اننى لا أستطيع أن أتصور الانسان من غير جسم !!؟

فأجيب أننا إذا نفينا من الوجود كل مالا نستطيع تصوره ، لم نستطع أن نجارى العلم الطبيعى . فان رجال العلم يقولون أن رأس الدبوس عالم كبير فيه ملايين من الجواهر الفردة (الكترون) وهى تتحرك فى مداراتها كالكواكب فى أفلاكها وقد أثبت بعضهم أن الانسان لا يستطيع أن يحصى الجواهر الفردة التى فى رأس الدبوس فى أقل من مئتين وخمسين الف سنة . فهذا شىء يفوق تصورى . ولكننى لا أدعى خطأ العلماء فيه لأننى لا أستطيع تصوره . وهذا شأننا فى الحياة بعد الموت . فان صعوبة تصورها لا تنفى وجودها

ان أكبر الفلاسفة لم يكن يستطيع وهو جنين فى بطن أمه ان يفهم أحوال الحياة التى يحياها . كأن يعيش بغير هواء يتنفسه وطعام يأكله . فلا يستطيع أن يتصور كيف نعيش نحن . ولا كيف يعيش هو لو خرج من رحم أمه . ولو أدرك أنه سيخرج منه لعد خروجه موتاً

ونحن فى معرفتنا الحياة لا نزال مثل أجنة فى عقولنا . ولم نكشف من خفايا الكون إلا النزر اليسير . فلا عجب إذا تعذر علينا أن نتصور فى العالم غير المنظور أموراً وأحوالا لم نرها ولم نشعر بها . (١)

إن مسألة البعث على مالها من أهمية عظمى فى حياة الانسان الحاضرة والمستقبلة سهلة بسيطة لا تحتاج الى كثرة جدل وطول بيان . اذا اعتبر بما يراه وان الله عز

---

(١) رسائل الارواح لجامعه الاستاذ فؤاد صروف ص ٢٣٢ الى ٢٣٦

وجل أبدع الكائنات على أحسن حال وأدق نظام وان خلقه دائم وآياته الباهرة لا تنقطع . وقدرته لا تقف عند حد

لو دخلت مصنع نجـــار ورأيت صاحب المصنع يعمل موائد وأدوات مختلفة الحجم والمقياس وقال لك انى سأبيد هذه الموائد والادوات ثم أعيدهـا مرة أخرى كما كانت بأحجامها ومقاييسها ؟؟! فهـــل تشك لحظة فى صدق النجار وأنت ترى صنعته ومهارته !!؟ لا يجوز تكذيب هذا الصانع كما لا يجوز الشك فى قوله وقدرته ما دام البرهان المحسوس قائماً على عمله ! إنما يجوز الشك فيما اذا كان الصانع لم يصنع شيئاً وقال أنا قادر على أن أوجد كذا وأبيده ثم أعيده مرة أخرى ! هنا يكون قوله محل التصديق والتكذيب لأنه يعوزه الدليل والحجة على صحة دعواه ! !

أما والحالة غير ما ذكر . والصانع قائم بصنعته على أكمل وجه وبأوفى بيان فلا شك فى الصانع ولا شك فى صحة ما يقول من أنه قادر على أن يعيد ما صنع والاعادة أسهل من البدء والتكرار يسهل عملية الصنعة

اذا كان هذا حالنا مع الصانع البسيط ، فاولى بنـا مع خالق الكون ، الذى لا ينقطع خلقه ، ولا يفنى عمله ، ولا تبلى قدرته ، ولا يضعف سلطانه ؛ انه اذا قال أنا قادر على أن أعيد هـــذا الخلق كما بدأته ، فلا شك فيما يقول ، لان برهانه قائم ، ودليله قاطع يرى ويلمس

يقول الله تعالى ان عنده كتابا أحصى فيه جميع الاشياء وزنا وقدرا وشكلا فى أمكنتها وأزمانها ، وعنده المادة الاولية التى يخلق منها الاشياء وهى لا تنقطع ونحن نراها ونحسها ، وان كنا لا ندرك كنهها على حقيقتها ، وان قدرته تعـالى لا يعجزها شىء اذا قال للشىء كن فيكون ، وهـــذا ظاهر للعيان فى تدبير الافلاك ، وتسيير الكواكب بنظام محكم بالغ القدرة ، وفى خلق الانسان والحيوان والنبات خلقـا لا ينقطع ، قال لقمان لابنه يا بنى اذا كنت فى شك من البعث فان نمت فلا تصحُ ، وان صحوت فلا تنم ، وهذا دليل على عجز الانسان وانه مقهور لله تعـالى ، والنوم واليقظة يمثلان الموت والبعث فى صورة مصغرة مكررة ، قال تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعةُ يقسمُ المجرِمونَ ما لبثوا غير ساعـة كذلك كانوا يُؤفكونَ ﴾ وقال الذين أوتوا

العلم والايمانَ لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعثِ فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمونَ (١) ﴾

أقام الله تعالى الدليل القاطع والبرهان الواضح على قدرته البالغة . وأنه يعيد الانسان بعد موته ليحاسبه ويجزيه على عمله ، وحجج القرآن تقع تحت الحس ، ساطعة البيان تراها العين وتلمسها اليد ، لا لبس فيها ولا غموض ، قال تعالى :

﴿ الله يبدؤ الخلقَ ثم يُعيده ثم اليه ترجعون ﴾ ﴿ يخرج الحيَّ منَ الميت ويخرج الميت من الحى ويحى الارضَ بعد موتِها وكذلك تخرجون ، ومن آياته أن خلقكمَ من تراب ثم اذا أنتم بشرٌ تنتشرونَ ، ومن آياته أن خلقَ لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة ان فى ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون ومن آياته خلقُ السموات والارضِ واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعاً وينزل من السماء ماءً فيحيى به الارض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض إذا أنتم تَخرُجون ، وله من فِى السموات والارض كل له قانتون ، وهو الذى يَبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهونَ عليه ، وله المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (٢) ﴾

وقال تعالى ﴿ ونفخ فى الصور . فاذا هم من الاجداث (القبور) الى ربهم ينسلون (يتسللون) ، قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون ، فاليوم لا تُظلمُ نفس شيئاً ولا تجزون الا ما كنتم تعملون (٣) ﴾

وقال تعالى ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ، وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا ، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه . ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا

---

(١) سورة الروم (٢) سورة الروم (٣) سورة يس

حاضرا ولا يظلم ربك أحداً (١) ﴾

ان البراهين والآيات التي يذكرها الله تعالى فى القرآن الكريم تشاهد بالعيان وتقع تحت الحس فمن ينكر أن الله يخرج من الحب الجامد الذى لا حراك به - اذا ما وضع فى الأرض وروى بالماء - زرعا وأشجاراً نامية مثمرة فيها الحياة ؟؟ فالقادر على أن يخرج النبات والزرع قادر أن يحيى الانسان بعد موته وخصوصاً وقد بدأه من علقة قذرة ضعيفة حقيرة تكاد لا ترى بالعين المجردة

وليس الانسان بأكبر من السماء والارض ، ولا من الكواكب والأفلاك ، والجبال والأنهار التي خلقها وجعلها خاضعة لحكمه فيجرى عليها التحول والأفول والظهور كما نرى فى الشمس والقمر ، واختلاف الليل والنهار

اذا كانت الشمس وهى أكبر من الارض بملايين المرات تسير بأمر الله تعالى وهى فى قبضته تغيب وتظهر . وتبدو وتكسف . فهل الانسان أكبر من الشمس قوة حتى يستعصى على الله تعالى اعادته بعد موته !؟ وقد قلنا ان الاعادة أسهل من البدء ؟!!

يذكرنا الله سبحانه وتعالى بأصل نشأتنا الضعيفة وان البعث لا ريب فيه يقول جل شأنه :

﴿ يا أيها الناسُ إنْ كنتمْ فى رَيب من البعث فانّا خلقناكم من ترابٍ ثم من نطفة ثم من عَلقة ثم من مُضغة مُخلّقة وغير مخلقة ليتبين لكم ونُقرُّ فى الارحام ما نشاء إلى أجل مسمّى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغُوا أشدّكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العُمُر لكيلا يعلمَ من بعد علم شيئا وترى الأرضَ هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّتْ وَرَبتْ وأنبتَتْ من كلّ زوجٍ بهيجٍ ه ذلك بأن اللهَ هوَ الحقُّ وأنه يُحيِي الموْتىَ وأنه على كلْ شيء قديرٌ ه وأنّ الساعةَ آتيةٌ لا رَيبَ فيها . وأنّ اللهَ يبعثُ من فى القبورِ (٢) ﴾

---

(١) سورة الكهف (٢) سورة الحج

جاء رجل الى النبي ﷺ ومعه عظام بالية وقال كيف يُحيي الله هذه بعد موتها؟ وقد نزل الوحي بالرد البليغ والحجة الناصعة فقال تعالى :

﴿ أوَ لم يرَ الانسانُ أنّا خلقناهُ من نطفة فاذا هو خصيمٌ (كثير الخصومة والعداوة) مبينٌ ٭ وضرَبَ لنا مثَلاً ونسيَ خلقَهُ قال مَن يُحيي العظامَ وهي رميم ٭ قلْ يُحييها الذي أنشأها أولَ مرّة وهو بكلِّ خلقٍ عليمٌ ٭ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون ٭ أوَ ليسَ الذي خلق السموات والأرضَ بقادرٍ على أن يخلُقَ مثلهم بلى وهو الخلاقُ العليمُ ٭ إنمـا أمره إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كنْ فيكونُ ٭ فسبحانَ الذي بيدِه ملكوتُ كلِّ شيء وإليه ترجَعون (١) ﴾

ذكر الله تعالى الانسان بنشأته وأراه بالغ قدرته مما يراه ويحسه ، فألجمه وأخرسه

أخرج الامام أحمد والبيهقي بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءت يهودية فاستطعمت على بابي ، فقالت أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر ، فلم أزل أحبسها حتى أتى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية !! قال وما تقول ؟ قلت تقول أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن عذاب القبر . قالت عائشة : فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مداً يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر . ثم قال : أما فتنة الدجال فانه لم يكن نبي الا وقد حذر أمته . وسأحذركموه بحديث لم يحـذره نبي أمته . انه أعور ، والله ليس بأعور . مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن . فأما فتنة القبر في تفتنون وعني تسألون . فاذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف (شدة الفزع) ثم يقال له فيم كنت ؟؟ فيقول في الاسلام . فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم ؟؟ فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه ، فيفرج له فرجة قِبلَ النـار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ، فيقال له انظر الى ما وقاك الله . ثم يفرج له فرجة الى الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها . فيقال له هـذا مقعدك منها . ويقال على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ان شاء الله .

---

(١) سورة يس

واذا كان الرجل السوء جلس فى قبره فزعاً مشعوفاً فيقال له فيم كنت فيقول لا أدرى ! فيقال ما هذا الرجل الذى كان فيكم ؟ فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا . فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال له انظر الى ما صرف الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ويقال له هذا مقعدك منها ، على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله . ثم يعذب

هل البعث يكون للارواح مع الاجسام أو للارواح فقط ؟ ! ان الله قادر على كليهما . لان الذى خلق الروح وأمدها بالحياة الدائمة قادر على أن يعيدها الى ما كانت عليه مجردة عن جسمها ، كما أنه قادر أيضاً على أن يعيد جسمها معها ، أو ينشئها نشأة أخرى كما قال تعالى ﴿ وننشئكم فيما لا تعلمون [١] ﴾ وعندى ان جسم الانسان عبارة عن ثوب وأن الله تعالى قادر أن يعيد هذا الثوب فى مادته وشكله ووزنه ومقياسه ورسمه حينما غادر الدنيا . لان الله جلت قدرته عنده المادة الأولية وهى لا تفنى ، وقد أخرج منها هذه العوالم حسب تقديره وعلمه الواسع ، وقد أحصى كل شيء كتابا ومن كان هذا شأنه فهو قادر على إعادة الاشياء بأعيانها وأوزانها كأنها لم تفن ولم تبل [٢]

أرأيت لو أن مثالا صنع عدة تماثيل من الخشب من أحجام مختلفة وقال انه عنده المادة الخشبية بكثرة وافرة ووضع تماثيله حسب مقاييس وأوزان أودعها كتاباً وهو يدوّن ما يطرأ عليها من الحوادث والتحول ويودع ذلك فى كتاب وفى صور فتوغرافية فهل تشك فى أنه اذا قال لك أنه يمكنه أن يرجع هذه التماثيل ويعيدها ثانية فى آخر صورة لها على ما كانت عليه ؟ لا شك فى قوله ولا فى قدرته ، ودليله من عمله الباهر واضح للعيان ولا يشك فيه اثنان ولله المثل الأعلى

والبعث يكون للجسم والروح معاً

العالم كله سماؤه وما حوت ، وأرضه وما جمعت ، وما بينهما إن هو عندى إلا أداة

---

(١) سورة الواقعة

(٢) اثبت العلامة لافوازية الفرنسي احد اقطاب الكيمياء الحديثة أن المادة لا تعدم ولا تتجدد انما تتحول وتعود الى سيرتها الاولى — كما أنه يوجد رأى آخر يقول بفناء المادة

فتوغرافية تسجل كل صغيرة وكبيرة ، وكل شاردة وواردة على ظهر الارض من عمل الانسان ، والانسان هو أيضاً أداة فتوغرافية ينطبع فى نفسه وعلى جسمه كل ما يعمل من خير أو شر ومن حركة وسكنة ـ والدليل قائم ـ الصوت الذى يحدثه الانسان يمكن أن تلقطه آلة الراديو فى جميع الكرة الارضية . وكذلك التلفزيون يمكن أن يلتقط أى صورة فى أى ناحية من نواحى المعمورة اذا ما وجدت أداته ، فالصوت والصورة وحركات الانسان يسجلها عالم الذر (أو العالم الاثيرى) وهو المحيط بنا ونعيش فيه بل تنطبع فى كل ما يراها من نبات وحيوان وأرض وسماء وانسان . وكذلك النفس البشرية هى أداة فتوغرافية حساسة جداً ينطبع فيها كل ما تراه وتحسه وتعمله . وقد رأينا عدة تجارب بواسطة التنويم المغناطيسى أن الانسان المنوَّم يمكنه أن يتذكر كل ما عمله ورآه منذ ولادته الى الساعة التى هو فيها ، وفى بعض الاحيان يعلم ما سيحدث له حتى الموت ، كأنه يقرأ كتاباً ، ويضيق المقام عن سرد الأدلة الكثيرة

يقول لقمان لابنه : ﴿ يا بُنى إنها إن تكُ مثقالَ حبةٍ من خردلٍ فتكنْ فى صخرةٍ أو فى السماواتِ أو فى الارض يأت بها اللهُ إن الله لطيفٌ خبيرٌ (١) ﴾ وهذا فى معرض الاستدلال بقدرة الله تعالى على أن كل إنسان يأتيه رزقه مهما صغر وقل من أى ناحية من نواحى العالم . وقد أبان الله تعالى على واسع علمه فى آيات كثيرة بأنه محصى الذرات ولا تخفى عليه منها خافية وهى مسجلة عنده فى كتاب فقال تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة (يوم القيامة والبعث) قل بلى وربى لتأتينَّكم ، عالم الغيبِ لا يعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ فى السماواتِ ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين (٢) ﴾

فالله سبحانه وتعالى محصى الذرات ، ومبدع الارض والسماوات ، قادر — ولا شك فى قدرته — أنه يحصى على كل انسان عمله فيجزيه به إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وقد قال تعالى وقوله الحق ﴿ ويومَ تقوم الساعةُ يومئذٍ يخسرُ المبطِلون ۝ وترى كل أمةٍ جاثيةً كل أمة تُدعى الى كتابها اليومَ تُجزَوْنَ ما كنتم تعملون ۝ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنَّا نستنسخ ما كنتم تعملون (٣) ﴾

---

(١) سورة لقمان (٢) سورة سبأ (٣) سورة الجاثية

وقال تعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناهُ طائرهُ (عمـله) فى عنقه ونُخرجُ له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا ه اقرأ كتابكَ كفى بنفسك اليومَ عليك حسيبا (١) ه

فمن يعملْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يره ومن يعملْ مثقالَ ذرةٍ شراً يره (٢) ﴾

عن جابر رضى الله عنه سمعت النبى ﷺ يقول يبعث كل عبد على مامات عليه . رواه مسلم .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا بموعظةٍ فقال : يأيها الناس إنكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرْلاً ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيجاء برجال من امتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يارب اصحابى فيقال إنك لا تدرى ما احدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح (هو عيسى عليه السلام) ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك انت العزيز الحكيم ﴾ قال فيقال لى إنهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا . قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم الى بعض . قال يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض . رواهما البخارى ومسلم والترمذى .

عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده رضى الله عنهم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول انكم محشورون رجالا وركبانا وتجرون على وجوهكم . رواه الترمذى بسند صحيح

قال الله تعالى ﴿ يومَ تبدلُ الأرضُ غيرَ الارضِ والسمواتُ وبرزُوا لله الواحدِ القهارِ ﴾

قالَ مسروق رضى الله عنه تلت عائشة هذه الآية ثم قالت يا رسول الله اين يكون الناس . قال على الصراط . رواه مسلم والترمذى

عن سهل رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص نقى ، قال سهل أو غيره ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد .

---

(١) سورة الاسراء (٢) سورة الزلزال

ملحـــق
لزكاة المال
الذى تقدم

موقف الاسلام
من الاشتراكية والشيوعية والرأسمالية

مقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين : وبعد بينما أنا مكب عـــلى وضع تفسير موجز للقرآن الكريم خال من الإشكالات النحوية والصرفية والبلاغية مقتصر على هداية الله لعباده كى يسر للشباب مطالعته وفهمه ، وإذا بأخى وصديق المجاهد الكبير صاحب السعادة الحاج محمد صالح حرب باشا رئيس جمعيات الشبان المسلمين العالمية ورئيس حزب العمال يسألنى رأيى فى الاشتراكية فى الإسلام . أو بعبارة أصح ما هى دعوة الإسلام فى الإصلاح الاجتماعى التى تفوق دعوة الاشتراكية . فاعتذرت عن الكتابة فى هذا الموضوع لما أنا مشغول به . فاجابنى أن هذا من صميم عملى بل له المقام الأول ليعلم الناس أين الحق من الباطل . وأين الرشد من الغى . فكتبت هذه الرسالة على عجل لا بين موقف الإسلام من الدعوة الاشتراكية والشيوعية والرأسمالية ، والإسلام كما نعلم دين التقدم والإصلاح لا يعادى الأسماء لمظاهرها . بل يقر الحق وينصره ولو كان فى غير أهله ويحارب الباطل ويخذله ولو كان من أهله وعشيرته . وقد قال تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾ فأمرنا باتباع كل ما هو معروف من خير وصلاح ما لم يبطل حقا أو يحق باطلا وما لم يتعد أمراً من أوامر الله أو شرعا من شريعته . وقد أمرنا رسوله عليه السلام ان نأخذ الحكمة من أى وعاء خرجت لا يعنينا صاحبها مسلما كان أو كافراً ، برا أو فاجرا ، صديقا أو عدوا . فالإسلام دين حق لا يأمر إلا بالحق ولا يدعو إلا

إلى الحق ولا يعمل إلا بالحق . ولذلك كان لزاما علينـــا أن نستعرض ما جاءت به الاشتراكية والشيوعية من آراء ونقارنها بما جاء به الاسلام فما كان حقا ومتفقا مع الحقوق التي قررها الاسلام ودعا اليها قبلناه واتبعناه ، وما كان منها باطلا أقمنا الحجة على بطلانه ورددناه إلى أهله قائلين لهم لكم دينكم ولى دين ﴿ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على الله . ﴾

ولكي نسير في بحث موضوعنا على هـــدى نستعرض أولا تاريخ الاشتراكية والشيوعية من بدء نشأتها إلى ما صارت اليه اليوم . ثم نذكر أسس الدعوة الشيوعية . ثم نقارن بين ما جاءت به من نظم وبين ما دعا اليه الاسلام وأيهما أهدى سبيلا . وسيكون بحثنا دائراً في حدود الواقع لا في النظريات والخيالات . وسيرى القارىء أن الإسلام عنى عناية فائقة بمشاكل رأس المال وحقوق الفقراء أو من نسميهم بطبقة العمال . وأنه راعى الحق والعدل والرحمة .

وكانت هذه المسائل في أوائل سور القرآن نزولا . فكأنما القرآن نزل لهذا الزمان ..

غض في جـــدته . بض في رحمته . فتىّ في شدته وسطوته . واضح البيان قوى البرهان شديد السلطان . صالح لكل زمان ومكان . وأترك للقارىء الكريم الحكم والله الموافق لخير العباد . ومنه أستمد العون لما فيه السداد والرشاد

نبذة تاريخية عن نشأة الاشتراكية والشيوعية
وتطورها وبرنامجها فى الوقت الحاضر

نحن اليوم أمام مسألة اجتماعية كبرى تشغل الأذهان صغيرها وكبيرها ضعيفها وقويها فقيرها وغنيها ، وهى مسألة الصراع القائم بين الغنى والفقر وبين الجهل والعلم وبين المرض والصحة . وقد تبلورت هذه المسائل بين طائفتين هما أصحاب رءوس الاموال . والعمال أو الإشتراكيون .

ليس العصر الحاضر مبدأ ظهور الإشتراكية فهى ترجع فى منشأهـا إلى أقدم الأزمان ، وغايتها القضاء على التفاوت فى المعايش وان كان هذا التفاوت سنة من سنن العالم القديم والحديث ، وإذا لم تغير قدرة إلهية طبيعة البشر ظل هذا التفاوت سائدا حتى ينقرض الكون ، فالنزاع القائم بين الغنى والفقير أبدى

اختبرت الأمم فى القرون القديمة أنواع الإشتراكية التى تعرض علينا فى هذه الأيام . ولبيان ذلك لا نحتاج إلى أن نتقهقر إلى مذهب الإباحية المنحطة الذى هو أول ما تطورت به جميع المجتمعات البشرية ، فقد حاول اليونان تطبيق تلك الأنواع وأفضى ذلك إلى انقراضهم ، ولو نظرنا إلى الرسالة التى وضعها أفلاطون وسماها الجمهورية لرأينا مبادىء الشيوعية مشروحة فيها . جاء فى كتاب وضعه المسيو (غيروا) وسماه التملك العقارى عند اليونان ولخص فيه ما هو مدون فى كتبهم « إن جميع المذاهب الحاضرة من الإشتراكية المسيحية إلى الشيوعية الراقية مذكورة فيها »

طبق اليونان هذه المذاهب مرات عديدة فكانت الثورات السياسية التى قاموا بها ثورات اجتماعية أيضا أى أنها كانت ترمى إلى القضاء على التفاوت فى المعايش بسلب أموال الاغنياء واضطهاد الشرفاء ، وكثيرا ما نجحوا فى ذلك ولكن كان نجاحهم غير ثابت فكانت عاقبة أمرهم أن انقرضوا وأضاعوا استقلالهم .

لم تتحد كلمة الاشتراكيين قط فى ذلك العصر كما أنها لم تتحد فى أيامنا ، وإذا اتحدت فعلى التخريب فقط ولذلك وضع الرومان حدا لشقاقهم المتأصل باستعبادهم البلاد اليونانية وبيعهم أبناءها كأرقاء .

ولم ينجح الرومان فى الاشتراكية أيضا إذ طبقوا اشتراكية (غراكوس) الزراعية التى تحدد ما يستطيع كل رومانى امتلاكه من الأرض ليوزع ما يفيض منها على الفقراء والتى تقضى على الحكومة باطعام المساكين وقد أوجب ذلك ظهور (ماريوس) و (سيلا) ونشوب ثورات أهلية ثم الغاء الحكم الجمهورى وإقامة الحكم الامبراطورى .

ولقد ظفرت المسيحية فى الثلاثة القرون الأولى بتحقيق المذهب الاشتراكى ولم يكن أمر الاشتراكية المسيحية ليستقيم لو لم تعدل عن تعاليمها بعد أن تم لها النصر . فقد اضطرت إلى الاعتصام بأرباب الجاه والمال والى الدفاع عما أنكرته من نسب وملك . ومثلها فى ذلك كمثل الظافرين من زعماء الثورات ، فلم تلبث أن أصبحت محافظة وأصبح لا فرق هنالك بين روما الكاثوليكية وبين روما الوثنية فعاد الفقراء راضين بما قسم الله لهم قانعين بالعمل مكبين على الطاعة يرجون دخول ملكوت السموات بطاعتهم لسادتهم ويخافون الجحيم والشيطان بتذمرهم منهما

وقد طبق رجال الثورة الفرنسية أيضا نظريات الاشتراكية وإذا وجد جماعة من أفاضل الكتاب يرون أن هذه الثورة ليست اشتراكية النزعة فذلك لأنه يعبر فى الغالب بكلمة (اشتراكية) عن مبادىء مختلفة كل الاختلاف أو لعجزهم عن سبر غور المسائل ، فالغاية التى يتوخاها الاشتراكيون فى جميع الأجيال هى سلب ما بيد الأغنياء فى سبيل الفقراء ، وقد تم نيل ذلك على يد رجال الثورة الفرنسوية ثم أعلنوا أن حق التملك مقدس ولا يمس . ولكنهم لم يفعلوا ذلك الا بعد أن جردوا الأشراف والاكليروس عن أملاكهم وأحلوا تفاوتا اجتماعيا جديدا محل التفاوت الأول

ولا ريب عندى أنه إذا حذا اشتراكيو الوقت الحاضر حذو رجال الثورة الفرنسية بنزعهم أموال الطبقات المتوسطة فإن الملاك الجدد لا يلبثون أن يصيروا من أشد المحافظين ويصرحوا بأن حق التملك مقدس لا يمس فى المستقبل ، على أنه لا قيمة لمثل هذا التصريح إذا كان الخصم قويا وهو لغو إذا كان ضعيفا فلا شأن للحق والمبدأ فيما يقع بين طبقات الناس من المنازعات

نتج عن كثرة الأموال فى يد فئة قليلة من الناس والعبث بالمال وعن فساد الاخلاق المتكاثر عند الطبقات الوسطى حجة بينة يحتج بها اشتراكيو هذا العهد (العصر) فى مطاعنهم بعدم المساواة فى توزيع الأرزاق ، وما قد سهل عليهم الادعاء بان

الأموال الوافرة التى فى أيديهم أخذت فى الغالب خلسة من ألوف البائسين - وربما كان التفاخر بالأموال الطائلة والكيفية التى تبذل فيها من أشد العوامل فى انتشار مبادىء الإشتراكية، قال المسيو فاغيه (لا يتوجع المرء إلا من سعادة غيره، وهذا هو شقاء الفقير) فالاشتراكيون يعلمون أن المساواة فى الرزق لا تتحقق، ولكنهم يرجون أن تتم المساواة فى الفقر على يدهم

مذاهب الاشتراكية متعددة الأنواع مختلفة فى الأشكال، ولكن اشياع مذاهب الاشتراكية متحدون فى احقادهم على المجتمع ورأس المال والأعمال، ويقترحون للقضاء على هذه الأمور ايجاد وسائل واحدة فسليم القلب منهم يرغب فى نزع الأموال من أيدى أصحابها. وأما المغالى فيضيف إلى ذلك إبادة المغلوبين (١)

ترجع التغييرات والمراحل الأساسية التى مر بها المجتمع البشرى فى أساسها إلى التغييرات التى تحدث فى الأساس الاقتصادى، ولهذا الأساس الاقتصادى جانبان: قوى الانتاج المادية (من أساليب فنية وأدوات انتاج) والعلاقات الاقتصادية كنظم الملكية والتبادل والتوزيع.

ينشأ من هذا الأساس الأولى صرح من القوانين والتشريعات، والنظم والحكومات، والعلوم والفنون والمذاهب الفلسفية والدينية

تتخذ التغيرات فى المجتمع شكل نضال بين الطبقات. والطبقات هى الصورة التى تمثل العلاقات المتضاربة لطوائف أو جماعات فى المجتمع بالنسبة إلى قوى الانتاج

بتطبيق هذا الأسلوب فى البحث نرى أن التاريخ يدل على أن تطور المجتمع الأنسانى سار من نظام المشايعة البدائية أو الجماعية إلى نظام الطبقات ممثلا فى انقسام المجتمع إلى سادة وعبيد فى العصور القديمة وسادة اقطاعيين وأقنان فى العصر الاقطاعى ورأسماليين وعمال اجراء فى العصر الحديث

ولنتكلم على أبرز النواحى الاشتراكية فى هذا العصر - وهى:

الاشتراكية العلمية - التى تستمد منها الشيوعية برنامجها

---

(١) روح الاشتراكية تأليف الدكتور غستاف لوبون تعريب الاستاذ زعيتر

الاشتراكية العلمية

من أكبر دعاة الاشتراكية العلمية كارل ماركس (ولد سنة ١٨١٨ ومات سنة ١٨٨٣) وهو ألمانى الأصل وقد اشتغل بالصحافة بعد أن أتم دراسته العالية وقد نفى إلى انجلترا من جراء آرائه السياسية وعاش فى انجلترا زمنا طويلا شاهد فى خلاله عن كثب الانقلاب الصناعى الاجتماعى الذى نشأ عن اختراع آلات النسيج البخارية وما يقاسيه العمال من ألم الفقر وتعرضهم لكثير من الأمراض الفاتكة وعدم عناية أصحاب المصانع بهم .

رأى كارل ماركس أن سبب شقاء العمال هو مطامع أصحاب رؤوس الأموال وجشعهم فى الحصول على الثروة واستغلالهم الضعفاء فى سبيل ذلك وأنه لا سبيل إلى اصلاح حالة العمال إلا بالقضاء على سبب الشقاء وهو رأس المال اى (محاربة الملكية الفردية) من صناعية وزراعية وتجارية وأن تكون المساواة بين الناس جميعا قانونا عاما وأن يكون العمل اجباريا على كل فرد قادر يدير هذه الملكية العامة حكومة من العمال والزراع وبذلك ينصلح حال الطبقة الفقيرة .

اجتمع فى لندن سنة ١٨٤٧ كارل ماركس مع زميله انجل ونفر من العمال الانجليز ووضعوا (البرنامج) الذى يسير عليه جماعة العمال للمقاومة :

والذى تستمد منه البلشفية أو الشيوعية جميع مبادئها الأصلية التى ترتكز عليها الآن ، وزعيم البلشفيك لنين لم يكن فى الحقيقة الا تلميذا لكارل ماركس أكبر رأس مفكر ويد عاملة فى وضع برنامج سنة ١٨٤٧ .

يرى كارل ماركس أن التطور الاقتصادى من جهة وانتشار الديمقراطية من جهة أخرى كفيلان بتحقيق آمال الاشتراكية المتطرفة ، لأن التطور الاقتصادى يسير فى طريق أن الملكية الصغيرة لا يمكنها البقاء ازاء الملكيات الكبيرة لما لهذه من وسائل الرقى والنجاح وحرمان تلك من هذه الوسائل ولذلك فمحتوم - إذا بقى هذا النظام - أن يستحوذ أصحاب الأملاك الكبيرة على الأملاك الصغيرة وهكذا يسير شأن كل ملكية كبيرة مع ما هى أصغر منها إلى أن تصبح الملكية العامة فى يد نفر قليل ويمكن فى هذه الحالة نزع الملكية من يد هـذا النفر بواسطة البرلمان الذى سيكون جله من العمال

والفقراء بواسطة انتشار مبادىء الديمقراطية وحرية الانتخاب وحينئذ يمكن البرلمان أن يتخذ الاجراءات الآتية :

(ا) الاجراءات القانونية :

(١) نزع الملكية العقارية من أصحابها وجعلها ملكا للأمة

(٢) فرض الضرائب المدارجة (وهى التى تترقى مدارجة فى ازدياد الدخل) .

(٣) تحريم الميراث

(ب) الاجراءات الاقتصادية :

(١) نزع ملكية المصارف (البنوك) من أصحابها وتوحيدها فى مصرف أهلى عام تديره الحكومة

(٢) نزع ملكية دور الصناعات والتجارة ووسائل النقل والمواصلات من أصحابها لتديرها الحكومة

(٣) ان يكون العمل اجباريا على القادرين جميعا ، وتنظيم جيش من الصناع

(ج) الاجراءات التهذيبية :

(١) تعميم التعليم بجميع درجاته (من ابتدائى وثانوى وعال) مجانيا

(٢) تحريم شغل الأطفال لحين بلوغهم سن الرشد

(٣) إدخال الشغل اليدوى فى المدارس

هذا موجز من برنامج الاشتراكية العلمية ، ونحن نلخص ما يتطلبه الاشتراكيون الذين يدينون بمادىء الشيوعية فيما يلى :

(١) محاربة رأس المال

(٢) هدم كل نظام يحمى رأس المال من دين ونظم تشريعية واقتصادية

(٣) تحرير العمال ونشر مبدأ المساواة والحرية بينهم

موقف الاسلام

من العلم ورأس المال

الشيوعية تهدف لرفع مستوى العمال من الناحيتين المادية والأدبية - فهى تريد الاستحواز على رؤوس المال حتى تمنع طغيانه . وتريد نشر العلم بين الطبقات العاملة حتى تكون على بينة من أمرها ولا ترضخ للظالم ، فالمال والعلم هما سلاحها ، وهما أداتها لنيل غايتها وتحقيق غرضها .

رأس المال وهو فى نظر الشيوعية سبب البلاء وأس المصائب فى استغلال الضعفاء هو الذى يجب أن يقضى على أربابه وعدم العودة اليهم - والاسلام لايعادى رأس المال لذاته وانما يعادى طغيانه ، ولا يعادى الملكية الفردية وإنما يعادى تجاوز أصحابها للحدود . والاسلام فى أوائل من ينادى بحق الفقير ونصرة الضعيف ومعاقبة الظالم ونشر العلم بين الناس ليعرف كل حدوده ويلتزم واجباته . ويدهش الانسان أن أوائل سور القرآن نزلت منادية بهذه المبادىء السامية العامة ، وهاك الدليل : ان الآيات الأولى التى نزلت على نبى الاسلام محمد عليه السلام قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) لما جاء جبريل إلى النبى عليه السلام وقال له اقرأ قال لست بقارىء فقال : (اقرأ باسم ربك) أى استعن باسم ربك واتخذه عونا فى تحصيل هذا الذى عسر عليك (الذى خلق) أى الذى خلق كل شىء . ثم بعد التعميم أخذ يخص الانسان بالذكر لشرفه وللدلالة على وجوب العبادة شكرا على نعمة الخالق فقال (خلق الانسان من علق) جمع علقه : أى دم عبيط (اقرأ وربك الأكرم) وكيف لا يكون أكرم وهو قد علم عباده ما لم يعلموه ونقلهم من ظلمة الجهالة إلى نور العلم فقال (الذى علم) الكتابة (بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) فهذا هو وجه كونه أكرم فى حق العبد ، فهو إذ خلقه كريم وإذ علمه فهو أكرم لأنه أعطاه فضلا على فضل ونورا على نور ، فهذه زيادة فى الكرم ، ولعمرك لولا القلم ما حفظت العلوم

وفى الآيات الكريمة دليل على أن العلم أشرف الصفات الانسانية ، كأنه تعالى يقول : الايجاد والأحياء والإقدار والرزق كرم وربوبية ، أمـا الأكرم فهو الذى أعطاك العلم لأن العلم هو النهاية فى الشرف .

والمراد بالقلم أى علم الانسان الكتابة بالقلم وهذا تنبيه على فضيلة الكتابة وانها وسيلة العلم وحصره ونشره ودعوة إلى الاهتمام بأمرها لأنها رسول التعارف بين الأفراد . والاسلام هو الذى رفع طابع الأمية عن العرب وغيرهم ممن يدينون به لطلب العلم رفعا لا هوادة فيه .

وقد بدأ النبى ﷺ برفع هـذا الطابع بعمل لم يسجل مثله لمصلح فى الأرض . وذلك أنه جعل فداء الأسير الذى كان يعرف القراءة فى وقعة بدر وهى أولى الوقائع الاسلامية أن يعلمها نفرا من المسلمين ففعل

وكان من أثر ذلك أن نهض المسلمون باحثين منقبين عن العلم واستخدامه لرقيهم فترجموا الكتب النافعة لمن سبقهم من العلماء واكتشفوا واخترعوا ، وكان لهم الأثر المحمود فى النهضة العلمية ، وذلك كله بفضل تعاليم الاسلام ودعوة القرآن الصريحة الواضحة فى طلب العلم فى جميع آفاق الحياة الصالحة لخير بنى الانسان .

والعلم هو احدى الدعامات الكبرى للاصلاح ، فهو ينير الطريق ويفرق بين الحق والباطل ، ويميز الخبيث من الطيب

وإذا كانت الاشتراكية أو الشيوعيـــة جعلت من برنامجها التعليم مجانيـا فى مراحلهـا الثلاث ـ ابتدائى وثانوى وعال ـ حتى لا تجعـل من الجهـل وسيلة لضعفهم واستغلالهم واضطهادهم فقد سبقها الاسلام بزمن بعيد وجعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وجعل طلبه لافى المراحل الثلاث وحسب ولكن دعا إلى طلب العلم طيلة الحياة ، كما جاء فى الأثر اطلب العلم من المهد إلى اللحد ، وما وقف الاسلام عند هذا فقد دعا الانسان إلى الأسفار واحتمال المشاق فى طلب العلم فقال : أطلب العلم ولو بالصين

ولو وازنا بين برنامج الشيوعيـة من الناحية العلمية وبين دعوة الاسلام إلى العلم لما لحقت له غبارا وأن دعوة الاسلام إلى العلم واستجابة المسلمين له ونشره فى أوروبا يوم كانت فى ظلام فأنار لها الطريق كانت دعامة قوية فى أسباب تحريرها كما قال

العلامة « سديو » فى كتابه « تاريخ العرب » : « كان المسلمون فى القرون الوسطى منفردين فى العلم والفلسفة والفنون والصنائع وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوربا فكانوا سببا لنهضتها وارتقائها » .وخطب الأستاذ فارس بك الخورى الوزير الأسبق ورئيس مجلس النواب السورى وأستاذ كلية الحقوق ورئيس الوفد السورى لدى مجلس الأمن وهيئة الأمم سابقا وكان مما قاله فى خطبته « .... إن الدين الذى جاء به محمد أوفى الأديان وأكملها ، وأن محمدا أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعيه وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الشريعة التى دعا الناس اليها باسم الله وانها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم العلمية . . .

« إن محمــدا الذى تحتفلون به وتكرمون ذكراه أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم ، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم ، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ ، وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها » (١)

قرر الاسلام أن طريق الوصول إلى الحق والسيادة فى الدنيا واستثمار الحياة فيها على خير وجه والفوز بالحياة الآخرة والسعادة فيهما هو العلم فقال عليه الصلاة والسلام اذا أردت الدنيا فعليك بالعلم وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم وإذا أردتهما معا فعليك بالعلم . وقال أيضا يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء « فضل العلم خير من فضل العبادة » .

فهل جاءت المبادىء الشيوعية فى الناحية العلمية بخير من هذا أو ما قارب هذا فى دعوتها وغايتها ، فاذا كانت الشيوعية تدعى أنها تريد تحرير العامل والطبقة الفقيرة فقد سبقها الاسلام فى هذا المضمار ، وها هى مبادىء الإسلام ناطقة صادقة وآثاره باقية خالدة .

وقد أنصف العلامة المسيو « كازانوفا » أحد كبار علماء فرنسا وأساتذة كوليج دى فرانس بباريس حيث يقول « يعتقد الكثيرون منا أن المسلمين لا يستطيعون

---

(١) مجلة (الفتح) عدد ٧٧٣ المؤرخ ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦١ — ٢٦ مارس سنة ١٩٤٢

تمثل آرائنا وهضم أفكارنا . يعتقدون ذلك وينسون أن نبى الاسلام هو القائل بأن فضل العلم خير من فضل العبادة . فأى رئيس دينى كبير وأى قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول الفصل المتين . هذا القول نفسه عنوان حياتنا الفكرية الحاضرة »

« نعم ان هذا مبدأنا اليوم ولكن أليس العهد بقريب يوم كانت الكافة عندنا من أهل العقول تنظر إلى مثل هذا الشعار كأنه رمز العار ومجلبة الشنار ، كما أنه سوف يقال أن أوضح مبادىء الحرية الفكرية قد كشفت أمثال (لوثير) و (كالفين) وعاد الفضل فيها إلى رجل عربى من رجال القرن السابع ذلك هو صاحب شريعة الاسلام»

وقد ألف الدكتور هورتن وهو من علماء الألمان عدة كتب دافع فيها عن الاسلام ومنها كتاب (استعداد الاسلام لقبول الثقافة الروحية) جاء فيه « تجد بالاسلام اتحاد الدين والعلم وهو الدين الوحيد الذى يوحد بين هذين ونجد كيف أن الدين موضوع بدائرة العلم وترى وجهة الفيلسوف ووجهة الفقيه متماشيتين معا وهما واحدة وواقفتان كتفا لكتف دون نزاع » (١)

فإذا كانت النظرية الشيوعية قد أظهرت فى برنامجها عداءها للدين حسب تاريخ القرون الوسطى وما ارتكبه رجال الكنيسة من اضطهاد العلم ورجاله وما فعلته محاكم التفتيش من مظالم وعسف نحو العمال والفقراء فهو لا ينطبق على ما جاء به الاسلام الذى قاوم الاضطهاد ودعا إلى تحرير العقل والعلم واطلاق الحرية من عقالها وكان من أكبر الأسباب فى تحرير أوروبا ولذلك كان تعميم الحكم وأخذ اللاحق بالسابق خطأ محضا وظلما صارخا يبرأ منه كل حاكم عادل وكل عاقل منصف يزن الأمور ويضعها فى نصابها ، والواجب أن يعطى كل ذى حق حقه ويعترف بالفضل لاهله ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

موقف الاسلام من رأس المال

من أكبر مبادىء الاسلام وأقواها وأشدها محاربة طغيان رأس المال والدفاع

---

(١) مكانة العلم فى القرآن للدكتور يحيى الدرديرى ص ٣٤

عن حق العامل والفقير . ويدهش الانسان حينما يرى أن أولى آيات القرآن الكريم نزولا على نبى الاسلام العظيم كانت لمحاربة طغيان أصحاب رأس المال وانذارهم بالعقاب العاجل والآجل إن لم ينتهوا عن غيهم ويلتزموا حدودهم وأن يؤدوا ما عليهم من واجباتهم المالية للهيئة الاجتماعية . فقال فى أول سورة نزلت وهى سورة العلق ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ أى متى أحس الانسان من نفسه قدرة وثروة يعد نفسه بها فوق من دونه من الناس فلا يرى أنه معهم أعضاء جماعة واحدة يحتاج كل إلى الآخر فى استدامة الأمن واستكمال السعادة والاستغناء بهذا المعنى هو الرذيلة وهو المذكور فى قوله تعالى : ﴿ وأما من بخل واستغنى . . . ﴾ فى سورة الليل . « أما الغنى والقوة فى أيدى الأتقياء فهما أعظم وسائل الخير وأفضل أسباب السعادة الدنيوية والأخروية . ولكن الأتقياء يرشدهم فى تصريف ثروتهم وقوتهم العلم والدين الصحيحان . والأغلب من عامة الناس يصرفهم الهوى والشهوة ، لهذا أطلق الانسان باعتبار الأغلب من أفراده وهم الذين يستغنون بالمعنى السابق . ولما كان المغرور يظن أنه لسوء عمله أنه يصنع ما هو من حقه ضاعف له التأكيد فقال انه ليطغى (أى أنه باستغنائه يخرج عن حده قطعا) ثم أنه واهم فى طغيانه كاذب فى زعمه أنه ملك ناصية القوة والقدرة لأن ما فى يده عارية وليست نفسه بباقية ولا لهـا من الله واقية فقال « ان إلى ربك الرجعى » أى أن المرجع إلى الله وحده دون غيره فهو مالكك ومالك ما تملكه وهو الذى ينتزع روحك فتخرج من هذه الحياة الدنيا إلى حياة ينكشف عنك فيها غطاء الغرور وتظهر فى مظهر ذلك وتحاسب على ما أتيته أيام عزك ، وهذا فيه من الوعيد والتهديد مالا يخفى » .

وجاء فى السورة الثانية نزولا من القرآن الكريم ما يوضح لنا فى صورة جلية واضحة عناية الاسلام بحق الفقير والدفاع عن حقوقه وإن شئت فاقرأ قوله تعالى :

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ، مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ، وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ، بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن

سبيله وهو أعلم بالمهتدين . فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن
فيدهنون ، ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ،
مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا
مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ، سنسمه
على الخرطوم ، إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها
مصبحين ، ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك
وهم نائمون . فأصبحت كالصريم ، فتنادوا مصبحين ، أن اغدوا على
حرثكم إن كنتم صارمين ، فانطلقوا وهم يتخافتون ، أن لا
يدخلنها اليوم عليكم مسكين ، وغدوا على حرد قادرين ، فلما
رأوها قالوا إنا لضالون ، بل نحن محرومون ، قال أوسطهم ألم
أقل لكم لولا تسبحون ، قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ،
فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، قالوا يا ويلنا إنا كنا
طاغين ، عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ،
كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

هذه قصة من الماضى ينذرنا بها الله سبحانه وتعالى عن طغيان الشح وعاقبة الأغنياء المستكبرين الذى يريدون أكل حقوق الفقير . وملخص القصة أن رجلا كان له بستان وله ذرية فكان إذا آن أوان جنى الثمار أعطى الفقراء والمساكين حقوقهم . وقيل يقسم الثمار إلى ثلاثة أقسام قسم له ولأهله والثانى ينفقه لصالح البستان والثالث يوزع على الفقراء والمساكين . فلما مات الرجل طمعت أولاده فى الثمر وتآمروا على أن يمنعوا الفقراء حقوقهم التى كانت تعطى لهم فى عهد أبيهم فاجمعوا فيما بينهم على أن يجنوا الثمار فى الصباح الباكر فى غفلة الناس حتى لا يدخل عليهم مسكين وقد نصحهم أوسطهم وذكرهم بسوء العاقبة ولكن أبوا الا أن ينفذوا ما صمموا عليه .

فلما علم الله سبحانه منهم سوء القصد أرسل على بستانهم نارا دمرتها تدميرا . ولما ذهبوا اليه ولم يروا شيئا لا من شجرة ولا من ثمرة ظنوا أنهم ضلوا الطريق . إذ

تبدل الحال غير الحال ، ولكنهم فطنوا إلى سوء عملهم وذكرهم أوسطهم رأيا أو سنا وقال لهم « ألم أقل لكم لولا تسبحون » أى ألم أقل لكم حين عزمتم عـلى حرمان الفقراء هلا تسبحون الله أى تذكرونه وتتوبون اليه وتعطون الفقير حقه «قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين » لأنفسنا بايثار الشح على الانفاق ، « وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون » أى يلوم بعضهم بعضا « قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين » اعترفوا بذنبهم وقالوا يا هلا كنا إنا كنا متجاوزين حدود الله وأوامره فاصابنا بذنوبنا هذا الحرمان ـ وهذه هى سنة الله فى هذه الحيـاة الدنيا أن يبطش الله بكل غنى مستكبر أو بكل متجاوز لحدوده سواء كان فرداً أو جماعة . والقرآن فيه الكثير من أمثال هذا القصص الحكيم وان شئت فاقرأ قصة قارون وقد أعطى من الأموال التى أودعت فى خزائنه ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة . ولما بخل بحق العامل والفقير من هذا المال الكثير وأجاب حينما دعى للبذل والانفاق قال فى غرور المستكبرين انما أوتيته على علم عندى فليس للفقير حق ولا لله علىّ طاعة . فخسف الله به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فى طغيانه وبغيه بل لقى جزاء عمله من لدن عزيز حكيم ـ فالقرآن لا يحارب رأس المال لذاته أو لجمعه ، وإنما يحارب طغيان رأس المال وكنزه وقد يذهب جزاء هذا الطغيان برأس المـال وصاحبه كما حدث فى قصة قارون أو يذهب برأس المال فقط كما حدث فى قصة أصحاب البستان ـ كما أن القرآن لا يحارب الملكية لذاتها وإنما يحارب تجاوزها لحدودها ، أو أسباب وجودها ان كانت غير عادلة وأتت من طرق استغلال محرمة حتى . تستقيم الأمور ويصبح الضعيف والفقير والعامل كل آمن على حقوقه . ويرفرف على الأمة علـم العدل والسلام .

الاسلام ورأس المال المحرم

أو الملكية المنقولة المحرمة

يحرص الاسلام كل الحرص على أن يعطى كل ذى حق حقه وأن لا يحرم العامل أجره وان لا يستغل القوى الضعيف بأى شكل من الأشكال . ومن هذه الطرق فى نمو رأس المال المحرم الربا ، فقد « أحل الله البيع وحرم الربا » فكل ما فيـه معاوضة

صحيحة خالية من أكل أموال الناس بالباطل الذى لا يقابله عوض فهى بيع حلال وإنما تحرم الزيادة التى يأخذها صاحب المال لأجل التأخير فى الأجل وهى لا معاوضة فيها ولا مقابل لها فهى ظلم ، فاذا استغل أصحاب رءوس الأموال ضعف المعوزين والمضطرين ونمت رؤوس أموالهم على حساب هؤلاء العجزة استغلالا لاضطرارهم وانتهازا لأخذ ما بأيديهم عن طريق الربا فهذا هو ما حرمه الله تحريمـا قطعيا لا هوادة فيه . واشفع هذا التحريم بعقوبة صارمة لم يعلنها على معصية أخرى . وهى الحرب على المرابين فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾

ينادى الله عباده المؤمنين أى الذين صبغهم بالايمان وذكرهم بالتقوى ثم انتقل الى الأمر بترك ما بقى من الربا لمن كانوا يرابون منهم عند غرمائهم ثم وصل ذلك بقوله ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ أى إن كان إيمانكم تاما شاملا لجميع ما جاء به محمد ﷺ من الأحكام فذروا بقايا الربا ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، أى فإن لم تتركوا ما بقى لكم من الربا كما أمرتم فاعلموا واستيقنوا بأنكم على حرب من الله ورسوله إذ نبذتم ما جاءكم به رسوله عنه فقوله فأذنوا كقوله فاعلموا وزنا ومعنى - من الايذان بمعنى الاعلام أى فاعلموا أنفسكم - أى ليعلم بعضكم بعضا أو المسلمين بأنكم محاربون لله ورسوله بالخروج عن الشريعة وعدم الخضوع للحكم وهذا يستلزم أن يكونوا عالمين بذلك كأنه يقول ان عدم الخضوع للامر خروج عن الشريعة فهو اعلام المسلمين بأنكم خارجون عن حكم الله ورسوله محاربون لهما فسر الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده حرب الله لهم ببغضه وانتقامه قال : ونحن ان لم نر أثر هذا فى الماضين فإننا نراه فى الحاضرين ، ممن أصبحوا بعد الغنى يتكففون ومن باتوا والمسألة الاجتماعية (مناصبة العمال لأرباب الأموال) تهددهم بالويل والثبور . وأما الحرب من رسوله لهم فهى مقاومتهم بالفعل فى زمنه واعتبارهم أعداء له فى هذا الزمن الذى لا يخلفه فيه أحد يقيم شرعه

والرأى عندى أن هذه الآيات من معجزات القرآن الواضحة فى هذا العصر وفى كل العصور السابقة واللاحقة ، لأن استرقاق طائفة من الشعب وهم المرابون لطائفة أخرى لأكل أموالهم بالباطل واستغلالهم لمصالحهم الذاتية أو الشخصية أحدث ما يسمونه البورجوازية والعمالية أو الاشتراكية كما قدمنا ، ونتج عنها الاستغلال البغض والتعادى . ثم ان أصحاب رءوس الأموال تنافسوا فيما بينهم واخذوا يبحثون عن موارد لاستغلال أموالهم فى الشرق الضعيف ، واستغلوا أهله وخلفوا فيهم المرض والجهل والفقر ، وكان من نتيجة هذا التنافس لنمو رءوس الأموال الاستعمار البغيض : إذ استحكم العداء بين الدول الغربية المتنافسة حتى انتهت إلى الحرب الأولى والثانية وسيتبعها الثالثة ، وكانت أموالهم سببا فى هلاكهم إذ تحولت إلى أدوات حربية من ديناميت وطيارات ودبابات وغواصات وأدوات تدمير وأهلكت رءوس الأموال وأصحابها وهدمت هذه المدنية الظالمة التى أقامتها على البغى والعدوان

وصدق الله تعالى فيما قال (يمحق الله الربا) وصدق الله (فان لم يفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) وها هو وعد الله تحقق فهل من مدكر وهل من متعظ فالقرآن الكريم لا يحابى الأفراد ولا الجماعات فكل من خالف سنته فرداً كان أو جماعة لا بد أن يلحقه جزاء عمله من غير استثناء او مراعاة قلة أو كثرة ، غنى أو فقر ، قوة أو ضعف ، وإذا سار الشرق وراء الغرب فى غيه وضلاله فلا بد أن يلقى ما لقيه إمامه وقدوته ، فليحذر وليتنبه ، فعين الله ساهرة لا تنام ولا تغفل ، ولو أن هذه الأموال التى انفقت فى الحرب بذلت فى سبيل إسعاد الأمم وتنمية الثروة واصلاح المجتمع لتحققت سعادة الدنيا ولكن حب المال يعمى ويصم .

فالاسلام لم يعاد رأس المال لذاته وإنما يعادى مظالمه ويحارب كل ظلم ويعلنه صريحا واضحا كما تقدم فى آيات الربا لأن مهمة الاسلام اسعاد الأفراد والجماعات ومنع العدوان من أى طائفة كانت ، فإذا عادى الاسلام نمو رأس المال عن طريق الربا وأكل أموال الضعفاء بالباطل ، فهو لم يعاد انفاقه فى سبيل الله ، أى فى سبيل المصلحة العامة ، بل دعا اليه وحض عليه

كنز الأموال

ولما كانت الأمة متكافلة يجب أن يرعى قويها ضعيفها وعالمها جاهلها وغنيها فقيرها ، دعا الاسلام أهله إلى الانفاق فى سبيل المصلحة العامة فيما يرقى شأنها ويصلح حالها ويحمى ذمارها ، ويرفع مكانتها ، وحض عليه وأكثر عليه الأجر والثواب ترغيبا فى البذل كما هدد وأنذر بسوء العاقبة والخذلان فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة لمن كنز ماله وبخل به فى سبيل الله أى فى سبيل رقى الأمة واصلاحها وتقدمها والذود عنها . فقال تعالى :

﴿ والذينَ يكنزونَ الذَّهبَ والفضةَ ولا يُنفقُونَها فى سَبيلِ اللهِ فبشِّرْهُمْ بعذَابٍ أليم ﴾

والمراد بالكنز هنا خزن الدنانير والدراهم فى الصناديق أو دفنها فى التراب وامساكها وما يلزمه من الامتناع عن انفاقها فيما شرعه الله من البر والخير . والمراد بالذهب الدنانير وبالفضة الدراهم المضروبة . فان الدراهم والدنانير هى المعدة للانفاق والوسيلة للنفعة والارتفاق ولا فائدة فيها إلا فى انفاقها فكنزها إبطال لمنافعها فهو من سخف العقل ــ وعصيان الشرع ــ وظاهر قوله ﴿ ولا ينفقونها ﴾ أن الواجب إنفاقها كلها وأن الوعيد موجه الى من يبقى عنده شيئا يزيد على حاجته منها وهذا لا يصح فى قواعد الشرع الاسلامى فان الله وصف المؤمنين فى كتابه بقوله : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون . والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم ﴾ وقال ﴿ أنفقوا من طيبات ما كسبتم . وأنفقوا مما رزقناكم ﴾ وإنما قال بعض العلماء أنه يجب التصدق بجميع ما أحرزه الانسان من المال الحرام إذا تعذر رده إلى أصحابه دون انفاق جميع ما يملك من الحل ، ولو كانت الآية فيمن ذكر من أهل الكتاب كما قال معاوية لكان الأمر ظاهرا ، وأما على القولين الآخرين فلا بد من الجمع بينها وبين الآيات المعارضة لها ، وفى الروايات المأثورة ما يدل على أن الصحابة رضى الله عنهم فهموا من الآية وجوب انفاق جميع ما يملك الانسان من نقد الذهب والفضة وأن جمهورهم رجعوا عن هذا وبقى عليه أبو ذر رضى الله عنه

موقف أبي ذر من كنز المال

أبو ذر بريء من الشطط والغلو

الذي نسب اليه

أخرج ابن ابي شيبة فى مسنده وأبو داود وأبو يعلى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا أن يبقى بعده لولده مالا ، فقال عمر : أنا أفرج عنكم . فانطلق واتبعه ثوبان فأتى النبى ﷺ فقال يا نبى الله انه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال « إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقى من أموالكم ، وإنما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم » . فكبر عمر رضى الله عنه

والحكم وهو وجوب انفاق كل ما يملك المؤمن من النقدين كان فى أول الاسلام وقبل فرض الزكاة وليس معناه أن آية براءة هذه نزلت قبل إيجاب الزكاة لما عليه الجمهور من أن الزكاة فرضت فى السنة الثانية من الهجرة وبراءة نزلت سنة تسع وهى السنة التى عين فيها العمال لجمع الزكاة .

وأخرج مالك والشافعى وابن أبى شيبة وغيرهم عن ابن عمر أيضا قال :

ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، وما لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً .

وقول ابن عمر : لا أبالى لو كان لى مثل أحد ذهبا - كأنه يشير إلى قول أبى ذر الآتى آخر الباب . والجمع بين كلام ابن عمر وحديث أبى ذر أن يحمل حديث أبى ذر على مال تحت يد الشخص لغيره فلا يجب أن يحبسه عنه أو يكون له لكنه ممن يرجى فضله وتطلب عائدته كالامام الأعظم فلا يجب أن يدخر عن المحتاجين من رعيته شيئا - ويحمل حديث ابن عمر على مال يملكه قد أدى زكاته فهو يحب أن يكون عنده ليصل به قرابته ويستغنى عن مسألة الناس ، وكان أبو ذر يحمل الحديث على اطلاقه فلا يرى ادخار شيء أصلا

(قال) قال ابن عبد البر وردت عن أبي ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضُل عن القوت وسداد العيش فهو كنز يذم فاعله ، وأن آية الوعيد نزلت فى ذلك ، وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على مانعى الزكاة .

وأما أبو ذر فأخبار مذهبه مشهورة ، منها ما رواه البخارى وغيره من حديث زيد بن وهب قال مررت بالربذة (وهى بالفتح مكان بين مكة والمدينة) فإذا أنا بأبى ذر رضى الله عنه فقلت ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية فى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ﴾ فقال معاوية نزلت فى أهل الكتاب ، فقلت نزلت فينا وفيهم ، فكان بينى وبينه فى ذلك وكتب إلى عثمان رضى الله عنه يشكونى فكتب إلى عثمان أن اقدم المدينة ، فقدمتها فكثر على الناس حتى كأنهم لم يرونى قبل ذلك ، فذكرت ذلك لعثمان فقال : إن شئت تنحيت فكنت قريبا ، فذاك الذى أنزلنى هذا المنزل ، ولو أمروا على حبشيا لسمعت وأطعت . اه

ذكر الحافظ فى شرح هذا الحديث من (الفتح) أن زيد بن وهب إنما سأل أبا ذر عن نزوله فى ذلك المكان لأن مبغضى عثمان كانوا يشنعون عليه بأنه نفى أبا ذر وقد بين أبو ذر أن نزوله فيه كان باختياره . قال : نعم أمره عثمان بالتنحى عن المدينة لدفع المفسدة التى خافها على غيره من مذهبه المذكور فاختار الربذة ، وقد كان يغدو إليها فى زمن النبى ﷺ كما رواه أصحاب السنن من وجه آخر . قال : وفى طبقات ابن سعد من وجه آخر أن ناسا من أهل الكوفة قالوا لأبى ذر وهو بالربذة إن هذا الرجل فعل بك وفعل فهل أنت ناصب لنا راية - يعنى فنقاتله - فقال لا ، لو أن عثمان سيرنى من المشرق إلى المغرب لسمعت وأطعت .

إن فى قصة أبى ذر رضى الله عنه عبرة بما كان من دسائس الشيعة فى الخروج على عثمان رضى الله عنه وفيه حجة على أن حرية العلم والرأى واحترام العلماء كانتا على عهد الصحابة رضى الله عنهم فى أعلى درجات الكمال ، وقال الحافظ فى فوائد حديث أبى ذر من الفتح : وفيه ملاطفة الأئمة للعلماء فإن معاوية لم يجسر على الانكار عليه

حتى كاتب من هو أعلى منه فى أمره ، وعثمان لم يحنق على أبى ذر مع كونه كان مخالفا له فى تأويله . وفيه التحذير من الشقاق والخروج على الأئمة ، والترغيب فى الطاعة لأولى الأمر - وأمر الأفضل بطاعة المفضول خشية المفسدة - وجواز الاختلاف فى الاجتهاد ، والأخذ بالشدة فى الأمر بالمعروف وإن أدى ذلك إلى فراق الوطن - وتقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة لأن بقاء أبى ذر بالمدينة مصلحة كبيرة من بث علمه فى طالب العلم ، ومع ذلك رجح عند عثمان دفع مـا يتوهم من المفسدة من الأخذ بمذهبه الشديد فى هذه المسألة ، ولم يأمره بالرجوع عنه لأن كلا منهما كان مجتهدا

قدمنا شرح المفسرين - والآية تدل دلالة صريحة على الحث على الانفاق والتحذير من الإمساك ، وإذا كان الانفاق فى الزمن الماضى ليس له إلا وجه واحد وهو إعطاء الفقير والمحتاج ومعنى هذا أن يفتقر الانسان ويتكفف ، وهذا ما لا يرضاه الاسلام لمعتنقيه ولهذا قام من قام مناصبا لأبى ذر من هذه الناحية ، وأبو ذر لم يكن فيما اعتقده من انفاق الفضل شيوعيا ولا شبه شيوعى ، لأن أساس الشيوعية هى هـدم الملكية وتحريمها وعدم الاعتراف بها ومناوأة أصحابها ونزعها منهم ، وأبو ذر لم يقل بذلك ، الشيوعية حرمت الميراث وأبو ذر لم يتعرض لذلك ولا خطر على باله ولا قال به فمن أين جاءوا لأبى ذر بهذه التهمة ؟ وأبو ذر طالب باتباع الآية الكريمة وهى إحدى الأسس الاجتماعيـة التى قام عليها الاسلام ، وحينما عمل بهـا المسلمون عزوا وسادوا وحينما تركوها ذلوا وهانوا . كان سبيل الله فى الزمن الماضى البر بالفقراء ، والانفاق على الجهاد ودفع الأذى عن المسلمين ، واليوم سبيل الله زاد واتسع فبدلا من امساك الأغنياء الأموال ، الأولى بهم استثمارها فى مشاريع منتجة تفتح للفقراء والمساكين أبوابا للكسب وربحا للأغنياء فى غير اسراف ولا شح ، فى الأعمـال الصناعية والمشاريع التجارية والاقتصادية وهى كثيرة النواحى متعددة الأهداف . وليس حق الفقير فى أخذ الصدقة فحسب إنما يجب أن يعنى بشأنه من ناحية التعليم والتهذيب وإعانته على كسب عيشه يجب أن يعيش موفور الكرامة حتى تحيـا الامـة به عزيزة الجانب . والآية باقية وآية الزكاة لا تبطلها ولا تنسخها . وإنما فرضت آية الزكاة للحد الادنى ولمن كانوا قليلى المورد وقد وردت آيات كثيرة حاثة عـلى الصدقة كما وردت آيات كثيرة حاثة على الانفاق فى سبيل الله ، فقال تعالى (وأنفقوا فى سبيل الله ولا

تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ وسبيل الله هو طريق الخير والبر والدفاع عن الحق أى أن الامساك عن الانفاق فى الاستعداد للقتال يضعفكم ويمكن الأعداء من نواصيكم فتهلكون وقد فسر الجلال سبيل الله بطاعة الجهاد وغيره . والتهلكة بالامساك عن النفقة وترك الجهـاد وقال لأنه يقوى العدو عليكم ، فالمعنى إذا لم تبذلوا فى سبيل الله وتأييد دينه كل ما تستطيعون من مال واستعداد فقد أهلكتم أنفسكم . وفى أسباب النزول عن أبى أيوب الأنصارى قال : نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سراً إن أموالنا قد ضاعت وأن الله قد أعز الاسلام فلو أقمنا فى أموالنا فاصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا ﴿ وأنفقوا فِي سَبِيلِ اللهِ ولا تلقوا بأيديكم إلى التَّهلكةِ ﴾

فهل لو كان مسلمو اليوم على عهدهم الأول ونموا أموالهم واستثمروها فى خير الوجوه وأنفقوها فى سبيل الله كما أمرهم كان حل بهم ما يعانونه من الآلام والهوان والاستعباد ! ألم يحقق الله لهم وعيده حين بخلوا عن الانفاق وأعرضوا عن الجهاد فقال لهم ﴿ هَا أنتم هَؤلاءِ تُدعون لِتنفِقُوا فِي سبيلِ اللهِ فِمنكم مَن يَبخَلُ وَمَن يَبخَلْ فإنَّما يَبخلُ عن نفسِهِ واللهُ الغَنيُّ وأنتمُ الفقراء وإنْ تتولوا يَستَبدِلْ قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ وها هو وعيد الله قد تحقق ببخل الأغنياء ونكوص الشباب عن الجهاد والمضى بالأرواح فى سبيل الحق والدفاع عنه واستعمرهم فى بلادهم بمن لا يرحمهم ولا يقيم لهم وزنا يباعون ويشترون كالأرقاء ولا إرادة لهم مع بائعيهم ولا مع مشتريهم - آيات من كتاب الله الكريم يجب أن ينظر اليها فى مجموعها والأهداف التى ترمى اليها وهى عزة الاسلام وأهله ونصرة الفضيلة والدفاع عن الحق لا يحابى غنى لغناه ولا حاكم لسطوته ولا غنى يهضم حق فقير لفقره وقد كان رسول الله ﷺ ينفق كل ماله كما روى التاريخ لنا عنه أنه تذكر فى ليلة أنه كان عنده ديناران فقام لوقته وتصدق بهما وقال ما معناه لا أحب أن أبيت وعندى دينار وهناك محتاج . وقد قال عمر بن الخطاب قبـل موته : لو استقبلت من حياتى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء ورددتها على فقرائهم ، فإنفاق الفضل واجب بذله فى سبيل الله ، وإنما يجب أن ينظم تنظيما علميا اقتصاديا يرمى إلى محاربة الفقر والجهل والمرض ويحمى الأغنياء والموسرين من الحقد الكمين والغل الدفين ، وانتهاز الفرص

وتربص الدوائر لهم . وقد أخذ بالفضل كثير من دول الغرب حتى بلغ ما تأخذه الحكومة الانكليزية من رعاياها خمسة وتسعين فى المائة من دخل الفرد فى سبيل الذود عن بلادهم ومصلحة قومهم . ألم يكن المسلمون أولى من هؤلاء بدافع من دينهم وحميتهم . ولو كان أبو ذر حيا لكان رجل الساعة ، فرحم الله أبا ذر رحمة واسعة فقد كان من كبار الوطنيين وأعزة المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد خير المرسلين وباعث الهداية للناس أجمعين والذى قال يعيش أبو ذر وحده ويموت وحده ويحيي وحده . نعم لأنه عرف أن يحارب هواه ويعيش ويموت فى سبيل الله

موقف الاسلام

من الشيوعية والاشتراكية

سبق الاسلام الشيوعية ودعا إلى التعليم قبل أن تدعو ، وحث على نصرة الضعيف قبل أن تحث ، وأمر بالشورى والحياة النيابية فى كثير من آيات ، وحقق ذلك عمليا وهو يقر حق الملكية والتملك عقاراً أو منقولا . ويحارب طغيان الملكية إذا جارت وأصحابها إذا ظلموا ، ويهدد وينذر بالعقاب العاجل والآجل اذا ساروا فى غيهم وقد قدمنا الأدلة والشواهد على صحة ما دعا اليه الاسلام ـ وحقق وعده ووعيده ـ

وقد بدأت الشيوعية تتزحزح عن مكانها . وأحلت الملكية التعاونية فى برنامجها والاستغلال إلى حين عن طريق الجماعات التعاونية لا عن طريق الافراد . والاسلام يدعو إلى التعاون قولا وعملا فى كثير من آياته وأقربها ذيوعا وأكثرها شيوعا قوله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ وترك للانسان الحرية التامة فى وضع النظام التعاونى الذى تتخيره الجماعة على شرط أن لا يحق باطلا ولا يحل حراما ولا يؤذى أحدا

وإذا كان الاشتراكيون يبغون من اشتراكيتهم تعاون الجماعات فى سبيل الخير العام والاعتراف لكل ذى حق بحقه وأن يجتمعوا لنصرة المظلوم وحماية الضعيف ،

وتحقيق الاصلاح الاجتماعى المنشود فهذه هى مبادىء الاسلام لأن هذه دعوته. وقد فرض العمل على كل من ادعى الايمان، ولا تجد آية تدعو إلى الايمان الا ومعها العمل الصالح. والعمل الصالح هو ما يصلح الانسان به نفسه وأمته قال تعالى: ﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون﴾ ﴿ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة﴾ وقد عنى القرآن بالصناعة والصناع وجعل لها نبيا وهو سيدنا داود عليه السلام وكان صانعا ونبيا ومجاهدا وملكا وخليفة، وكان يأكل من صنعته أو من عمل يده وقد شاد به الاسلام وجعله من مثله العليا التى دعا اليها.

وقد شاد القرآن الكريم بفضل الصناعة وجعلها من ميزات الخلافة فى الأرض لعمارتها وحمايتها

وكان داود عليه السلام مثلا عاليا للشجاعة والعبادة والزهد والتضحية والجهاد والصبر واحتمال الأذى والمشاق فى سبيل الحق ونصرته فقال تعالى ﴿واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾ وقال ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾

وقد أمر الصانع والعامل أن يتقن صناعته لأن ذلك من أسباب رواجها وانتشارها كما تكون من دواعى الاقبال عليها وحسن سمعة القائم لها، روى ابن خيثمة والبغوى وابن قانع وغيرهم عن عاصم بن كليب بن عبد الله عن النبى ﷺ قال (يحب الله العامل إذا عمل عملا أن يتقن) وروى أيضا (ان الله يحب إذا عمل أحدكم العمل أن يتقنه)

وفى هذا المعنى كتب السيد جمال الدين الأفغانى عن الاشتراكية فى الاسلام ما يأتى:

الاشتراكية الغربية ما أحدثها وأوجدها إلا حاسة الانتقام من وجود الحكام والأحكام، وعوامل الحسد فى العمال من أرباب الثراء الذين استعملوا ثروتهم فى السفه والسرف وبذلوها فى التبذير والترف على مرأى من منتجها والعامل فى استخراجها من بطون الأرض.

أما الاشتراكية فى الاسلام فهى ملتحمة مع الدين الاسلامى ملتصقة فى خلق أهله .. وهذا خير كافل لجعلها نافعة مفيدة يمكن الأخذ بها ، لأن الكتاب الدينى -وهو القرآن الكريم- أشار اليها بأدلة كثيرة منها : إن المسلم أول ما يقرأ من فاتحة الكتاب ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فيعلم أن للخلق ربا واحدا ، وهو مع سائر الخلق من المربوبين على السواء ، ويرى ويعلم أن القرآن أتى على ذكر أرباب القوة ورجال الحرب والغزاة ومن يتولى إمرتهم وحياتهم ، يخاطبهم آمرا ومعلما ومدافعا ومبينا حقوق المستضعفين من الأمة الذين لم يتمكنوا من الاشتراك مع من ذكر ، ليكون لهم من ذلك الجهاد وتلك المساعى نصيب ، إذ قال ﴿ واعلموا أن ما غنمتم من شىء فان لله خُمسَه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير ﴾ فهذه آية باهرة أوجبت على من يسعى مجاهدا ومخاطرا بحياته أن يكون مشتركا معه فى نتيجة غزواته وغنائمه من لم يكن مشتركا فعلا .. وهم لا شك من المستضعفين الذين إنما قعدوا عن الاشتراك فى الجهاد والسعى وراء الغنائم لعلل تختلف أشكالها وأنواعها ، ولكن الله لم يجز حرمانهم بل جعل لهم نصيبا من مساعى أولئك الأشداء الأقوياء المجاهدين الخائضين غمرات الموت

كل ذلك نراه مبينا حكمة الاشتراك ، وكان حكم هذه الآية جاريا والرضاء به شاملا لجموع المسلمين من مجاهد أو قاعد عن الجهاد لعلة ، فبدأ بالدرجة الأولى بعد أن ذكر الله ورسوله بذوى القربى من المجاهدين على درجاتهم ، ثم عطف على من دونهم فى المرتبة الثانية ممن ليس لهم فى المجاهدين أقرباء فقال ﴿ واليتامى ﴾ ثم وسع نطاق الاشتراكية فقال ﴿ والمساكين ﴾ ثم رأى أن يأخذ نطاقا أوسع فقال ﴿ وابن السبيل ﴾ أى عابره . فتم بذلك الشكل نوع من الاشتراكية لم يكن أوسع منه شكلا ولا أنفع ... »

ثم جاء بموضع آخر من الكتاب مقرعا لمن يكنزون الذهب والفضة ، ثم حبذ وأثنى على الذين يؤثرون على أنفسهم بالعطاء والاسعاف والاطعام ولو كان بهم خصاصة

« وهكذا ترى قانون الاشتراكية المعقول فى آيات القرآن تترى ، فلننظر هل عمل بهذا القانون ، وما كانت نتائج العمل به ؟ »

« نعم ، إن الإخاء الذى عقده المصطفى ﷺ بين المهاجرين والأنصار لهو أشرف عمل تجلى به قبول الاشتراكية قولا وعملا . فالمهاجر من المسلمين إنما استطاع أن يفر بدينه راضيا بهجر بلده وترك مسقط رأسه ومفارقا أهله وذويه والخروج من ماله ومقتناه مسرورا أن يصل إلى دار الهجرة سالما - والأنصارى وهو فى بلده مع أهله وذويه وماله قبل راضيا مسرورا أن يشارك أخاه المهاجر بكل معنى الاشتراك حتى لو تطلع الانسان منا اليوم وأشرف على تلك الأرواح الطاهرة لرأى من مجال الاشتراك روحا وجسدا ما يذهب له عقله ، ولصح اعتقاده أن عمل الدين وتأثيره فى تلطيف الكثافة الجثمانية لا يضارعه مؤثر أو عامل آخر على البشرية ، ولرجعوا لو كانوا يعقلون . . . »

« وبعد النبى صلوات الله عليه كان صاحب أكبر منصب - وهو الخليفة لرسول الله - يسير بسيرة نبيه عليه السلام من الاكتفاء بالقليل من العيش والكفاف منه ومجالسة الفقراء ومشاركتهم بكل معنى الاشتراك فى مظاهر الحياة الدنيا ونعيمها . فأهل الاسلام مع تمخض سلطان الحرية فيهم لم يروا فى سيرتى الصديق والفاروق رضوان الله عليهما ما يدعوهم إلى أقل تذمر أو تململ أو تفكير بمناهضة لسلطانهما أو تأليب على أشكال حكمهما وإمرتهما أو احداث شغب يعرقل مساعيهما فى الفتوحات ، بل كانوا يبذلون النفس والنفيس فى طاعة الخلفاء ، تأييداً لشوكة الاسلام ، وتعميما لعدل الشريعة السمحة » .

العــدالة الاجتماعية

فى الاسلام

لقد حقق الاسلام العدالة الاجتماعية بين أفراده مدة الرسول عليه السلام وفى عهد أبى بكر وعمر وقد حققها كذلك عمر بن عبد العزيز حتى أنه لم يوجد فى عهده من يستحق أن يأخذ الزكاة فى شمال افريقية

فالأخاء والمساواة والحرية التى دعا اليها الاسلام قد استجاب لها المسلمون فى أول أمرهم ، فنهض بهم الى المستوى العالى الرفيع وسادوا الدنيا فى مدة ربع قرن من الزمان . والتاريخ ملىء بالشواهد والحجج على ما نقول

ان أول حكومة اسلامية تثور وتحارب من اجل حق الفقير (العامــل والصانع)

ويذكر التاريخ بالفخر والاعجاب ان أول حكومة اسلامية (وهى خلافة ابى بكر) هى التى اعلنت الحرب على الاغنياء حين رفض بعضهم الزكاة وهى حق الفقراء والمساكين ولم يسمع لنصيحة احد وقال كلمته المشهورة للأمة : والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لحاربتهم عليه

فاما المساواه التى دعا اليها إخاء الاسلام فنذكر على سبيل المثال لا الحصر : ما حصل فى عهد عمر بن الخطاب أن جبلة بن الايهم ـ وهو من سادة العرب وملوكهم ـ كان يطوف بالكعبة فداس على ازاره اعرابى فلطمه ، فشكاه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأحضر جبلة وقال له إما أن ترضى الأعرابى واما أن يقتص منك قال أيضربنى وهو سوقة وأنا ملك ؟ فقال : ان الاسلام سوى بينكما . وأبى الأعرابى الا أن يقتص منه فطلب جبلة أن ينظره إلى الغــد ، فانظره ، فجمع أهله وجنده وهرب إلى القسطنطينيه . ولم تكن هذه المساواة للسلمين خاصة وإنما كانت عامة فيما بين المسلمين وغيرهم من الأديان الأخرى ما داموا معهم فى سلم وأمان . ولا يغيب عن البال قصة ابن القبطى حين سبق ابن عمرو بن العاص أمير مصر فضرب ابنه ابن القبطى وقال:

أتسبق ابن الاكرمين ؟ فرفع والده الامر إلى عمر بن الخطاب وأحضر الجميع وأمر ابن القبطى أن يضرب ابن امير مصر على ملأمن القوم وان يقتص منه ، فلما فعل قال له عمر : ضع هذه الدرة على رأس أمير مصر . فقال عمرو : والله يا أمير المؤمنين ما علمت بهذا الحادث . فقال عمر بن الخطاب كلمته المشهورة : متى يا عمرو استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ـ . .

وقد كان عمر بن الخطاب يحاسب ولاته على الأمصار فاذا زاد رأس مالهم عما كان عليه قبل الولاية ناصفهم فيه اذا عدلوا وأخذ الزيادة كلها اذا جاروا ، ومن ذلك أنه بلغه ان أبا سفيان حضر من الشام وكان معه خرج من الدنانير ، فلما سأله من أين لك هذا ؟ قال له من عند ولدى معاوية ـ وكان واليا على الشام فتاجر وهذا من ربحه ، فقال له عمر : انى أرسلت ابنك واليا لخدمة المسلمين لا تاجرا ، وهذا المال الذى ربحه هو من حق بيت مال المسلمين . وأخذ منه المال . وقد رأى يوما بيتا زاهيا جميلا لسعد بن أبى وقاص وكان واليا على البصرة فأمر الدلال أن ينزل هذا البيت فى الدلالة لبيعه . وسأل سعدا من أين لك هذا ؟ قال جعلت لى راتبا فكنت أقتصد نصفه ، فلما توفر لى المال اشتريت هذا البيت . فقال له عمر أما وقد أعلمتنى بأنه يكفيك نصف المرتب فهو لك من الآن والنصف الآخر من حق بيت مال المسلمين . ويباع هذا البيت ويشترى لك بيت كبيوت أواسط المسلمين وما زاد عن الثمن يرد إلى بيت مال المسلمين

هؤلاء القوم عرفوا الاسلام ومبادئه السامية وحققوها قولا وعملا ، فهل تحدثنا الاشتراكية بأمثال هؤلاء الزعماء الذين تعطر التاريخ بذكرهم ، وهل جاءتنا الشيوعية باسمى من هذه المبادىء . واين زعماؤها الذين حققوا وعملوا بمبادئها ونزلوا بأنفسهم إلى مستوى الشعب فاكلوا مما يأكل ولبسوا مما يلبس ؟ نلتفت يمينا ويسارا فنجد أن هؤلاء الذين يدعون الشيوعية يسكنون القصور ويلتحفون الدثور ويعيشون عيشة المترفين . جاء رسول أحد الملوك إلى المدينة يسأل عن عمر بن الخطاب ليسلمه رسالة من ملكه فسأل أحد الأهالى قال أين ملككم ؟ فاجابه : ليس لنا ملك وانما لنا أمير ، فقال : أين هو ؟ قال خارج المدينة . فذهب اليه فوجده نائما على الأرض واضعا

خده على الأرض . فعجب فى نفسه وقال : هذا الذى تهابه ملوك الأرض ، لقد عدلت يا عمر ، فأمنت ، فنمت . .

انظروا أيها القوم نظرة فاحصة . واسمعوا بأذن واعية . على رأس أمم أوربا كثير من الزعماء الاشتراكيين . وعلى رأس روسيا زعماء الشيوعيين وهم متفقون جميعا على استعباد الشرق وتقسيمه فيما بينهم لاستغلاله واستعباد أهله . أخذوا ازراقنا باسم الدمقراطية ، وسفكوا دماءنا باسم الحرية ، ويريدون لنا دوام الاستعباد خوفا من الشيوعية ، وها هى فلسطين أمامنا يذبح أبناؤها ، وتهتك اعراض نسائها ، وتطرد من ديارها ، وأوروبا الفاجرة وأمريكا الباغية ، وروسيا العفيفة الزاهدة ! يضعون خناجرهم فى قلب أهل فلسطين ، ولا فرق بين هذه الأسماء التى يستترون وراءها من دمقراطية كاذبة وشيوعية فاسدة ، ان هى الا أسماء سميتموها ما أنزل الله بها من سلطان .

فلسطين هى اليوم محك القوم . وموقف أهل هذه الدعايات الطنانة الرنانة ، ومهما يعلن فأنهم كلهم مراءون منافقون كاذبون ، وانهم سائرون جميعا الى الزوال والفناء ، شأن الأمم الباغية والحكومات الطاغية

رب سائل يقول : اذا كان الاسلام كما تقول ، فلماذا المسلمون فى تأخر ؟ الجواب سهل ، لأن المسلمين أعرضوا عن دينهم وعبدوا شهواتهم وبخلوا بمالهم وأنفسهم عن البذل فى سبيل سعادة أوطانهم ، فحق عليهم قول ربهم : ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾

فالمسلمون تولوا وأعرضوا فنفذ الله وعيده فيهم . ورماهم بالاستعمار البغيض الذى يسومهم الخسف والهوان ، جزاء سيء أعمالهم وبخلهم وجبنهم

فاذا أراد المسلمون استرداد عزهم المفقود ، ورد استقلالهم المنشود ، فعليهم أن يتوبوا عماهم فيه من الشح والبخل والجبن ، ويتمسكوا بقرآنهم ، ويتبعوا سنة نبيهم ، فيصبحوا سادة فى بلادهم أعزة فى أوطانهم

يقول مستر ولز أكبر مؤرخى هذا العصر :

كل دين لا يسير مع المدنية فى كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال .. لأن الدين الذى لا يسير مع المدنية جنبا لجنب لهو شر مستطير على أصحابه يجرهم الى الهلاك . وان الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هى الديانة الاسلامية ، وإذا أراد الانسان أن يعرف شيئا من هذا فليقرأ القرآن ، فان كثيراً من أنظمته تستعمل فى وقتنا هذا . وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة . وإذا طلب منى أحد القراء أن احدد له الاسلام فانى أحدده بالعبارة التالية :

الاسلام هو المدنية

قال مسترولز :

« وهل فى استطاعة انسان أن يأتينى بدور من الأدوار كان فيه الدين الاسلامى مغايراً للمدنية والتقدم ؟ إن محمداً هو الذى استطاع فى مدة وجيزة لا تقل عن ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم ، وأن يقلب التاريخ رأسا على عقب ، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحترقة سكنا لها ، واشتهرت بالشجاعة ورباطة الجأش والأخذ بالثأر واتباع آثار آبائها ، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الأمة العربية على أمرها ، فمن ذا الذى يشك أن القوة الخارقة للعادة التى استطاع محمد أن يقهر بها خصومه هى من عند الله »

ويقول مسيو هنرى دى شامبون مدير مجلة (ريفوبارلمنتير) الفرنسية :

« لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجى على تقدم العرب فى فرنسا لما وقعت فرنسا فى ظلمات القرون الوسطى ، ولما أصيبت بفظائعها ، ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الدينى والمذهبى . ولولا ذلك الانتصار البربرى على العرب لنجت إسبانيا من وصمة محاكم التفتيش . ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون . نحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا فى العلم والفن والصناعة . مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة فى الفضائل ، وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشرى مدة ثمانية قرون ، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية ، وانه لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف ، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى »

وقال شيخ ملاحدة الشرق العالم الشهير الدكتور شبلى شميل بلا محاباه :

« إن القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة ، وجاء لتربية الروح والجسد ، بعد أن أوصد غيره من الأديان تلك الأبواب ، فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلى عن هذا العالم الفانى »

ليس لنا بعد هذا الا أن نقول لمن يريد السعادة فى الدنيا والفوز بجميع حقوقه : أن الطريق المعبد الواضح البين هو القرآن ، وبالعمل بالقرآن وبما جاء به رسوله الكريم النصر المحقق والفوز بما نطلب من عز وسيادة وسؤدد ، وفى الاسلام وصف الداء والدواء وفيه الشفاء ، فول وجهك نحوه ، واعمل بما أمرك به يحقق لك ما تريد ، ويهدك الله الطريق السديد

تم بحمد الله وعونه

فهرس

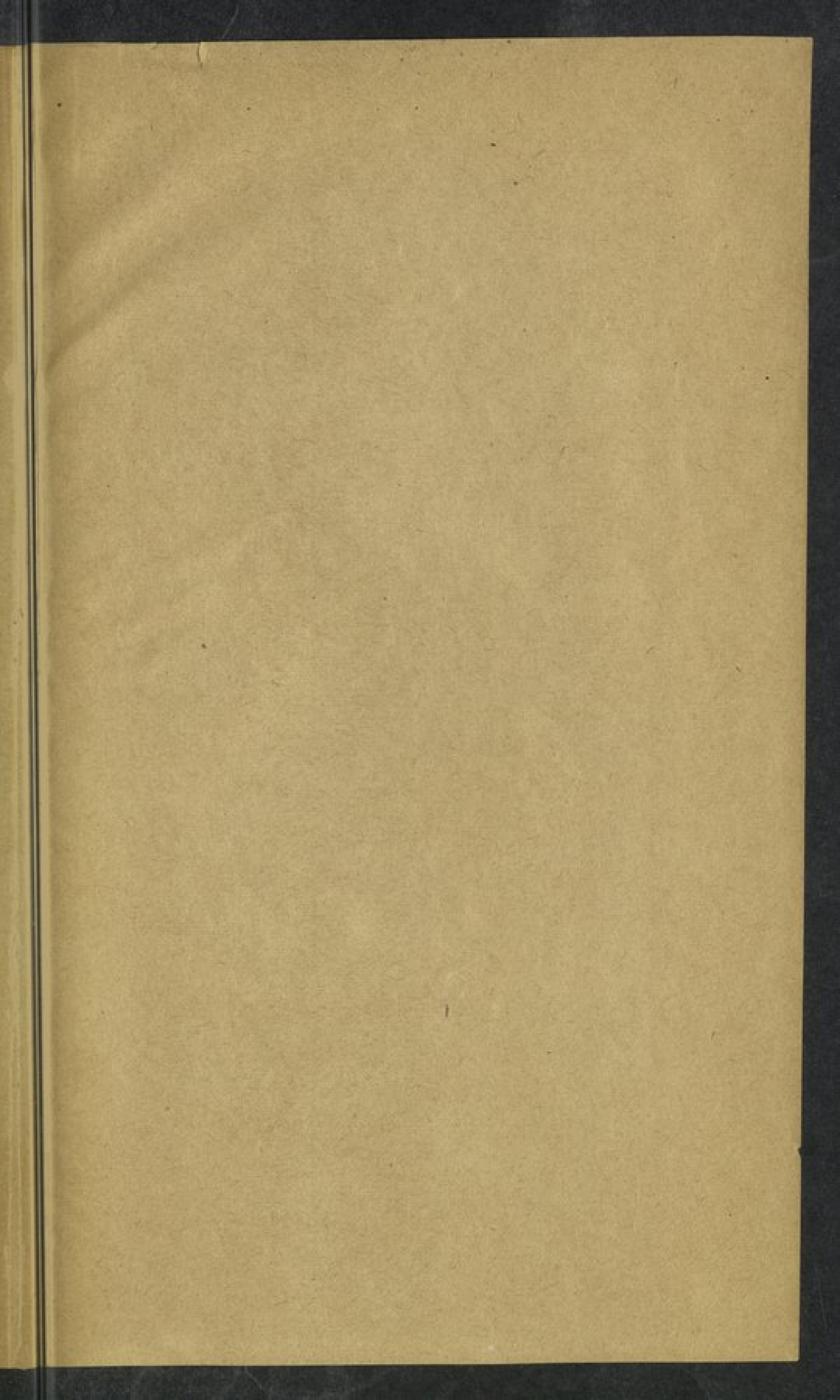
أركان الإسلام الخمسة

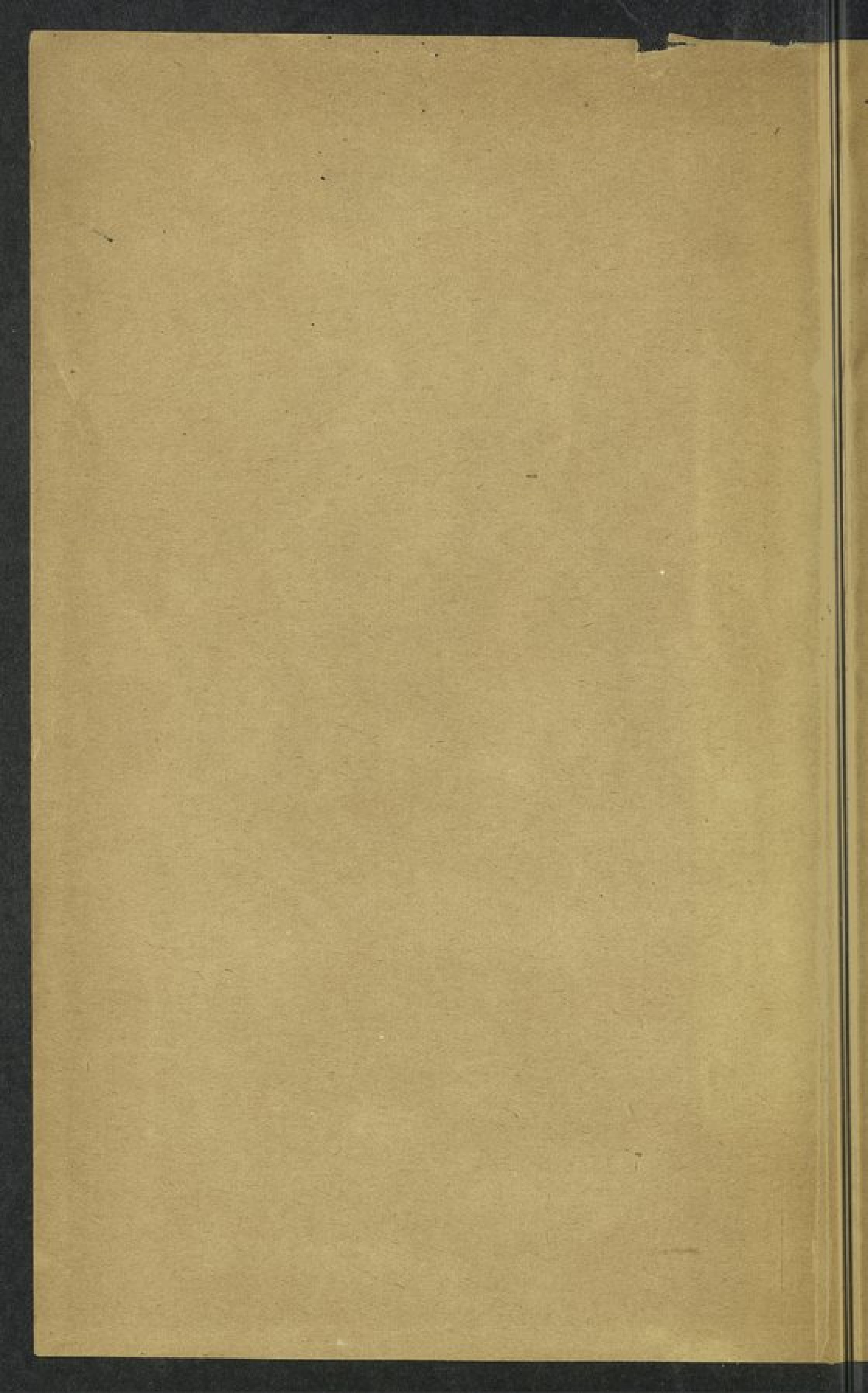
وأثرها في حياة الأفراد والجماعات

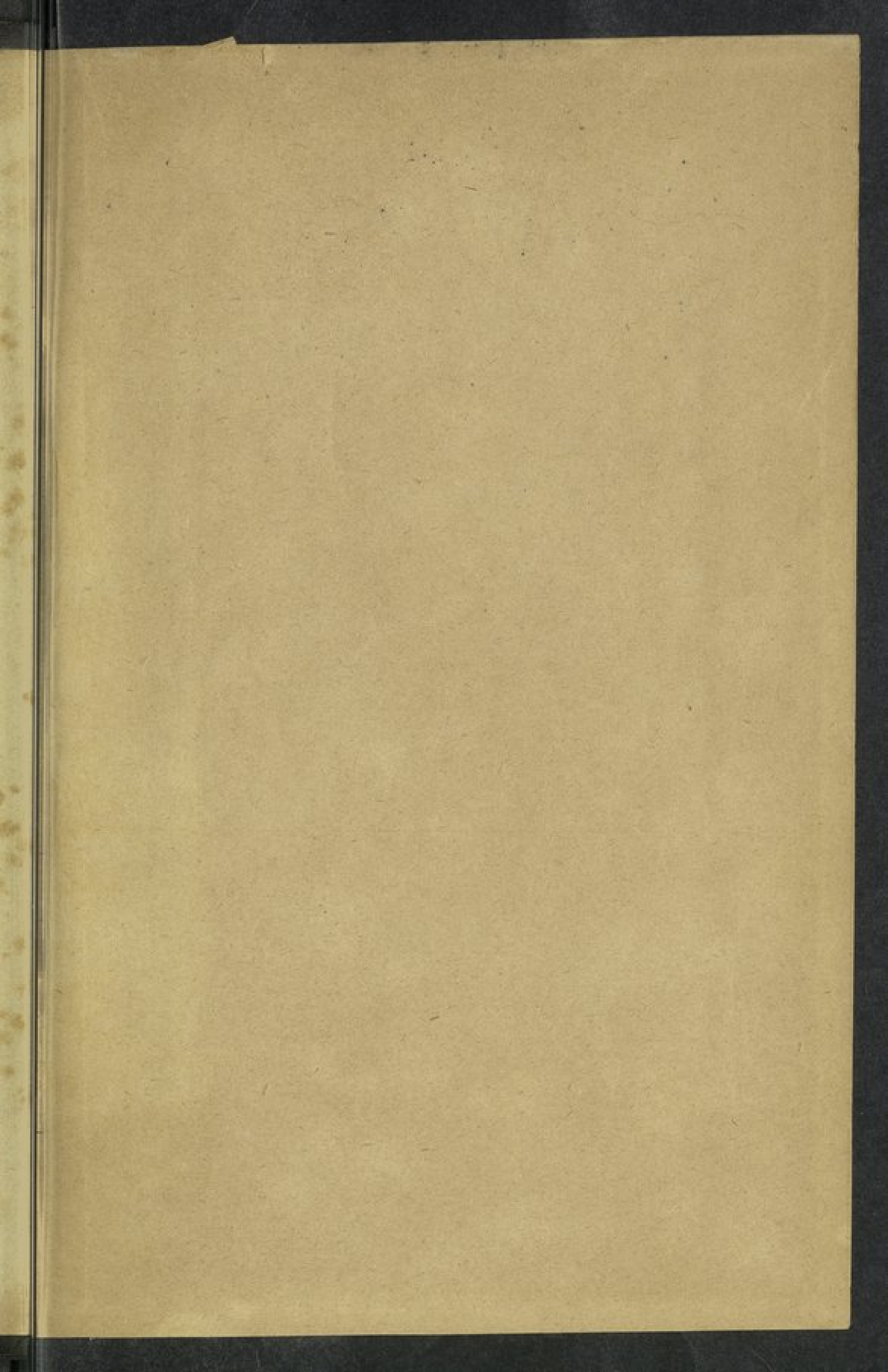
وموقف الاسلام من الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية

للمؤلف

	الثمن (خلاف أجرة البريد) ص
١ ـ مكانة العلم فى القرآن	٢٥
٢ ـ التعاون	١٥
٣ ـ كيف نعلم القرآن لابناء المسلمين (٣ أجزاء) :	
(الدرس الاول) : فى العقائد والعبادات	٣
(الدرس الثانى) : حقوق الله وحقوق الوالدين	٣
(الدرس الثالث) : مكانة المرأة فى القرآن	٣
٤ ـ حياة محمد ﷺ	٣
٥ ـ الحج	٣
٦ ـ الصوم	٣
٧ ـ أركان الاسلام الخمسة ، وأثرها فى حياة الافراد والجماعات ، وموقف الاسلام من الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية	٢٥
٨ ـ هداية القرآن لبنى الانسان : وهو (موجز لتفسير القرآن) يصدر ملازم متتابعة ثمن كل ملزمة قرش ونصف ، وسيطبع قريباً طبعة كاملة	
٩ ـ وتحت الطبع أيضاً كتاب (أين المسلمون ـ أو دعوة الاسلام الى أدب النفس وتربيتها) وهو جزآن	








AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

